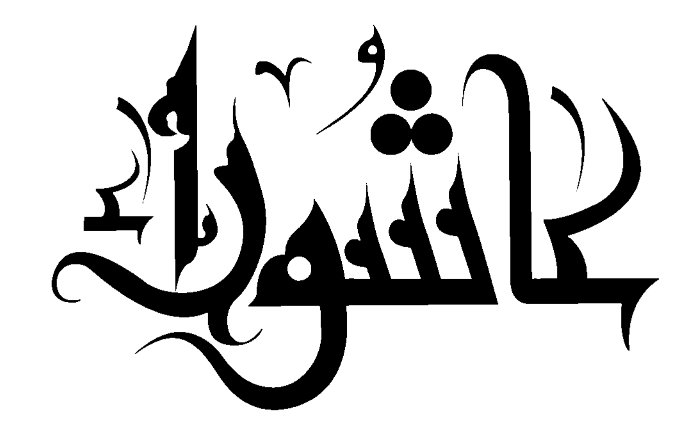


قراءةٌ في ممارسات الإحياء

السيد عبد الله الغريفي





قراءةٌ في ممارسات الإحياء

مجموعة كلمات وأحاديث لسماحة السيّد عبد الله الغريفي



Al-ghuraifi

إعداد

لجنة الغريفي الثقافيّة

www.alghuraifi. rg

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠٠٩م

المحتويات

القسم الرابع: عاشوراء مدرسة الأجيال

القسم الخامس: شعارات عاشوراء

القسم السادس: دور الإمام السجّاد عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام

القسم السابع: تساؤلات حول عاشوراء

القسم الثامن: كلمات رثائية في ذكرى عاشوراء

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله ربّ العالمـين وأفضل الصّلوات على سيّد الأنبيـاء والمرسلين محمدٍ وعلى آله الهداة الميامين...

بـين يدي القارئ مجموعة كلمـاتٍ ينتظمها عنوانٌ واحدٌ هو «عاشـوراء الإمام الحسـين»، بمـا يحمله هـذا العنوان مـن إيحاءاتٍ كبـيرة، لها تجذّرهـا في الوجدان الشيعيّ.

وهذا التجذّر يعتمد مجموعة مرتكزات:

- المرتكز العقيديّ.
- المرتكز الفكريّ والثقافي.
- المرتكز الرُّوحيّ والعاطفيّ.
- المرتكز الأخلاقيّ.
- المرتكز الرِّساليّ والجهاديّ.

ولكي يكون الموسم العاشورائيّ فاعلًا في صوغ وعي الأجيال وروحانيّة الأجيال، ووجدان الأجيال، وسلوك الأجيال، وحركيّة الأجيال...

فهو في حاجةٍ إلى امتلاك:

١- رؤية واعية بأهداف وقِيَم عاشوراء الحسين عليه السلام.

٢- انصهار وجداني وعاطفي مع الأهداف والقِيَم العاشورائيّة.

٣- درجة عالية من الصدق والإخلاص في التعاطي مع هذه الأهداف والقِيَم.
٤- التجسيد الحقيقيّ لمعطيات عاشوراء.
٥- الذهنيّة القادرة على التجديد والتطوير والإبداع.

آمل أن تكون الكلمات التي يحتضـنها هذا الكتاب قادرة على أن تضع بين يدي القارئ بعض الرؤى حول (عاشـوراء الحسـين عليه السلام)، مع التنبيه إلى أنّ هذه الكلمات هي عبارة عن (خطبٍ ومشـاركات مناسـباتيّة) ممّا أنتج شيئًا من التّكرار في الأفكار المطروحة، فمعذرة إلى القارئ الكريم إن كان يُثقله هذا التّكرار.

وحسـبنا أن يكون هذا الجهد المتواضـع مقبولاً لديه تعالى، وخالصًـا لوجهه، وبضاعة مزجاة نضعها بين يدي مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام...

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

السيّد عبد الله الغريفي
محرم الحرام ١٤٣١هـ

القسم الأول

على أعتاب عاشوراء

- على أعتاب شهر محرم الحرام
- على أعتاب الموسم العاشورائيّ
- موسمٌ استثنائي في الواقع الشيعيّ
- عاشوراء حركةٌ وامتداد

١

على أعتاب شهر محرم الحرام

إنّنا على أعتاب شهر محرم الحرام، شهر الفاجعة الكبرى، فاجعة كربلاء، وبهذه المناسبة نرفع أحرّ التعازي إلى بقيّة الله في الأرض الإمام الحجّة أرواحنا فداه وإلى مراجع الدين وحماة الشريعة، وإلى جميع المسلمين.

إنّ ذكرى كربلاء لها حضورها الدائم في حركة التاريخ، وفي وعي الأجيال، وفي وجدان الزّمن، بما تختزنه من عناصر الأصالة والبقاء والديمومة والامتداد، وبما تمتلكه من قدرة على الحركة والفعل والتغيير، وهكذا كان للذكرى دورها في الحفاظ على خطّ الرسالة، وحماية أهداف الإسلام، والدفاع عن قيم الأمّة وهويّتها، ومواجهة كلّ محاولات التحريف والمصادرة.

فماذا يعني التعاطي مع هذه الذكرى؟

إنّه يعني التعاطي مع الإسلام في مبادئه وأفكاره، وقيمه وأخلاقه، وأحكامه وتشريعاته، وحركته وجهاده، وصموده وعنفوانه، وعطائه وتضحياته وكلّما تأصّلت هذه المعاني في واقع الأمّة كان التعاطي هو الأصدق والأوعى والأقوى والأعمق.

إنّ مسؤوليّة الأمّة أن تنفتح على ذكرى كربلاء، وإنّ هذا الانفتاح يحتاج إلى:

- وعي وبصيرة.
- إخلاص وصدق.
- ذوبان وانصهار.

- التزام وتجسيد.

إنّ دور المنبر الحسينيّ هو صياغة هذه العناصر في حركة الأمّة، وهذا يفرض التوفّر على خطباء يملكون مؤهّلات إيمانيّة روحيّة، وثقافيّة فكريّة، وسلوكيّة عمليّة، وتبليغيّة رساليّة، كما يملكون كفاءات وقدرات فنّية وخطابيّة.

إنّ نجاح المجالس الحسينيّة في أداء مسؤوليّاتها يعتمد على:

- منبر ناجح.
- إدارة ناجحة.
- جمهور ناجح.

فكلّما ارتقى مستوى النجاح في هذه المكوّنات كانت الأهداف الحسينيّة أقوى حضورًا وأكثر فاعليّة، وأقدر على الفعل والتغيير.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا للتعاطي مع أجواء الذكرى الحسينيّة بما ينفتح على عقولنا وقلوبنا وأرواحنا، وأخلاقنا، وسلوكنا من إشراقاتها الربّانيّة، لنكون الحسينيّين حقًّا.



على أعتاب الموسم العاشورائيّ [1]

موسم عاشوراء:

ونحن على أعتاب الموسم العاشورائيّ نحتاج إلى وقفة نقدٍ ومراجعة تضعنا أمام رؤيـةٍ واعية في التعاطي مع هذا الموسـم العظيم، ومـا لم نمارس هذا النقد والمراجعة سوف نسقط في أشكالٍ من التعاطي لا تنسجم مع أهداف الموسم العاشورائيّ.

فربّمـا سـقطنا في ممارسـات متنافية تمامًا مع هـذه الأهـداف، الأمر الذي يصادر قيمة الموسم العاشورائيّ ويُفشل كلّ دلالاته ومعطياته.

و ربّما سقطنا في ممارسات تحريفيّة تُسيئ إلى سمعة الموسم الحسينيّ، وتلوّث صورته، وتُفقده نقاوته ونظافته ومعناه الكبير.

و ربّما سـقطنا في ممارسات استهلاكيّة تُفرغ التعاطي من مضامينه الأصيلة، وتكرّس حالات الفشل والرّكود والجمود.

و ربّما سـقطنا في ممارسـات تحمل ازدواجيّة قاتلة تجعلنـا نعيش مع الذكرى عاطفيًّـا، ونتناقض مـع أهدافهـا عمليًّـا وسـلوكيًّا وروحيًّـا وأخلاقيًّـا، واجتماعيًّـا وسياسيًّا.

هذه أشكالٌ من التعاطي مرفوضة.

---

(١) حديث الجمعة رقم (١٠٢)، في مسجد الإمام الصّادق عليه السلام/ القفول، ٢٦ ذي الحجّة ١٤٢٦هـ ، الموافق ٢٧/١/٢٠٠٦م.

لماذا تحدث هذه الألوان من الممارسات المنحرفة والخاطئة والمغلوطة؟

لأنّنا لم نحاسب مستوى وعينا لهذا الموسم، ولأنّنا لم نحاسب الممارسات والتطبيقات، ولأنّنا لم نحاسب مستوى التعاطي والتعامل.

أكرّر القول، والموسم العاشورائيّ على الأبواب إنّنا في حاجةٍ إلى وقفة نقدٍ ومراجعة لكي نُشكّل من خلالها (المفهوم الحقيقيّ للتعاطي مع هذا الموسم)، ولكي نتحرّر من كلّ الأشكال الدخيلة والمنحرفة والإستهلاكيّة والفاشلة، و لكي نصوغ للذكرى حضورها الفاعل والمتحرّك في كلّ واقعنا المعاصر.

لعلّ بعض الناس يرفضون أو ينزعجون حينما تُطرح مسألة المحاسبة والنقد والمراجعة لممارسات عاشوراء، بدعوى أنّ كلّ هذه الممارسات تنطلق باسم الإمام الحسين عليه السلام، ولنترك للناس أن يُعبِّروا عن مشاعرهم تجاه قضيّة الإمام الحسين عليه السلام بأيّ أسلوبٍ وبأيّ شكّل.

فما دام الهدف هو إحياء مأساة كربلاء، وإحياء مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، فلماذا نحاسب الممارسات؟ ولماذا نحاصر الأساليب؟ ولماذا نُشكّك في الأهداف والنوايا؟ فالجميع مأجورون ومثابون، ثمّ إنّ الناس يتفاوتون في مستويات التعبير وفي مستويات الإعلان عن الحبّ والولاء، وفي مستويات التعاطي مع هذه القضيّة المأساويّة الأليمة.

وهل استمرار قضيّة الإمام الحسين عليه السلام إلّا من خلال هذا التعاطي المفتوح بكلّ أساليبه وأشكاله، ولو فُرض على الناس شكلٌ واحد، وأسلوبٌ واحد، لمات هذا التعاطي، ولما كان هذا البقاء والديمومة والاستمراريّة.

هذا الكلام فيه الكثير من الصحّة، ولكن لا نقبله بهذا الإطلاق...

صحيحٌ أنّ أساليب التعبير، وأساليب التعاطي مع قضيّة عاشوراء، وأساليب إحياء الذكرى الحسينيّة، أساليب متعدّدة ومتنوّعة، فقد يُعبّر الفقيه، والعالم الكبير عن تعاطيه مع ذكرى الإمام الحسين عليه السلام بأسلوبه الخاص، وقد يُعبّر المثقّف عن تعاطيه مع الذكرى بأسلوبه الخاص، وقد يُعبّر الفلّاح عن تعاطيه بأسلوبه الخاص،

وقد يُعبّر الشابّ، وقد تُعبّر المرأة، وقد يُعبّر الطفل، كلّ بأسلوبه الخاص.

وهكذا يستطيع كلّ صنفٍ من الناس أن يُمارس إحياء عاشوراء بالأسلوب الذي ينسجم معه، ويجد فيه تعبيرًا عن انصهاره وذوبانه مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام.

هذا أمرٌ صحيح، ولا يمكن أن نفرض على الناس أسلوبًا واحدًا، وشكلًا واحدًا، نعم هناك من الأساليب ما تنسجم مع كلّ المستويات، فمجالس العزاء يحضرها الفقيه والعالم والمثقّف، والتاجر، والموظّف، والفلاح، والشابّ، والمرأة، وكلّ المستويات.

والمواكب الحسينيّة يمكن أن تُمارَس بطريقةٍ قادرةٍ على أن تستوعب كلّ المستويات، وتبقى بعض الأساليب تنسجم مع بعض المستويات ولا تنسجم مع البعض الآخر.

كلّ هذا صحيحٌ، ولكن الشيء غير الصحيح أن تدخل أساليب تتنافى مع أهداف الموسم العاشورائيّ، وأن تدخل أساليب تُسيئ إلى سمعة القضيّة الحسينيّة، وأن تدخل أساليب تُجهض رسالة كربلاء.

من المسؤول عن محاسبة هذه الممارسات، وتصحيح هذه الأوضاع؟

المشكلة أنّ الكثير من المعنيين بهذا الشّأن يتحفّظون في أن يمارسوا دور المحاسبة والتصحيح، ودور النقد والمراجعة، ويتحفّظون في أن يقولوا الكلمة الصحيحة.

و إذا قيل لهم: لماذا أنتم صامتون؟

قالوا: إنّنا لا يمكن أن نتدخّل في قضيّة الإمام الحسين عليه السلام، الفقهاء الكبار لم يتدخّلوا، العلماء البارزون لم يتدخّلوا، وربّما يقف وراء هذا الصمت عند الكثيرين الخوف من الناس، الخوف من الشارع، كلّ هذا لا يبرّر الصمت، ولا يبرّر السكوت، لا بدّ من الكلمة، ولابدّ من الموقف، ولابدّ من التصحيح.

الفقيه الكبير السيد محسن الأمين قدس سره، حينما أعلن ثورته التصحيحيّة لمراسيم العزاء، ولمراسيم عاشوراء، وأثاروا حوله ضجّة، أخرجوه من المذهب، حرّكوا الشارع ضدّه، نالته الكلمات بالجرح والقدح والسباب، ولكنّه صمد في موقفه، وأصرّ

عن تنزيه المراسيم العاشورائيّة من كلّ دخيل، وقد سانده ووقف معه، ودافع عنه المرجع الكبير السيد أبو الحسن الأصفهانيّ ﷺ.

إذن لا بدّ من الكلمة، وهل تراكمت الأخطاء والمخالفات، والممارسات السيّئة إلّا نتيجة الصمت، ونتيجة المجاملة، والمداهنة، ونتيجة الخوف، وحينما ندعو إلى النقد والمحاسبة والتصحيح لا نعني أنّنا ندعو إلى العشوائيّة، وإلى إطلاق الكلمة المرتجلة، بلا دراسةٍ وبلا تخطيط، المسألة في حاجةٍ إلى وعي وبصيرة، وفي حاجة إلى حكمةٍ وتدبّر، وفي حاجةٍ إلى تشاورٍ وتداولٍ وتعاونٍ وتآزر، ولا يعني هذا أن تتوقّف الكلمة الناضجة والموجّهة والمصحِّحة ما دامت هي على بصيرةٍ من الأمر، إلّا أنّ التغيير لا يتحقّق إلّا من خلال الخطّة المدروسة، والموقف الموحّد.

أيّها الأحبّة في الله:

مسؤوليّتنا جميعًا أن نحافظ على استمراريّة وديمومة وبقاء مراسيم عاشوراء، وأن نواجه كلّ محاولات المصادرة والإلغاء والتعطيل، كما أنّ مسؤوليّتنا جميعًا أن نُحافظ على نظافة ونقاوة وأصالة هذه المراسيم العاشورائيّة، ويأتي في مقدّمة من يتحمّل هذه المسؤوليّة العلماء والخطباء والمثقّفون، وكلّ القائمين على شؤون المؤسّسات الحسينيّة، وكلّ المتصدّين لأمور المواكب والمراسيم العاشورائيّة.

ويبقى دور الجماهير كبيرًا وكبيرًا جدًّا، فهم القاعدة العريضة التي تتحرّك من خلالها ممارسات عاشوراء، وهم وقود الحركة والديمومة لهذه الممارسات.

وإذا كان العلماء والخطباء والمثقّفون يمثّلون قوى التوجيه والترشيد والرعاية، وإذا كان القائمون والمتصدّون لشؤون المؤسّسات الحسينيّة، ولأمور المواكب والمراسيم العزائيّة، ممثّلين قوى التنفيذ والإرشاد العمليّ، فإنّ الجمهور العاشورائيّ يمثّل التيّار المتحرّك، والدم الدافق، والروح الفعّالة، الجمهور العاشورائيّ هو الامتداد الحقيقيّ لصوت كربلاء...



موسمٌ استثنائيّ في الواقع الشيعيّ[1]

(محرم وصفر) شهران يمثّلان موسمًا استثنائيًّا في الواقع الشيعيّ. في العاشر من المحرّم حدثت واقعة كربلاء، وبعد العاشر حدثت الامتدادات ليوم كربلاء...

في هذين الشهرين مجموعة مناسبات أليمة، هذه المناسبات جميعها مناسبات حزنٍ وأسى الأمر الذي طبع هذا الموسم بطابع الحزن والدموع، كلّ المظاهر في هذين الشهرين تحمل طابع الحزن والأسى؛ السواد في الحسينيّات، في الشوارع، في الأزقّة، في البيوت، الأعلام السوداء في كلّ مكان، الأزياء السوداء، كلّ شيءٍ في الأوساط الشيعيّة في هذا الموسم يتحدّث عن الحزن والدموع.

وهنا يَطرح البعض سؤالًا:

- هل أنّ تكريس الحزن طيلة شهرين كاملَيْن يُشكّل حالةً سليمةً في بناء الإنسان الشيعيّ؟
- وبعبارةٍ أخرى: هل أنّ ثقافة الحزن تؤسّس لتربية الأجيال الشيعيّة تأسيسًا صحيحًا؟
- أن نصوغ الأجيال الشيعيّة صوغًا مأساويًّا، بكائيًّا، حزائنيًّا، ألا يُعبّر هذا عن نمطٍ من البناء والتوجيه يؤصّل لحالات اليأس والإحباط، والهزيمة والانكسار، والضعف والاسترخاء؟

---

(١) كلمة أُلقيت بمناسبة الأربعين في مسجد الخواجة في تاريخ ٢٠ صفر ١٤٢٩هـ، الموافق ٢٩/٢/ ٢٠٠٨م.

- ثمّ أليس منهج الدّين يُعلّمنا أن نكبر على المحن والمصائب والآلام والأحزان، وأن لا نسقط أمام عوادي الأيام مهما اشتدّت وقست وأوجعت؟

لنا حول هذا الكلام بعض ملاحظاتٍ وبعض توضيحات:

يبدو أنّ أصحاب هذا الكلام قد ألغوا الدور الرُّوحيّ والثقافي والاجتماعيّ والسِّياسيّ والجهاديّ لموسم عاشوراء.

نترك ذلك لنعالج إشكاليّة الحزن، لا شكّ أنّ طابع الحزن والمأساة يُهيمن على هذا الموسم إلّا أنّ هذا الحزن يأخذ مسارين:

المسار السلبي:

وذلك حينما تتحوّل هذه العاطفة البكائيّة إلى ضعفٍ وانكسارٍ وهزيمةٍ وهروبٍ، وغيبوبةٍ، واستغراقٍ في الدموع.

المسار الإيجابي:

وذلك حينما تتحوّل هذه العاطفة البكائيّة إلى غضبٍ يتفجّر ضدّ أولئك الذين صنعوا المأساة في التاريخ، وضدّ الذين يصنعون مآسي الأمّة، ومآسي الشعوب في كلّ زمان، وفي كلّ مكان.

البكاء على الحسين عليه السلام -في مضمونه الواعي- صرخةٌ غاضبةٌ في وجه يزيد بن معاوية، وفي وجه كلّ (يزيد) يتجدّد عبر التاريخ.

البكاء على الحسين عليه السلام صرخة غاضبة في وجه عمر بن سعد، وفي وجه كلّ (ابن سعد) يتجدّد عبر التاريخ.

البكاء على الحسين عليه السلام صرخة غاضبة في وجه شمر بن ذي الجوشن، وفي وجه كلّ (شمر) يتجدّد عبر التاريخ.

البكاء على الحسين عليه السلام صرخة غاضبة في وجه حرملة بن كاهل، وفي وجه كلّ (حرملة) يتجدّد عبر التاريخ.

البكاء على الحسين عليه السلام صرخة غاضبة في وجه شريح القاضي، وفي وجه كلّ (شريح) يتجدّد عبر التاريخ.

- يزيد بن معاوية نموذج للحاكم الظّالم المستبّد الفاسد، العابث، المنحرف...

ويزيد هذا يتكرّر ويتكرّر ويتكرّر...

- عبيد الله بن زياد نموذجٌ لمن خان الدين، وباع نفسه للسلطان الجائر المنتهك للحرمات، ولذلك تحمّل مهمّة قتل الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحمّل مهمّة إبادة العترة الطاهرة.

وعبيد الله بن زياد هذا يتكرّر ويتكرّر ويتكرّر...

- عمر بن سعد نموذجٌ للعملاء الحمقى، فمن أجل وعود كاذبة، ومن أجل منصبٍ موهوم قتل الحسين ابن فاطمة، فخسر الدنيا والآخرة.

وعمر بن سعد هذا يتكرّر ويتكرّر ويتكرّر...

- شمر بن ذي الجوشن نموذجٌ لإنسانٍ ممسوخٍ، داس كلّ القيم بفتاتٍ من موائد الظالمين، حتى بلغ به الأمر أن يرتقى بقدميه القذرتين صدر الإمام الحسين عليه السلام، وأن تمتدّ يده الخائنة لتهوي بالسيف المشؤوم على نحر الحسين عليه السلام... وهو الذي هجم على خيام الحسين عليه السلام وروّع بنات الرسالة...

وشمر هذا يتكرّر ويتكرّر...

- حرملة بن كاهل الأسدي نموذجٌ لمن مات في داخله معنى الإنسان، ومعنى الدّين، ومعنى القِيَم، وغرّته الدّنيا الزائفة، وارتكب أبشع الجرائم في يوم عاشوراء...

حينما تقدّم الحسين عليه السلام إلى القوم يحتضن بين ذراعيه طفله الرضيع، وقد غارت عيناه من العطش، واضطرب قلبه من الظّمأ...

حاول الحسين عليه السلام بكلماته الحانية أن يُلامس تلك القلوب المتحجّرة، علّه يعثر فيها على بقيّة من رحمة، وبقيّة من شفقة، وبقيّة من إنسانيّة فيسقوا هذا الطفل

الرضيع قطرة ماء (يا قوم إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل الرضيع) وكان الجواب من حرملة سهمًا سدّده إلى نحر الرضيع فذبحه – بين يدي أبيه- من الوريد إلى الوريد....

اضطرب الطفل، امتدت يداه لتحتضن أباه الحسين عليه السلام، انفجر الدّم من نحره، تلقّى الحسين الدم بكفّه، رمى به نحو السّماء...

إنّه حرملة المتمرّس في قتل الطفولة البريئة، وقيل إنّه هو الذي وجّه السّهم المثلث إلى قلب المولى الحسين...

وحرملة هذا يتكرّر ويتكرّر ويتكرّر...

- شريح القاضي نموذج لعلماء البلاط الذين باعوا الآخرة بدنيا الحكّام والسلاطين، فاصدر فتواه التي برّرت ليزيد قتل الحسين (الحسين خرج عن حدِّه فقُتل بسيف جدِّه) هكذا تُوَظف فتاوى الدِّين في خدمة المستبِّدين والظّالمين..

وشريح هذا يتكرّر ويتكرّر ويتكرّر...

البكاء على الحسين عليه السلام صرخةٌ غاضبةٌ في وجه كلّ هؤلاء الذين صنعوا مأساة الحسين، وفي وجه كلّ هؤلاء الذين سكتوا على مأساة الحسين عليه السلام وما دام يزيد، وأعوان يزيد، وكلّ الذين شاركوا في صنع مأساة الحسين عليه السلام، وكلّ من صمتوا ورضوا، وما دام هؤلاء يتكرّرون ويتكرّرون ويتكرّرون فالصرخة الغاضبة يجب أن تبقى وتبقى وتبقى.

نسمع هذه الأيام من يقول:

إنّ خطاب عاشوراء عند الشيعة يُكرِّس الخلاف والانقسام والطائفيّة، لأنّه يُصنِّف الناس إلى (حسينيّين) و(يزيديّين)، يصنّف الناس إلى خندقين: خندقٌ يقف مع الحسين، وخندقٌ يقف مع يزيد..

ويُطالب هؤلاء أن يتجمّد هذا الخطاب وأن يتجمّد استدعاء التاريخ وإسقاطه على الواقع المعاصر...

التاريخ مضى بشخوصه وأحداثه ورجاله وصراعاته، فلماذا نستحضر كلّ ذلك لنعيد إنتاج الخلاف والصراع والمعارك...

نسأل هؤلاء المعترضين:

- لماذا دوَّن القرآن الصراعات التي حدثت في التاريخ؟
- لماذا تحدَّث القرآن عن خطّ الأنبياء وخطّ الطواغيت؟
- لماذا تحدّث القرآن عن المستضعفين والمستكبرين؟
- لماذا تحدّث القرآن عن الصالحين والفاسقين؟
- لماذا تحدّث القرآن عن المؤمنين والمنافقين؟
- لماذا تحدّث القرآن عن أولياء الله وأولياء الشيطان؟

وِفْق منطق هؤلاء المعترضين يجب أن نجمّد كلّ هذه العناوين التي تحدّث عنها القرآن، ووِفْق منطق هؤلاء المعترضين يجب أن تُغلَق ملفّات كلّ المجرمين والظّالمين والمُفسدين، لأنّ تحريك تلك العناوين التي تحدّث عنها القرآن، ولأنّ فتح هذه الملفات سوف يستثير الصراعات بين أبناء الوطن الواحد...

فتح ملفات الفساد الإداري سوف يُحرّك الخلافات...

فتح ملفات التمييز الوظيفي والطائفي سوف يؤجّج العداوات...

فتح ملفات المتورّطين في سرقة الحقوق سوف يُزعزع الأمن والاستقرار...

- اسكتوا عن يزيد التاريخ...
- اسكتوا عن ابن زياد التاريخ...
- اسكتوا عن ابن سعد التاريخ...
- اسكتوا عن شمر التاريخ...
- اسكتوا عن حرملة التاريخ...
- اسكتوا عن شريح التاريخ...

لماذا يُطالبنا هؤلاء بالسّكوت عن رموز الجريمة في التاريخ؟

- حتى لا تصل النوبة إلى رموز الجريمة في الحاضر...

- حتى لا تصل النوبة إلى أكثر من يزيد في هذا العصر...
- وإلى أكثر من ابن زياد في هذا العصر..
- وإلى أكثر من ابن سعد في هذا العصر...
- وإلى أكثر من شمر في هذا العصر...
- وإلى أكثر من حرملة في هذا العصر...
- وإلى أكثر من شريح في هذا العصر...

وهنا نقول كلمة صريحة لإخوتنا في الإسلام من أبناء المذاهب الأخرى:

إنّنا حينما نتحدّث عن الخطّ اليزيديّ لا نستهدف إخوتنا من أبناء المذاهب الأخرى، من يفهم ذلك فهو واهمٌ كلّ الوهم أو أنّه مغرضٌ يريد أن يؤجّج الخلافات والعداوات...

الخطّ الحسينيّ:

هو خطّ الإيمان، خطّ التقوى والصلاح، خطّ العدل، خطّ الجهاد من أجل الله ومن أجل قِيَم الدّين، ومن أجل مبادئ الحقّ، فمن التزم بذلك فهو في خطّ الحسين عليه السلام، شيعيًّا كان أو سنيًّا.

والخطّ اليزيديّ:

هو خطّ الضّلال، خطّ الفسوق والانحراف، خطّ الظّلم والاستبداد خطّ العبث بالدّين والقِيَم والمبادئ، فمن عاش ذلك فهو في خطّ يزيد، شيعيًّا كان أو سنيًّا.

لماذا يصرّ بعض المسكونين بهوس الطائفيّة على اتّهام الخطاب العاشورائيّ بأنّه خطابٌ طائفي؟

إنّنا لا ننفي وجود كلمات هنا أو هناك في الجانب الشيعيّ أو في الجانب السنيّ تُمارس الشحن الطائفيّ، وتُمارس التأجيج المذهبيّ، إلّا أنّ هذه الكلمات لا تُمثّل الخطاب الشيعيّ ولا تُمثّل الخطاب السنيّ.

لا يُطلب من الخطاب الشيعيّ أن لا يتحدّث عن قناعاته المذهبيّة وأن لا يُدافع عن نفسه، ولا يطلب من الخطاب السنيّ أن لا يتحدّث عن قناعاته، وأن لا يُدافع عن نفسه.

المطلوب من هذا الخطاب أو ذاك الخطاب أن لا يتحوّل إلى خطابٍ يُعادي الآخر، ويحارب الآخر، ويكفّر الآخر، فهناك مساحةٌ مشتركة كبيرة وكبيرة بين الخطابين.

وبتعبيرٍ أصح هناك خطابٌ واحد، هو خطاب الإسلام، وخطاب القرآن، وخطاب الدّين، وهناك وجهات نظر متعدّدة في فهم هذا الخطاب.

لا مشكلة في أن تتعدّد وجهات النّظر، ولكن يجب أن لا يتحوّل هذا التعدّد إلى خلافات وعداوات وصراعات، ليكن لكلٍّ قناعاته، ولكلٍّ رؤيته، ويجب أن تبقى أخوّة الإسلامٍ وأخوّة الدّين.

كم نحن جميعًا في حاجةٍ أن يفهم بعضنا البعض، بعيدًا عن التشويشات التي يضعها من يريد لهذه الأمّة أن تتمزّق، وأن تتحارب...

أعود مرة أخرى إلى خطاب هذا الموسم، وإلى مظاهر هذا الموسم، فنحن لا نريد لهذا الخطاب، ولا لهذه المظاهر أن يتحوّلا إلى أداة تُمارس الاستفزاز ضدّ الآخرين، وإذا شكّلت بعض الخطابات أو بعض المظاهر شكلاً من أشكال الاستفزاز أو التحريض أو الإساءة فعلى الأحبّة من أبناء الموسم العاشورائيّ أو الموسم الأربعيني أن يتجنّبوا ذلك، لأنّنا نريد لهذا الموسم أن يحمل رسالة الحبّ والوئام والتقارب، لا أن يحمل رسالة الكراهية والعداوة والتنافر.

وفي الوقت ذاته ندعو إخوتنا من أتباع المذاهب الأخرى أن لا يتحسّسوا من خطاب عاشوراء ومن مظاهر عاشوراء، فمأساة الحسين عليه السلام مأساة أدمت قلوب كلّ المسلمين، وأبكت كلّ العيون.

لنأخذ مثالاً نقرأ من خلاله أسلوب التعاطي مع الموسم، وذلك من خلال التساؤل التالي:

كيف يجب أن نتعاطى مع الشّأن السِّياسيّ من خلال هذا الموسم؟

هناك من يرفض إقحام الموسم في الشّأن السِّياسيّ، باعتبار أنّ هذا الإقحام يضع الموسم (خطاب الموسم، فعّاليّات الموسم) في مواجهة النّظام، وهذا يُربك حركة الموسم، دور الموسم، أهداف الموسم، فيجب أن يُترك الشّأن السِّياسيّ للجمعيّات السِّياسيّة وللمتصدّين للشّأن السِّياسيّ.

وهناك من يدعو بقوّة إلى إقحام الموسم في الشّأن السِّياسيّ، فغياب الموسم عن هذا الشّأن يُعدّ مصادرة كبيرة لأهمّ أهداف عاشوراء فالحسين عليه السلام إنّما ثار من أجل مواجهة النظام الحاكم الظالم المستبدّ، فيجب أن يُمارس موسم عاشوراء دور التصدّي والمواجهة للأنظمة الحاكمة المستبدّة.

وهناك فريقٌ ثالثٌ يرى أنّ هذا الموسم يجب أن يكون له دورٌ سياسيّ سلمي لا ينجرّ إلى المواجهة والتصعيد مع النّظام، ولا يُمارس خطابًا تأجيجيًّا وتحريضيًّا يضعه أمام حالةٍ من التأزّم مع الحكم..

هذه خيارات ثلاثة، فأيّ الخيارات نتبنّى؟

نضع رؤيتنا من خلال النقاط التالية:

١- أن نُحافظ على الطابع الحسينيّ لهذا الموسم، بمعنى أن تنطلق كلّ المراسيم والفعّاليّات والخطابات وهي مصبوغة بالصبغة الحسينيّة...

- هناك من يحاول أن يُصادر هذا الطابع وهذه الصّبغة، وهذا اتجاهٌ مرفوض...
- خطاب المنبر يجب أن ينطلق من عاشوراء الحسين حتى وهو يريد أن يعالج كلّ القضايا والموضوعات..
- خطاب الموكب يجب أن يكون خطابًا حسينيًّا حتى وهو يتناول قضايا السّاحة وهمومها...
- شعارات الموسم يجب أن تكون حسينيّة حتى وهي تنفتح على كلّ أوضاع الأمّة...

٢- من مسؤوليّات هذا الموسم أن يتصدّى لقضايا الأمّة الرُّوحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة، مع المحافظة على النقطة الأولى وهي أن يكون التصدّي مصبوغًا بالصبغة الحسينيّة، حتى لا يُصادَر الحسّ الحسينيّ في ضمير الأمّة، وفي وعي الأمّة، وفي حركة الأمّة.

٣- فيما يتّصل بالتصدّي السِّياسيّ يجب أن يكون خاضعًا لمجموعة ثوابت:

أولًا:

أن يُصرّ خطابنا السِّياسيّ على طرح المطالب العادلة لأبناء هذا الشعب:

- من مطالبنا المبدئيّة والتي تتصّدر الأولويّات، الحفاظ على هويّة هذا البلد الإسلاميّة، والتصدّي لأشكال العبث بالدّين والقيم والأخلاق...
- من مطالبنا العادلة: شراكة سياسيّة حقيقيّة، تفرض اعتماد دستور مقبول متوافق عليه، وتفرض حياة برلمانيّة غير مزوّرة، وتفرض إنهاء كلّ أشكال الفساد الإداري والمالي..
- من مطالبنا: إنهاء حالة التمييز المذهبي، هذه الحالة التي أصبحت واقعًا مرعبًا يُهدّد وحدة الشعب، وأمنه واستقراره، ومهما حاول الخطاب الرسميّ أن يُصرّ على النفي فالواقع أكبر برهان على هذه التمييز في كلّ المؤسّسات والمواقع والسِّياسات، ولسنا في حاجةٍ أن نسوق أمثلة وشواهد...
- من مطالبنا: المعالجة العاجلة والحقيقيّة لأزمة العاطلين، وأزمة السكن وكلّ أشكال الأزمة المعيشيّة لدى المواطنين، فالخطابات الاستهلاكيّة لن تُشبع الجائعين ولن تكسو العراة، ولن تُخفف آلام البؤساء والمحرومين والذين يعيشون في العراء بلا مأوى ولا سكن..
- من مطالبنا: تحريك كلّ الملفات العالقة:

ونؤكّد على خطورة ملف التجنيس، وملف البندر...

ملف التجنيس:

يُشكّل هاجسًا مخيفًا يهدّد أوضاع هذا الوطن، ويدفع به في اتجاه مآزق أمنيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وأخلاقيّة، وهذه حوادث المجنّسين المتكرّرة أكبر شاهدٍ على ذلك...

وملف البندر:

يحمل آثارًا مدمّرة إذا لم يُعالج بجدّية وإنصاف، ولا زال الموقف الرسمي مصرًا على تجاهل هذا الملف، وما حدث في مجلس النواب أخيرًا لا زال يؤكّد توجّه الحكومة ونوابها لحماية المتورّطين الذين كشف أسماءهم تقرير البندر...

وإلّا فلماذا هذا الإصرار على إسقاط استجواب طالب به نوّاب وهو مستكملٌ لكلّ الشروط الدستوريّة، المسألة واضحة كلّ الوضوح إنّه الموقف الرسمي المفروض على برلمان أُريد له أن يكون خاضعًا لوصاية السُّلطة، وأن يكون أداة لقراراتها، وواجهة لسياساتها.

- ويجب أن لا يفوتنا في هذا السياق أن نطالب بإطلاق سراح المعتقلين، فالمحاكمات المقرّرة يشوبها الكثير من الإشكالات، وإذا صحّ ما يتداول على لسان المعتقلين ولسان أهالي المعتقلين من تجاوزات وانتهاكات واعتداءات وممارسات مشينة، وأخذ اعترافات تحت القهر والضغط والتعذيب، فما قيمة محاكمات تبتني على كلّ ذلك؟!!

ثانيًا:

أن يكون التصدّي السِّياسيّ سواء أكان من خلال الجمعيّات السِّياسيّة أو الفعّاليّات السِّياسيّة أو الخطابات السِّياسيّة، أن يكون هذا التصدّي متوفّرًا على بُعدين أساسيّين:

البُعد الأول:

امتلاك الشرعيّة من خلال:

١- اعتماد الرؤية الفقهيّة المعذِّرة شرعًا.

٢- اعتماد الولاية الشرعيّة فيما يحتاج إلى ولاية من شؤون السِّياسة.

البعد الثاني:

امتلاك الفهم السِّياسيّ القادر على قراءة الواقع الموضوعيّ في كلّ مكوّناته وحاجاته وضروراته وملابساته.

إنّ غياب أحد البعدين يضع التصدّي السِّياسيّ في مساراته الخاطئة وربّما المنحرفة...

ثالثا:

خيار التصدّي السِّياسيّ:

في التصدّي السِّياسيّ تتعدّد الخيارات:

- المشاركة في مشروع السُّلطة.
- المقاطعة لمشروع السُّلطة مع اعتماد الأسلوب السلمي (وتتعدّد أساليب المقاطعة).
- المقاطعة لمشروع السُّلطة مع اعتماد أسلوب المواجهة (وتتعدّد مستويات المواجهة).

ومن أجل تحديد خيار التصدّي السِّياسيّ نحتاج كذلك:

أ- امتلاك الشرعيّة من خلال:

- اعتماد الرؤية الفقهيّة المعذِّرة.
- اعتماد الولاية الشرعيّة فيما يحتاج إلى ولاية.

ب- امتلاك الفهم السِّياسيّ القادر على تحديد الخيار الأصلح.

٤

عاشوراء حركة وامتداد[١]

إذا كانت عاشوراء الحسين عليه السلام قد حدثت في أرض كربلاء وفي ظهيرة العاشر من المحرم سنة واحد وستين للهجرة، فهل بقيت عاشوراء رهينة المكان والزّمان؟

بالتأكيد (لا)، عاشوراء تجاوزت المكان والزمان، وكيف حدث ذلك؟

عاشـوراء مضمون وهدف ورسالة وهي بهذا أكبر من المكان والزّمان، لو أردنا أن نقرأ عاشـوراء في حدود الأرض والمقطع الزّمني، والنتائج الآنيّة، لفقدت النهضـة الحسينيّة معناها الكبير الكبير.

نعم عاشـوراء حركة وامتداد وهدف ورسـالة، الحسـين عليه السلام بدمه، وأهل بيت الحسين عليهم السلام بدمائهم، وأصـحاب الحسين عليهم السلام بدمائهم قد أنجزوا المرحلة الأولى في حركة عاشوراء.

وجاء دور الإمام زين العابدين عليّ بن الحسـين السّجاد عليه السلام، وجاء دور زينب بنت أمير المؤمنين بطلة كربلاء عليها السلام، وجاء دور الأسارى من آل محمد عليهم السلام ليكملوا مشوار عاشوراء، وليحملوا رسالة عاشوراء، وأهداف عاشوراء.

أولّ أهداف الرحلة الثانية لثورة الإمام الحسين عليه السلام هو (التعريف بهويّة الثورة ومواجهة الإعلام المضلّل) بعد معركة كربلاء، انطلق الإعلام الأمويّ المضلّل بقوّة من أجل تشويه الثورة الحسينيّة، وتشويه رجالات هذه الثورة، واعتمد هذا الإعلام المضاد

---

(١) حديث الجمعـة رقـم (١٦٣)، مسـجد الإمـام الصّـادق عليه السلام / القفـول، ١٣صـفر ١٤٢٩هـ، الموافـق ٢٢/٢/٢٠٠٨م.

مجموعة من الوسائل والأدوات، ووظّف لذلك أعدادًا كبيرة من العملاء والمستأجرين ممّن باعوا ضمائرهم للحكّام والسلطان، فلا غرابة أن يُصدِر أحد كبار رجال البلاط الحاكم فتواه المشهورة (الحسين خرج عن حدّه فقتل بسيف جدّه)، هذه الفتوى أعطت تبريرًا شرعيًّا لسفك دم الحسين عليه السلام استنادًا إلى أحاديث مزوّرة مكذوبة نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

هذه الأحاديث تقول: إنّ من خرج على خليفة المسلمين فاقتلوه كائنًا من كان، حتى لو كان الخليفة يزيد بن معاوية الفاسق الفاجر المنتهك للحرمات المرتكب للموبقات، وحتى لو كان الخارج هو الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله.

هكذا تبرّر هذه الأحاديث الكاذبة والفتاوى المارقة ظلم الحكّام والسلاطين، وهكذا يوظّف الدّين المزّور في إضفاء الشرعيّة على أنظمة الجور والاستبداد، وكم لعب هذا الإعلام الرسمي في تضليل الجماهير، وفي سرقة وعي الناس، فأصبحت نهضة الحسين عليه السلام المباركة -وفق هذا الإعلام- حركة تمرّد، ومحاولة خروج على الحاكم الشرعي، ومصدر فتنة وانشقاق، وأصبح الحسين عليه السلام وأنصاره عصابة متمرّدة خرجت على أمير المؤمنين يزيد بن معاوية.

وقد تصدّى الإمام زين العابدين عليه السلام، وتصدّت زينب ابنة أمير المؤمنين عليهما السلام، وتصدّى أسارى كربلاء، تصدّوا إلى هذا الإعلام المضلّل وفضحوا أراجيفه وأكاذيبه وتضليلاته وألاعيبه، وأوضحوا هويّة الثورة، وأهدافها ومنطلقاتها وتحدّثوا عن رموزها وأبطالها ورجالاتها.

تُحدّثنا كتب التاريخ: أنّ قافلة الأسرى من آل محمد صلى الله عليه وآله حينما وصلوا بهم إلى دمشق الشّام، كانت الشوارع غاصّة بالناس الذين خرجوا من كلّ حدبٍ وصوبٍ؛ ابتهاجًا بهذا النصر الكبير، الذي حقّقه خليفة المسلمين على جماعة من الخوارج والمتمرّدين على السلطة، الأعناق مشرئبة، والعيون مشدودة، الجميع ينتظرون اللحظة، لحظة (الأسرى الخوارج) الذين ظفر بهم جيش الخلافة.

وصلت قافلة الأسرى من آل محمدٍ عليهم السلام، فارتفعت أهازيج الفرح، وتعالت الأصوات داعية إلى الخليفة المنتصر، وتعالت الشتائم واللعنات ضدّ هؤلاء الخوارج المتمرّدين، وضدّ هؤلاء العابثين بالأمن والاستقرار، هكذا يعمل الإعلام الرسمي لأنظمة الحكم في كلّ زمان وفي كلّ مكان، فالمعارضون والرافضون لسياسات الأنظمة هم متمرّدون وعابثون وخارجون عن النظام، لا يحملون ولاء للوطن والأرض والحكم والحاكم.

لا زال الإعلام المضلّل يواجه أهداف الحسين عليه السلام:

هل توقف الإعلام المضلّل المواجه لأهداف الحسين عليه السلام في مرحلةٍ من التاريخ؟

لا.. لم يتوقّف هذا الإعلام، بل واصلت أنظمة التضليل والتشويه والتزييف من أجل إخماد صوت الحسين عليه السلام،ومن أجل مواجهة أهداف الحسين عليه السلام.

في عصرنا الحاضر يمارس الإعلام الرسمي للأنظمة والحكومات أسوء أشكال التضليل والتزييف ولعلّ الإساءة المستمرة إلى الرموز الإيمانيّة المنتمية إلى خطّ الحسين هو شكلٌ من أشكال التصدّي والمواجهة والتضليل.

وهنا يعتمد الإعلام الرسميّ أدوات الدّين نفسها، ويعتمد الوجوه التي تتبرقع ببراقع الدّين.

فلا غرابة أن نسمع أشخاصًا يتمظهرون بمظهر الدّين يمثّلون أبواقًا لإعلام الأنظمة السِّياسيّة، وواجهات لأهداف الحكومات المتسلّطة.

صحيح أنّ هؤلاء الأشخاص مسكونون بشحناتٍ كبيرة من العقد الطائفيّة البغيضة، وبزخم من الأحقاد المذهبيّة، وهذا ما يُسهّل للأنظمة الحاكمة مهمّة التوظيف والعمالة ومهمّة التزييف والتضليل، وكلكم تعلمون هذه الحقيقة الواضحة، ولو شئت لسمّيت أشخاصًا في هذا البلد مهمّتهم تأجيج الفتن الطائفيّة، وإثارة الأحقاد المذهبيّة، فلن يهدأ لهؤلاء بال، ولن يقرّ لهم قرار ولن تسكن نفسهم الموتورة، إلّا إذا اشتعلت نار الفتنة لتحرق الأخضر واليابس، ولتهلك البلاد والعباد.

في كل يوم نسمع إساءات لطائفة كبيرة من أبناء هذا الوطن، وإساءات لرموزها الدينيّة، ولمقدّساتها، ولولا العقلاء في هذا الطائفة الغيورة على أمن هذا البلد واستقراره، وعلى وحدة الصف لحدث ما حدث من العواقب الوخيمة.

لا نريد بهذا الكلام أن نمارس شحنًا طائفيًّا، فنحن ضدّ الشّحن الطائفيّ الذي يؤجّج النفوس، ويثير العدوان، ويحرّك الصراعات، وسوف نبقى الأوفياء لأمن هذا البلد واستقراره ووحدته، وإنّما نريد أن ندقّ جرس الخطر فما لم تُسكت الأصوات التي تعيش هوس الفتنة الطائفيّة، وهوس التصريحات المؤجِّجة وهوس الشّهرة الموهومة، وهوس العناوين المزيّفة، فإنّ العواقب وخيمة جدًّا.

هنا نحمّل السّلطة الحاكمة مسؤوليّتها الكبيرة، فهي التي أعطت الضوء الأخضر لهؤلاء الموتورين أن يعبثوا كما يشاءون وأن يضربوا على أوتار الفتنة، وإن كانت المؤشّرات تؤكّد أنّ هذا النفر من مواقع مهمّة في داخل السلطة، ولقد فضح (تقرير البندر) هذا المشروع الطائفي المدمّر، ومع الأسف لا زالت الحكومة مصرّة على تجاهل هذا التقرير والذي أثار ضجّته في الأوساط، وخلق رعبًا حقيقيًّا لدى أبناء هذا الشعب.

طالبنا بكشف الأوراق حول هذا التقرير وعلى أعلى المستويات، إلّا أنّ الموقف الرسميّ لا زال يُصرّ على تجاهل هذا الأمر، والتعتيم حوله، ممّا يؤكّد لنا الشكوك الحقيقيّة لوجود متورّطين كبار في هذا المخطّط الرهيب، إذا كان الأمر على خلاف ذلك فافتحوا الملف بوضوح أمام الشعب، لتتّضح الحقائق، وتنكشف الملابسات.

لماذا هذا التعتيم وهذا التكتّم؟

رغم ارتفاع الأصوات المطالبة بكشف الأوراق ورغم المحاولات الجادّة من نواب الوفاق في مساءلة بعض الرؤوس المتورّطة في هذا المشروع، هذه المحاولات التي يعمل (نواب السلطة) جادّين على إقبارها وإفشالها ومصادرتها، وهكذا تتشابك أذرع السّلطة الإعلاميّة والسِّياسيّة والدينيّة في إخفاء الحقائق، وفي التعتيم على المخطّطات الخطيرة التي تستهدف طائفة كبيرة من أبناء هذا البلد، وتحت عناوين

مكرّرة وممقوتة، فالاختراق الصـفوي، والولاء للخارج، وحكومة الفقيه، والتآمر على أمن الوطن، و... و .....و...

إذا بقيـت الأمـور في هذا الاتجاه فالمسـتقبل ينذر بالخطر، مـا نتمنّاه من كلّ قلوبنا أن تعيد السّـلطة النظر في كلّ الحسـابات، وحينما نحمّل السّلطة العبء الأكبر مـن المسـؤوليّة، لا يعني أن القوى السِّياسـيّة والدينيّة والشـعبيّة – مـن خارج دائرة السّلطة – مبرّأة من المسؤوليّة، إلّا أنّ مسؤوليّة السّلطة تبقى هي الأكبر والأخطر.

القسم الثاني

عاشوراء والولاء

- مراسيم العزاء تعبيرٌ عن الولاء والانتماء.
- مدرسة عاشوراء ودورها في الحفاظ على استمراريّة خطّ الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام.

١

مراسيم العزاء
تعبيرٌ عن الولاء والانتماء

أصرّ الشيّعة - عبر التاريخ - أن تبقى مراسيم عاشوراء، وأن تبقى مراسيم الأربعين، وأن تبقى مراسيم العزاء الحسينيّ، رغم كلّ التحدّيات والصعوبات، هذا الإصرار كلّفهم في بعض مراحل التاريخ أرواحًا ودمًاء وسجونًا وملاحقات...

منذ بدأ التشكّل التاريخيّ لمراسيم العزاء الحسينيّ بعد فاجعة الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من المحرّم سنة واحد وستين للهجرة، كان الإصرار كبيرًا عند الشيعة رغم قساوة الظروف الأمنيّة والسّياسيّة.

كانت مراسيم العزاء في شكلها المبسّط جدًا (مجالس صغيرة تُعقد في البيوت الشيعيّة وفي حال من التستّر والخفاء)، وقد حثّ الأئمّة عليهم السلام على إحياء فاجعة كربلاء، فانطلق الشيعة يمارسون هذا الإحياء وبالأساليب المتوفّرة في ذلك العصر، واستمرّ الأمر كذلك طيلة عصر الأئمّة عليهم السلام حتى بداية الغَيْبة الكبرى ٣٢٩هـ، ومع بداية عصر الغَيْبة الكبرى قامت دول شيعيّة:

- الدولة الحمدانيّة في حلب (٣٣٣- ٣٩٤هـ) ٦١ سنة.
- الدولة البُوَيهيّة في بغداد (٣٣٤- ٤٤٧هـ) ١١٣ سنة.
- الدولة الفاطميّة في مصر (٣٦٢- ٥٦٧هـ) ٢٠٥ سنوات.

وفي ظلّ هذه الدول وجد الشيعة متنفّسًا كبيرًا لكي ينطلقوا بـ (مراسيم العزاء الحسينيّ)، جعل البُوَيهيّون يوم عاشوراء يوم حداد عام رسمي في بغداد، أما

الفاطميّـون في القاهـرة فعطّلوا الدوائر الرسـميّة لمدّة أربعة أيام (من اليوم السـابع إلى اليوم العاشـر)، أقيمت مآتم عامّة في الطرقات والأسـواق، وأسّست أمكنة خاصة لإقامة العزاء (الحسينيّات)، خروج المواكب الحسينيّة في الشوارع.

وبعد سـقوط هذه الدول الشيعيّة استمرّت (مراسيم العزاء) في بعض المناطق كما في العراق واختفت في مناطق أخرى كما في القاهرة مع مجيء الأيوبيين، وحاولت الكثير من أنظمة الحكم أن تُصـادر تلك (المراسـيم الحسـينيّة) بشتّى الوسائل وقد تحمّل الشـيعة الكثير من العناءات والتضحيات في سبيل الحفاظ على بقاء (الشعائر ومراسـيم العزاء)، إلى أن استطاعوا أن يُثبّتوا هذه (المراسيم الحسينيّة) في العديد من البلدان التي يقطنونها، كما هو واضح في هذا العصر.

هكذا كان إصرار الشيّعة -عبر التاريخ- على استمرار وبقاء (مراسيم العزاء الحسينيّ).

لماذا هذا الإصرار؟

إنّـه الحفاظ علـى هويّة الانتماء والولاء للإسـلام وخطّ الإمام الحسـين عليه السلام وخـطّ الأئمّـة مـن أهل البيـت عليهم السلام، هذا هـو العنوان الكبـير الذي يجـب أن تؤكّده شعارات وخطابات (المراسيم الحسـينيّة)، هذا الانتماء وهذا الولاء لا يصحّ التنازل عنه أبدًا.

كلّ الانتمـاءات التـي تتحـرّك في خطّ الانتماء الحسـينيّ هي انتمـاءات تابعة وليست انتماءات مستقلّة، وكذلك كلّ الولاءات.

حينما نعلن الولاء إلى الرموز الدينيّة التي تجسّد الانتماء العقيديّ، فإنّما نؤكّد الانتماء والولاء إلى العقيدة نفسها لا إلى هذه الرموز...

وحينمـا نعلـن الولاء إلى الرموز الدينيّة التي تجسّـد الانتمـاء إلى خطّ الإمام الحسـين عليه السلام فإنّمـا نؤكّد الانتماء والولاء الحسـينيّ وليس الانتمـاء والولاء إلى تلك الرموز مهما كانت مقاماتها كبيرة وعالية، هذا هو انتماء الشعائر الحسينيّة وولاؤها، وهذا هو انتماء الجمهور الحسينيّ وولاؤه.

فيجب أن يعلم كلّ الذين يحاولون أن يتّهموا جمهور المراسيم الحسينيّة بالانتماء أو الولاء السِّياسيّ لهذا الرمز أو ذاك الرمز بأنّهم لم يفهموا بعد معنى الانتماء أو الولاء الحسينيّ، إنّه انتماء وولاء عقيدي لا يمكن أن يتحجّم بانتماءٍ سياسيّ هنا أو انتماءٍ سياسيّ هناك أو ولاء سياسيّ هنا أوهناك...

الانتماءات والولاءات السِّياسيّة مهما كانت قوّتها هي أصغر دائمًا من الانتماءات والولاءات العقيديّة.

إنّنا نضيّق عنوان الانتماء والولاء في شعائر عاشوراء أو الأربعين إذا أعطيناها عنوانًا أصغر من عنوان الانتماء "والولاء الحسينيّ، قد نوالي رمزًا دينيًّا كبيرًا له مقامه الرُّوحيّ أو السِّياسيّ، إلّا أنّ هذا الولاء يبقى أصغر من الولاء إلى الإمام الحسين، ثمّ إنّ هذا لا يُشكّل انتماء ما دام الانتماء الكبير عند جمهور عاشوراء وجمهور الأربعين وجمهور المراسيم إلى الإمام الحسين عليه السلام، صحيحٌ أنّه لا مصادمة بين الولاء للرموز الدينيّة والولاء للإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّ الولاء الحسينيّ هو العنوان الأكبر وهو الذي يُشكّل عنوان الانتماء.

إنّ الولاءات والانتماءات الدينيّة والثقافيّة والسِّياسيّة في الداخل أو الخارج إذا كانت لا تتناقض مع الولاء والانتماء العقيديّ فهي لا تُشكّل مشكلة، وعندها تبقى تلك الولاءات والانتماءات تتغذى من العنوان الكبير (ولاء وانتماء العقيدة) وعندها أيضًا لن يتصادم الولاء والانتماء للداخل مع الولاء والانتماء للخارج ما دام كلا الولاءين والانتماءين يتغذّيان من الولاء والانتماء للعقيدة.

متى تشكّل الولاءات والانتماءات مشكلة للإنسان؟

حينما تتناقض مع الولاء والانتماء العقيديّ، وعندها تسقط كلّ الولاءات والانتماءات، فالمسألة ليست انتماء وولاء للخارج يتنافى مع الانتماء والولاء للداخل، فربّما توافق هذان الولاءان وهذان الانتماءان إلّا أنّهما معًا يتنافيان مع الانتماء والولاء العقيديّ، فلا قيمة لهذا التوافق بين الداخل والخارج.

إذن نصنّف حالات الانتماء والولاء الدينيّ أو الثقافي أو السِّياسيّ إلى الحالات التالية:

الحالة الأولى:

أن يتوافق الانتماء والولاء في الداخل والخارج مع الانتماء والولاء العقيديّ فلا مشكلة في هذه الحال، وإن اختلف الداخل مع الخارج.

الحالة الثانية:

أن يتناقض الانتماء والولاء في الداخل والخارج مع انتماء وولاء العقيدة، وهنا يتعيّن على الإنسان أن يرفض خيار الداخل وخيار الخارج ليبقى مع خيار العقيدة.

الحالة الثالثة:

أن يتناقض الانتماء والولاء في الخارج دون الداخل مع الانتماء والولاء العقيديّ فلا مشكلة في الجمع بين الانتماء والولاء للعقيدة والانتماء والولاء للداخل، ويجب رفض الانتماء والولاء للخارج.

الحالة الرابعة:

أن يتناقض الانتماء والولاء في الداخل دون الخارج مع الانتماء والولاء العقيديّ، فلا مشكّلة في الجمع بين الانتماء والولاء للعقيدة والانتماء والولاء للخارج، ويجب رفض الانتماء للداخل.

والخلاصة:

إنّ إشكاليّات الانتماء والولاء يجب أن تُعالج بعيدًا عن الانفعالات والاتّهامات ممّا يُعقِّد الأمور ويُربك الأوضاع.

كيف نقوّم نجاح مراسيم العزاء الحسينيّ في تأصيل حركة الانتماء والولاء إلى خطّ الإمام الحسين عليه السلام؟

هل نقوّم النجاح من خلال:

أ- كثافة عدد المشاركين في هذه المراسيم؟

ب- تنوّع وتعدّد الفعّاليّات؟

ج- مستوى الحماس العاطفي؟

د- مستوى طرح الشعارات الكبيرة؟

-الأمر ليس كذلك.

إذًا كيف نقوّم نجاح هذه المراسيم؟

نجاح هذه المراسيم يتحدّد من خلال:

١- مستوى خطاب المراسيم:

أن يكون الخطاب بمستوى الأهداف الحسينيّة:

- خطاب المنبر.
- خطاب الموكب.
- خطاب الشّعارات.
- خطاب الفعّاليات.

٢- مستوى جمهور المراسيم:

أن يكون الجمهور بمستوى الأهداف الحسينيّة (تحريك الأهداف في واقع الجمهور العاشورائيّ والأربعين: الواقع الروحيّ، الأخلاقيّ، العقائديّ، الثقافيّ، الاجتماعيّ، السّياسيّ).

٣- أجواء المراسيم:

أن تكون الأجواء بمستوى الأهداف الحسينيّة.

٤- أن يكون الإشراف بمستوى الأهداف الحسينيّة.



مدرسة عاشوراء ودورها في الحفاظ على استمراريّة خطّ الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام (١)

إذا كان للمسجد دوره، وللقلم دوره، وللحوزة دورها في حماية خطّ الولاء، فإنَّ مدرسة عاشوراء تتميّز بدورها الكبير الكبير في إنجاز هذا الهدف، فمن أهم أهداف مدرسة عاشوراء الحفاظ على استمراريّة خطّ الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وقد استطاعت هذه المدرسة العاشورائيّة من خلال المنبر، ومن خلال الموكب، ومن خلال كلّ الفعّاليات الهادفة أن تحافظ على ديمومة وبقاء خطّ الولاء لأهل البيت عليهم السلام في وعي الأجيال، وفي وجدان الأجيال، وفي حركة الأجيال.

ما هي أهم الأبعاد التي مارستها مدرسة عاشوراء من أجل الحفاظ على استمراريّة وبقاء خطّ الولاء عند الأجيال؟

من أهمّ هذه الأبعاد:

- ربط الأجيال عقائديًّا بخطّ الولاية.
- ربط الأجيال ثقافيًّا بخطّ الولاية.
- ربط الأجيال روحيًّا وأخلاقيًّا وسلوكيًّا بخطّ الولاية.
- ربط الأجيال رساليًّا وجهاديًّا بخطّ الولاية.

---

(١) حديث الجمعة رقم (٥٠)، مسجد الإمام الصّادق عليه السلام/ القفول، ١٣ محرم ١٤٢٥هـ، الموافق ٥/٣/٢٠٠٤م.

البُعد الأول: ربط الأجيال عقائديًّا بخطّ الإمامة، وخطّ الولاية:

مارست مدرسة عاشوراء دورها في ربط الأجيال عقائديًّا بخطّ الإمامة والولاية وكان لخطاب عاشوراء وأجواء عاشوراء ومنابر عاشوراء ومواكب عاشوراء الدور الفاعل والمؤثّر في تأصيل الانتماء لدى أجيال الأمّة، وجماهير الأمّة.

ونحن حينما نتحدّث عن قضيّة (الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام) لا ننطلق من فكرٍ متعصّب أو من حالة مذهبيّة، كما يحلو للبعض أن يفهم ذلك.

الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام - وِفْق المنظور الذي أكّدته النصوص والروايات - هو أحد المكوّنات الأساسيّة في الانتماء إلى الإسلام.

أنا لا أفهم انتمائي إلى الإسلام إذا غاب في عقلي وفي قلبي، وفي سلوكي مبدأ الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام.

أنا لا أفهم انتمائي إلى الإسلام إذا غاب الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام في العقيدة، في الفقه، في الأخلاق، في الثقافة، في التفسير، في الاستنباط...

قد يقال:

أليس في حضور القرآن، وفي حضور السُنَة النبويّة كفاية؟

نعم، لا يكون القرآن حاضرًا إذا غاب الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام: لأنّهم ترجمان القرآن، ولا تكون السُنّة حاضرةً لأنّهم حملةُ السُنّة.

هذا موضوع حسّاسٌ ومهمٌّ جدًا لست هنا في صدد تناوله، وما يهمّني التأكيد عليه في هذه الإشارة العابرة، أنَّ مبدأ الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام هو عنصر أساس في مكوّنات العقيدة، وفي مقوّمات الإيمان وفي مرتكزات الرسالة، فالتفريط فيه يُحدث خللًا كبيرًا في البنية العقيديّة والإيمانيّة والرساليّة.

- عن أبي عبيد بن محمد بن عمّار بن ياسر، عن أبيه، عن جدّه عمّار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أوصي من آمن بي وصدّقني بولاية عليّ بن أبي طالب، من تولّاه فقد تولّاني

ومن تولّاني فقد تولّى الله، ومن أحبّه فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجلّ»[١].

- وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدنٍ التي غرسها ربي، فليوال عليًّا من بعدي، وليوال وليّه وليقتد بالأئمّة من بعدي، فإنّهم عترتي خُلقوا من طينتي، رزقوا فهمًا وعلمًا، ويلٌ للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[٢].

- وحديث الثّقلين المتواتر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدًا، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[٣].

- وحديث السفينة المشهور: قوله صلى الله عليه وآله:

«مثلُ أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[٤].

هذه أربعة نماذج، وكتب الأحاديث السُّنّيّة والشيعيّة مملوءة بالروايات الصحيحة التي تؤكّد مبدأ الولاء لآل محمد صلى الله عليه وآله، وما عسى أن تصنع وريقات وكتيّبات، أخذت تنتشر هنا أو هناك تحاول أن تُشكّك أبناءنا وبناتنا في انتمائهم وفي ولائهم للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، إنّها محاولات فاشلة، وتبعث على الأسف في هذه المرحلة التي تتهدّد الأمّة فيها أخطر المؤامرات وتستهدفها أخطر المشروعات.

إنّنا لا نرفض أن يتحرّك الحوار العلميّ الهادف النظيف، الحوار الذي يحمل الحبّ والصفاء، الحوار الذي يكرّس روح الأخوّة الإسلاميّة، أمّا هذه المحاولات

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٣٨/ ٣١، ب٥٧ (في أنّه عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه وأنّه يجب طاعته). ح ٨. (ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان)

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ٣٦/ ٢٦٩، ب٤١، ح ٩١.

(٣) الحاكم: المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٦٠. (ط ١٩٩٠م، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان)

(٤) النقوي: خلاصة عبقات الأنوار ٤/ ١٠٧، ح٧٩ (رواية محمد الصبّان). (ط ١٤٠٥هـ، مؤسّسة البعثة، طهران - إيران)

البائسة والتي تحمل لغة السبّ والشتم، ولغة التكفير والتضليل، ولغة التعصّب المذهبي الأعمى، فهي محاولات مرفوضة بما تعبّر عنه من أهداف مشبوهة، وغايات غير نظيفة. ولذلك فنحن نطالب المسؤولين في هذا البلد الذي عُرف بالتسامح والتآلف بين السُّنّة والشيعة أن يتصدّوا لهذه المحاولات التي تزرع الفتنة، وتنشر العداء، وتحرّك الصراعات المدمّرة.

وأنا لا أريد أن أُبرِّأ خطابنا أو أُبرِّأ منابرنا، أو أُبرِّأ أقلامنا، فهناك من يتحدّث بلغة غير علميّة، وهناك من يكتب بلغة غير موضوعيّة، وهناك من يعتمد أسلوبًا خاطئًا، وهناك من يثير الخلافات والصراعات. إنّنا نطالب العلماء والخطباء والكتّاب والمثقّفين الذين يُمارسون دور التعريف بفكر أهل البيت عليهم السلام، وبمفاهيم مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن يبتعدوا عن كلّ الأساليب التي تُسيئ إلى لغة الخطاب، ومنهج الخطاب، وأهداف الخطاب، ليكون الخطاب خطابًا علميًّا وموضوعيًّا ونظيفًا، هذا ما نريده لخطاب عاشوراء وهو يمارس دوره في الحفاظ على استمراريّة خطّ الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، والحديث عن مسألة الولاء لأهل البيت عليهم السلام لا يُشكّل إزعاجًا لأحد من المسلمين سُنّيًا كان أو شيعيًّا، ولا يشكّل عنصرًا للتوتّر والخلاف والعداء ما دامت المعالجة علميّة، وما دام الطرح موضوعيًّا، وما دامت اللغة نظيفة.

البُعد الثاني: ربط الأجيال ثقافيًّا بخطّ الولاية، وتوعية الأجيال بثقافة الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام:

مارست مدرسة عاشوراء دورًا واضحًا في توعية أجيال الأمّة بثقافة الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وهكذا أصبح جمهور عاشوراء مزوّدًا بثقافة كبيرة حول أهل البيت عليهم السلام، فالولاء للأئمّة عليهم السلام ليس انتماءً أعمى، وليس عاطفة لا تحمل وعيًا، وكلّما ارتقى مستوى الوعي، ومستوى الثقافة الولائيّة، كان الانتماء أكثر عمقًا وأقوى تجذّرًا، وأقدر على البقاء والامتداد.

ورغم محاولات التشويش التي واجهتها حركة الولاء للأئمّة عليهم السلام عبر التاريخ، والتي لا زالت مستمرّة إلى الآن، إلّا أنّها كانت ولا تزال قويّةً راسخة تتحدّى كلّ تلك المحاولات، وتتحدّى التشويشات والتشويهات والإثارات الكاذبة، وكان لمدرسة عاشوراء

الفضل الكبير في حماية وعي الأجيال الولائيّة، وفي الحفاظ على ثقافة الانتماء، وفي التصدّي لكلّ محاولات التشويش والتشويه والإساءة، ولخطورة هذا الدور المناط بمدرسة عاشوراء وبخطاب عاشوراء، وبفعّاليّات عاشوراء فإنّه يجب أن تتوافر المدرسة العاشورائيّة على كفاءات واعية، وأن يتوفّر الخطاب على مؤهّلات مثقّفة، وأن تتوفّر الفعّاليات على قدرات متميّزة.

من الخطر جدًا على مدرسة عاشوراء وعلى خطابها وعلى فعّالياتها أن تغيب الكفاءات الواعية، والمؤهّلات المثقّفة، والقدرات المتميّزة، وحتى تقوى هذه المدرسة العاشورائيّة على أداء دورها الكبير والخطير بكلّ كفاءة وجدارة، وحتى تقوى على الاستمرار في العطاء، وفي التواصل معًا على كلّ المستجدّات والتطوّرات والمتغيّرات، فإنّه يُفترض فيها:

١- أن تُجدّد في خطابها وفي أساليبها، وفي فعّالياتها.

٢-أن تتوفّر على مؤسّسات عصريّة في إعداد الكفاءات والقدرات والمؤهّلات القادرة على مواكبة مستويات العصر.

وفي هذا السياق فإنّا ندعو لتشكيل هيئات علميّة، وإقامة مؤتمرات من أجل دراسة وتقويم المدرسة العاشورائيّة في حاضرها ومستقبلها؛ لإعطائها دورها الكبير، وحضورها الفاعل، ومسؤوليّتها الخطيرة.

البُعد الثالث: تحصين أجيال الولاء روحيًا وأخلاقيًا وسلوكيًا (ربط الأجيال روحيًا وأخلاقيًا وسلوكيًا بخطّ الولاية):

وهذا من أهمّ الأدوار التي مارستها مدرسة عاشوراء، وخاصّة من خلال المنبر العاشورائيّ والذي استطاع عبر التاريخ أن يحصّن الأجيال المنتمية إلى خطّ الولاء ضدّ التميّع والتسيّب والانحراف والضياع.

ومسؤوليّة هذه المدرسة ومسؤوليّة خطابها، ومسؤوليّة كلّ فعّاليّاتها أن تتصدّى بقوّة لكلّ مشروعات الفساد الأخلاقيّ التي أخذت تنشط وتقوى وتتنوّع في هذا العصر، وباتت تهدّد أجيال الأمّة، فيجب على خطاب عاشوراء، أن يكون بمستوى التحدّي

الخطير، وأن تكون فعّاليّات عاشوراء بمستوى ضرورات هذه المرحلة، في مواجهة كلّ الخطط والمؤامرات التي تستهدف قيَم الأمّة وأخلاقها ودينها، وهذا يفرض على القائمين على هذا الخطاب، وهذه الفعّاليّات أن يملكوا مؤهّلات روحيّة وإيمانيّة عالية جدًا، ويحملوا درجات ومستويات كبيرة من الالتزام والصلاح والتقوى والورع، وإلّا كانوا يشكّلون تهديدًا خطيرًا لدور الخطاب وتهديدًا خطيرًا لمسؤوليّة الفعّاليات، كما يُفترض فيهم أن يتوفّروا على استقلاليّة تامّة عن المؤسّسات الرسميّة حتى لا يخضعوا لهيمنة القرار السِّياسيّ وتدخّلات السلطة...

إنَّ خضوع المسجد والحسينيّة والحوزة للمؤسّسة الرسميّة يُشكّل تهديدًا خطيرًا لدور هذه المواقع الدينيّة، ولذلك تُحاول سياسات الأنظمة في بلدان المسلمين أن تفرض هيمنتها على الخطاب الدينيّ بشتّى الوسائل، الترهيبيّة والترغيبيّة، لهذا كان موقفنا المتشدّد والرافض لمشروع إلحاق أئمّة الجمعة والجماعة بالكادر الوظيفي؛ لما لهذا المشروع من الخطر على استقلاليّة الخطاب الدينيّ، وقد أوضح ذلك بيان العلماء الذي صدر قبل أيام موّقعًا من أبرز علماء البلد.

البُعد الرابع: ربط الأجيال رساليًّا وجهاديًّا بخطّ الولاية (التعبئة الرساليّة والجهاديّة):

من أخطر وأهمّ الأدوار التي مارستها ولا زالت تُمارسها مدرسة عاشوراء، التعبئة الرساليّة والجهاديّة؛ مستلهمة ذلك من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ومواقف المجاهدين المبدئيّين في خطّ الولاء للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام.

إنَّ روح الرساليّة والجهاديّة التي تحملها أجيال الولاء للأئمّة عليهم السلام هي من عطاء مدرسة عاشوراء، والتي استطاعت من خلال خطابها المنتمي إلى ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ومن خلال فعّالياتها الموصولة بأهداف كربلاء: أن تكرّس عند أجيال الولاء روح الجهاد والعطاء والتضحية والشّهادة، ولهذا أعطى المنتمون لهذه المدرسة ولا زالوا يعطون دماءهم وأرواحهم في سبيل الحفاظ على هذا الانتماء، وهذا الولاء، والتاريخ يحمل الشواهد الكثيرة والكبيرة وقائمة الشهداء لا تُحصى، ولا زال التاريخ يحتفظ لدعبل الخزاعي شاعر الولاء بكلمته الجريئة: «أنا أحمل خشبتي على كتفي

منذ خمسين سنة لست أجد أحدًا يصلبني عليها»[1]، وأخيرًا سقط شهيدًا في خطّ الولاء لآل محمد صلى الله عليه وآله، حيث امتدت إليه الأيدي الآثمة واغتالته في عتمة الليل.

هكذا طريق الولاء لأهل البيت عليهم السلام طريقٌ مشحون بالعناء والابتلاءات والمحن الصعبة، طريق السجون والزنزانات، طريق الملاحقات والتشريد، طريق المشانق والإعدامات، طريق الشهادة والدماء...

قافلة الشهداء في تاريخ الابتلاءات كبيرة وكبيرة، ولازال عشّاق الشهادة يتسابقون للالتحاق بهذه القافلة المباركة.

في عصرنا هذا أعطى الشهيد السيد محمد باقر الصدر دمه في خطّ الولاء، وأعطت الشهيدة بنت الهدى دمها، وأعطى السيد مهدي الحكيم دمه، وأعطى الصدر الثاني دمه، وأعطى السيد محمد باقر الحكيم دمه، وأعطى الشيخ مطهّري دمه، وأعطى السيد دستغيب دمه، وأعطى السيد عبدالصاحب دخيّل دمه، وأعطى الشيخ عارف البصري دمه، وأعطى شهداء المقابر الجماعيّة في العراق دماءهم، وأعطى الشيخ راغب حرب دمه، وأعطى السيد عباس الموسوي دمه، وأعطى شهداء المقاومة دماءهم، وأعطت أرضنا الحبيبة عبر تاريخها دماءً ودماء.

وها هم عشّاق وزوّار الحسين عليه السلام يُعطون دماءهم في يوم عاشوراء الحسين عليه السلام، وعلى أعتاب ضريح الإمام الحسين عليه السلام، وأعتاب ضريح أبي الفضل العباس عليه السلام، وأعتاب ضريح الإمامين الكاظمين عليهما السلام... هنيئًا لهؤلاء الشهداء الذين التحقوا بقافلة شهداء عاشوراء، وبقافلة شهداء الولاء، والخزي والعار لأولئك الجبناء الحاقدين الذين باعوا ضمائرهم للشيطان، ونفـذّوا هذه الجريمة النكراء وقتلوا الأرواح البريئة، وسفكوا الدم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام.

إنَّ القوى الخيّرة في العالم تُدين هذا العمل الشنيع الذي يُعبّر عن خسّة ودناءة وحقارة، وتستنكر هذا السّلوك الشائن الذي أكّد بلا أدنى شكٍّ أنّ الأيدي الملوّثة التي خطّطت له ونفّذته هي أيدي خائنة للدّين وللقيم وللإنسانيّة، خائنة للسّنة والشّيعة،

---

(١) الأميني: الغدير ٢/ ٣٦٩، ترجمة دعبل الخزاعي.(ط٤، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان)

خائنة للشعب العراقي، خائنة للمقدّسات والمقدّرات.

إنّنا بهذه المناسبة الأليمة نرفع عزاءنا إلى صاحب العصر الإمام الحجّة بن الحسن ﷺ وإلى المراجع العظام وإلى الشعب العراقي وإلى الأمّة جمعاء سائلين المولى القدير أن يتغمّد الشّهداء بوافر رحمته ومغفرته، وأن يمنَّ على الجرحى بالشّفاء العاجل، وأن يربط على القلوب المفجوعة بالصبر والرضا بقضاء الله وقدره.

القسم الثالث

عاشوراء.. معالجة نقدية

- كيف يجب أن نتعاطى مع ذكرى عاشوراء؟
- الإحياء الحقيقيّ لعاشوراء.
- المراسيم الحسينيّة معالجة نقديّة صريحة .
- موقعيّة المنبر الحسينيّ.
- التحقيق والتدقيق في مرويّات عاشوراء.
- وقفة نقد ومحاسبة للخطاب والشعار والمراسيم العاشورائيّة.
- عاشوراء ومسؤوليّتنا في حمل الخطاب الحسينيّ.
- الخطاب الحسينيّ وإشكاليّة ضرورات المرحلة.
- المأتم مؤسّسة دينيّة.
- كيف نقيّم [نقوّم] نجاحات الموكب الحسينيّ أو إخفاقاته.

١

كيف يجب أن نتعاطى مع ذكرى عاشوراء؟

كيف يجب أن نتعاطى مع ذكرى عاشوراء؟

- والسؤال بعبارة أخرى: كيف يجب أن نمارس أساليب الإحياء في ذكرى عاشوراء؟

من خلال هذا الحديث نحاول أن نتعرّف على الصيغة الأصيلة للتعاطي مع ذكرى عاشوراء أو الصيغة الأصيلة لأشكال الممارسة في إحياء ذكرى عاشوراء.

لماذا نحن في حاجة للتعرّف على هذه الصيغة الأصيلة؟

إنَّ غياب الصيغة الأصيلة في إحياء المراسيم العاشورائيّة يعني وجود البدائل الفاقدة للأصالة ومن هذه البدائل:

١- الممارسات المنحرفة عن أهداف الذكرى.

٢- الممارسات الخاطئة.

٣- الممارسات المتخلّفة.

وكلّما تكرّست هذه البدائل الفاقدة للأصالة في واقعنا أنتجت أجيالاً فاقدة للأصالة، وأنتم تعلمون كم لعاشوراء من دورٍ كبيرٍ وكبير في صياغة أجيال الأمّة، فبمقدار ما يكون التعاطي مع ذكرى عاشوراء واعيًا وناضجًا وأصيلاً، تكون الصياغة لأجيال الأمّة واعية وناضجة وأصيلة.

فمن الجناية على قضيّة عاشوراء، ومن الجناية على أجيال هذه الأمّة أن تبقى مسألة التعاطي مع الذكرى، وأن تبقى أساليب الإحياء لعاشوراء مأسورة لأنماط من الصيغ والممارسات التي لا تعبّر عن الوعي والأصالة. ممّا يجمّد دور القضيّة الحسينيّة في حركة الواقع الروحيّ والثقافي والاجتماعيّ والسِّياسيّ لهذه الأمّة.

وهنا تتجسّد مسؤوليّة كلّ القيّمين على حماية وعي الأجيال، وعلى حماية وعي المسيرة من علماء وخطباء ومثقّفين أن يمارسوا دورهم الفاعل في التصحيح والتغيير وفي التصدّي لكلّ أشكال التعبير المنحرفة والخاطئة والمتخلّفة والتي تُعطي لموسم عاشوراء صورة مشوّهة وصورة متخلّفة.

مسؤوليّة هؤلاء القيّمين من علماء وخطباء ومثقّفين هو الحفاظ على الوجه المشرق لعاشوراء الحسين عليه السلام، والحفاظ على الأهداف الكبيرة لهذه الذكرى.

وإنّ غياب هذا الدور الفاعل لصنّاع الوعي في حركة الأجيال، وصنّاع الأصالة في مسيرة الأمّة، يفسح المجال لصنّاع التخلّف، وصنّاع الجهل أن يصوغوا حركة الأجيال، وأن يوجّهوا مسيرة الأمّة بعيدًا عن خطّ الوعي، وبعيدًا عن خطّ الأصالة، الأمر الذي يؤدّي إلى مصادرة أهداف الثورة الحسينيّة وتجميد معطياتها في كلّ حركة الواقع بكلّ إمتداداته الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة.

إنّ عاشوراء الحسين عليه السلام تملك من الإمكانات الهائلة ما يموّن حركة الواقع بكلّ حاجاته وطموحاته ومتغيّراته، إلّا أنّ طريقة التعاطي مع ذكرى كربلاء، ونمط التعامل مع عاشوراء الحسين عليه السلام هو الذي يُوظِّف أو يُعطِّل، يُحرِّك أو يُجمِّد هذه الإمكانات.

من هنا أكّدنا على ضرورة التعرّف على الصيغة الأصيلة للتعاطي والتعامل مع ذكرى عاشوراء، وضرورة تفعيل هذه الصيغة في حركة الواقع.

ومن هنا أكّدنا على أهمية أن يتصدّى العلماء والخطباء وكلّ القدرات الثقافيّة والاجتماعيّة إلى ترشيد أساليب التعبير العاشورائيّة، وأشكال الممارسة في إحياء الذكرى.

قد يقال:

إنّ حماس الجماهير في ذكرى عاشوراء، وإنّ فوران العواطف وهيجان المشاعر، وغليان الانفعال مع المأساة لا يسمح أن تتحرّك أصوات التصحيح والترشيد، بل إن ردّات الفعل الغاضبة سوف تكرّس الأساليب الخاطئة، فمن الخير أن نصمت، ونترك للزّمن دوره في ترشيد وتطوير أساليب التعاطي مع ذكرى عاشوراء.

لذلك كثيرًا ما نسمع من بعض العلماء والخطباء والمثقّفين هذه المقولات: (قضايا عاشوراء لا يمكن أن نتدخّل فيها، إنّنا نخشى غضب الجماهير، ليس صحيحًا أن نواجه فوران العواطف، إنّ أسلوب الصدمة لا يصحّح الأوضاع الخاطئة، إنّ كلّ أشكال التعبير في ذكرى الحسين عليه السلام هي من الشعائر فلا يجوز إلغاؤها أو مواجهتها، إلى غيرها من المقولات).

إنّنا هنا لا نريد أن ندخل في مناقشة هذه المقولات.

ما نريد أنّ نؤكّده أنّ الصمت قد أدّى إلى تراكم بعض الظواهر في مراسيم العزاء الحسينيّ، وتحوّلت كلّ ألوان التعبير عن المشاعر وإن كانت خاطئة إلى (شعائر) تحمل القداسة، وهكذا ترتبك المعايير، وتفقد الأصالة مضمونها الكبير.

إنّ ألوان التعبير عن مشاعر المأساة في ذكرى عاشوراء يمكن أن تصنّف إلى طائفتين:

١- الطائفة الأولى:

ألوان من التعبير تنطلق من البعد الإنساني، وهي مدعومة بنصوص دينيّة، وشواهد تاريخيّة كالبكاء على الحسين عليه السلام. هذا اللون من التعبير لا يخضع لمؤثّرات الزّمان والمكان، فالبكاء الحسينيّ لن يتجمّد ولن يتغيّر فهو يتموّن من روافد دينيّة وإنسانيّة وتاريخيّة موصولة بأفعال المعصومين، إضافة إلى الخصوصيّة المتميّزة لمأساة كربلاء.

٢-الطائفة الثانية:

ألوان من التعبير تفرضها طبيعة الظروف الزمانيّة والمكانيّة، وهذه الألوان خاضعة للمؤثّرات والمتغيّرات فلا تملك صفة الديمومة والبقاء في شكلها وفي صيغتها، لنأخذ (الموكب الحسينيّ) مثالاً، هذه الظاهرة الحسينيّة تشكّلت في الواقع الشيعيّ في بعض مراحل التاريخ، للتعبير عن حالة من حالات التعاطي مع ذكرى عاشوراء، وقد استطاعت هذه الظاهرة الحسينيّة أن تستوعب حماس الجماهير الشيعيّة وأن تحافظ على حرارة الوهج العاطفي العاشورائيّ.

والسؤال الذي نطرحه هنا:

- هل أنّ الموكب الحسينيّ، منذ أن تشكّل كظاهرة في مراسيم العزاء وحتى الوقت الراهن قد اعتمد صيغة واحدة وشكلًا واحدًا؟
- وهل أنّ هذا اللون من التعبير يُمارَس بطريقة واحدة في كلّ مجتمعات الشيعة؟

من الواضح جدًا أنّ الموكب الحسينيّ في مراحله التاريخيّة قد أخذ صيغًا وأشكالًا متعدّدة، وكذلك تعدّدت الطرق بحسب تعدّد المجتمعات الشيعيّة.

من هنا نستطيع أن نقول أنّ لعامل الزّمان والمكان تأثيراته في تغيير وتطوير بعض أساليب التعبير والإحياء في ذكرى عاشوراء.

وفي ضوء هذا فنحن لا نجد أيّ إشكاليّة في الدعوة إلى إعادة النظر في صياغة بعض الأساليب والطرق المعتمدة في إحياء ذكرى عاشوراء لتكون هذه الذكرى قادرة على الحضور المتجدّد في كلّ حركة الواقع.

إنّ غياب الوعي التغييري في التعاطي مع الذكرى الحسينيّة، سوف يجمّد قدرتها الفاعلة على العطاء، وسوف يعطّل إمكاناتها في الحركة والتغيير.

فمن الضروري جدًا أن ينمو هذا الوعي التغييري من أجل الترشيد والتطوير أولًا ومن أجل الحماية والصيانة ثانيًا، وإذا كان الترشيد والتطوير يشكّل ضرورة لإعطاء ذكرى عاشوراء دورها في التواصل مع حركة الواقع، فإنّ الحماية والصيانة

تشكّل ضرورة للحفاظ على أصالة الصورة ونقائها.

وتأسيسًا على هذا الفهم نحاول أن نحدّد الاتّجاهات المتعدّدة في التعاطي مع ذكرى عاشوراء، وتبرز أمامنا ثلاثة اتجاهات:

الاتّجاه الأول: الاتّجاه الفكريّ المحض:

هذا الاتّجاه يتعامل مع ذكرى الحسين عليه السلام تعاملًا فكريًّا بحتًا مفرّغًا تمامًا من المضمون العاطفيّ، بل يحاول هذا الاتّجاه أن يشجب كلّ ألوان التعبير العاطفي من الرثاء والبكاء والحديث عن المأساة باعتبارها حالات سلبيّة مرفوضة.

فالتعاطي الحقيقي - وفق هذا الاتّجاه - أن نعيش كربلاء فكرًا وأهدافًا ومعطيات رساليّة وجهاديّة، وأن لا نستغرق في العواطف والانفعالات السلبيّة، الأمر الذي يُصادر المضمون الكبير لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

إنّنا نرفض هذا الاتّجاه، فالتعاطي الفكريّ المحض، والمفرّغ من المحتوى العاطفي، تعاطي جاف وراكد ويؤدّي إلى نتائج خطيرة من أهمها:

١- فتور في الانتماء، فغياب العاطفة يعني غياب الحرارة والنبض والحيويّة في الانتماء وغياب الانصهار والذوبان والتفاعل.

٢- جفاف في الروح، فالتعاطي الفكريّ البحت والخالي من العواطف يسبّب ضمورًا وجدبًا وجفافًا روحيًّا.

٣- ركود في الحركة، فالأفكار المجرّدة والمفرّغة من نبض العواطف لا تملك القدرة على صنع (الحركيّة والفاعليّة) ولا تملك القدرة على تنشيط الإرادة في داخل الإنسان.

من هنا نستطيع أن ندّعي بأنّ الثقافة البحتة التي لا تمتزج في داخلها شحنات العاطفة غير مؤهّلة لصياغة الإنسان الرساليّ الحركيّ.

في ساحتنا المعاصرة يوجد كثير من المثقّفين الذين ينتمون إلى الإسلام، ويمارسون عبادات الإسلام، إلّا أنّهم لا يعيشون حركيّة الإسلام، ولا يُساهمون في

فعّاليّات الإسلام، ولا يحملون همّ الإسلام لماذا؟ لأنّ هؤلاء يحملون الإسلام ثقافة مجرّدة، تعيش في أذهانهم فقط ولم تتحوّل إلى نبضات في القلب، وأحاسيس في المشاعر، وحرارة في الروح.

ولا شكّ أنّ ثقافة من هذا النوع ليست ثقافة الإسلام الأصيلة، لأنّ هذه الثقافة بما تملكه من حركيّة وفاعليّة لا يمكن أن تبقى قابعة في الأذهان، ولا تنساب في القلوب والضمائر، ولا تتحرّك في الأفعال والممارسات.

من خلال هذا الفهم نؤكّد خطأ الاتّجاه الأول الذي يحاول أن يصادر مسألة الزخم العاطفي في القضيّة الحسينيّة.

لهذا فنحن نرفض بقوّة أن يتحوّل موسم عاشوراء -العشر الأوائل من المحرم- إلى محاضرات مجرّدة، وندوات ثقافيّة، مهما أعطت هذه المحاضرات والندوات من زخم ثقافيّ وفكريّ لهذا الموسم.

إنّ بقاء الطابع المأساوي في مجالس عاشوراء مسألة ضروريّة، ولا يُسمح بالتفريط بها ولا مصادرتها، ولا يُسمح أن يوضع مكانها أيّ بديل آخر يجفّف روافد المأساة في هذا الموسم.

أيّها الأحبّة:

لا تتركوا لكلّ المحاولات التي تجمّد عنصر المأساة أن تخترق المراسيم العزائيّة.

هناك اتّجاه يدعو إلى أن تتحوّل المواكب إلى مجرّد مسيرات تحمل الشعارات الثوريّة والوطنيّة، وحتى نوفّر الفرصة لكلّ القوى الوطنيّة والعلمانيّة أن تُشارك في هذه المسيرات.

إنّنا نشجب هذا الاتّجاه بقوّة، إنّنا لا نرفض أن ترتفع شعارات ثوريّة ووطنيّة في مواكب العزاء ولكن من خلال شعارات كربلاء ومن خلال عنوان الحسين عليه السلام، على أن يبقى وهج المأساة يطبع كلّ المظاهر في هذه المراسيم العاشورائيّة.

لا تُصادروا أجواء عاشوراء من خلال أيّ عنوان مهما كان كبيرًا لأنّ عنوان عاشوراء هو العنوان الأكبر الذي يجب أن يستوعب كلّ العناوين.

نعم نحن ندعو إلى تطوير أساليب الطرح وصيغ العرض لقضيّة كربلاء ولكن يجب أن يبقى طابع عاشوراء.

كما ندعو إلى الارتقاء بمستوى المنبر الحسينيّ بما يتناسب وضرورات المرحلة ولكن يجب أن يبقى عنصر المأساة.

وندعو أن يكون للموكب الحسينيّ حضوره في كلّ قضايا العصر ولكن من خلال صوت الحسين عليه السلام.

الاتّجاه الثاني: الاتّجاه العاطفي المحض:

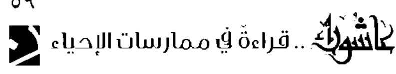
هذا الاتّجاه يعطّل دور الوعي والفكر، ويُعطي للعاطفة المجرّدة حضورها الكبير.

وكما تعلمون أنّ عاشوراء الحسين عليه السلام تُعطي للعاطفة زخمها المتأجّج، وفورانها المتصاعد، ويبلغ هذا التأجّج والفوران الذروة في اليوم العاشر من المحرّم، ويمارس الجمهور الشيعيّ التعبير عن هذا الهيجان العاطفي بأساليب متعدّدة، وكما أكّدنا في معالجة الاتّجاه الأول على ضرورة بقاء هذا الزّخم العاطفي، وضرورة التصدّي لأيّ محاولة تستهدف مصادرة أو تجفيف أو تخفيف زخم العاطفة وفورانها.

وإذا كان التعاطي الفكريّ المحض يُشكّل خطرًا على مسار التفاعل مع قضيّة عاشوراء، فإنّ التعاطي العاطفي المحضّ المجرّد من الوعي والفكر هو الآخر يُشكّل خطرًا كبيرًا على مستوى مسار الارتباط بقضيّة كربلاء، العاطفة التي لا تملك الوعي والبصيرة كثيرًا ما تنحرف، وتتيه وتضلّ، فقد جاء في الحديث: (العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير إلّا بعدًا)[1].

---

(١) الكليني: الكافي ١/ ٩٤، كتاب فضل العلم. ب١٢، ح١. (ط١. ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار الأضواء، بيروت - لبنان).



التاريخ يحدّثنا عن كثير من الشواهد:

المثال الأول:

الخوارج كانوا يحملون حرارة العبادة، وحرارة الأيمان، إلّا أنّهم كانوا لا يملكون البصيرة، ولذلك تاهوا وضلّوا وانحرفوا عن الطريق، أعلنوا الحرب ضدّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، هكذا تكون العاطفة التي لا تملك الوعي ولا تملك البصيرة.

المثال الثاني:

أهل العراق في عصر الإمام الحسين عليه السلام،كانت عواطفهم وقلوبهم مع الحسين عليه السلام، إلّا أنّ سيوفهم قد شهروها في وجه الحسين عليه السلام، هكذا العاطفة التي لا يصوغها عمق الإيمان.

المثال الثالث:

بعض المواكب الحسينيّة في العراق -في مرحلةٍ من مراحل التاريخ المعاصر- كانت تطرح (شعارات وردّات) تحمل أفكار الشيوعيين، وما كانت جماهير المواكب الحسينيّة واعية لمضامين تلك الشعارات والردّات، فكانت وفي زحمة الفوران العاطفي وباسم الحسين عليه السلام كانت تردّد الهتافات التي تتنافى مع أهداف الحسين عليه السلام.
هكذا العواطف الفارغة من الوعي والبصيرة، تكون عرضة للسرقة والابتزاز من قبل أعداء المبدأ والعقيدة، ومن قبل أنظمة الحكم والسِّياسة.

إنّ واقع المرحلة التي يعيشها شعبنا في البحرين، تحتاج إلى الكثير من الوعي وإلى الكثير الكثير من البصيرة.

فيجب على جمهورنا المؤمن في هذا البلد المسلم أن يتعامل مع الأفكار السِّياسيّة والأفكار الثقافيّة، والأفكار الاجتماعيّة بدرجات عالية من الوعي والبصيرة، وأن يعتمد (الرؤى الموثوقة) والصادرة عن المواقع المؤتمنة على الدين، وعلى القيم، وعلى المبادئ. ويجب أن لا تأسره العناوين الكبيرة فينزلق في متاهات تبعده كثيرًا عن إسلامه وعن عقيدته فيخسر آخرته ويخسر دنياه، لأنّ الذين لا يُؤتَمنون على الدّين

والقِيَم والمبادئ لا يمكن أن يكونوا أمناء على مطالب الدنيا المشروعة.

إنّ العواطف السِّياسيّة المفرّغة من الوعي الإيماني تُشكّل حالة تقود الجماهير في مسارات عشوائيّة متخبّطة.

فالحذر الحذر من الانسياق وراء كلّ شعار، مهما كان يملك من بريق وصدى وضجيج، الشعارات قد تكون كاذبة وزائفة وخادعة.

نكرّر التأكيد على ضرورة التوفّر على (الرؤية الشرعيّة البصيرة) في تحديد الموقف من كلّ الأفكار المطروحة في الساحة الثقافيّة، والاجتماعيّة، والسِّياسيّة، وفي تحديد الموقف الشرعي من كلّ المشروعات المتحرّكة في هذه المرحلة.

وخلاصة القول حول الاتّجاه الثاني الذي يُحاول أن يُعطّل دور الوعي والفكر ويكتفي باستنفار العاطفة، هذا الاتّجاه يفرغ عاشوراء من مضامينها وأهدافها ومعطياتها، ويُعرِّض جمهور عاشوراء على الاستغلاليّات المنحرفة والمشبوهة، والانقيادات الساذجة والمتخلّفة، ويجمّد قدرة الذكرى - ذكرى عاشوراء الحسين عليه السلام - على الانفتاح والتواصل مع كلّ المتغيّرات والمستجدّات في حركة الواقع الثقافي والاجتماعيّ والسِّياسيّ.

الاتّجاه الثالث: الاتّجاه الفكريّ العاطفي:

هذا الاتّجاه يعتمد في التعاطي مع عاشوراء:

١- عنصر الوعي والبصيرة بكلّ معطيات وأهداف ومنطلقات الثورة الحسينيّة.

٢- الانصهار العاطفي مع المعطيات والأهداف والمنطلقات، ومع مضمون المأساة في قضيّة كربلاء.

وهنا تكون العاطفة واعية بصيرة، والفكرة فاعلة متحرّكة، فالعاطفة الحسينيّة تبعث عند الجماهير الحركة والحرارة والاندفاع، والفكرة الحسينيّة الواعية والبصيرة تصوغ الرؤية والنضج والوضوح.

وهكذا تلتحم العاطفة النابضة بالحرارة مع الفكرة البصيرة الواعية لتشكّل الصيغة الأصيلة في التعاطي مع ذكرى عاشوراء، ويتحمّل خطباء المنبر الحسينيّ مسؤوليّة كبيرة في تنمية هذا الاتّجاه الأصيل عند جماهير عاشوراء، وجماهير المنبر.

فالمنبر الحسينيّ يملك حضورًا متميّزًا في الواقع الشيعيّ، فبمقدار ما يحمل هذا المنبر من وعي وبصيرة ونضج وكفاءة عالية، تكون قدرته أكبر على صياغة وعي الأمّة، وتكوين رؤية الأجيال، وتأصيل حالة الانتماء إلى خطّ الثورة الحسينيّة.

ومن الخطورة جدًا على هذه الصياغة، وهذا التكوين، وعلى حركة التأصيل أن يهبط مستوى المنبر، وأن تنخفض كفاءات خطباء المنبر، الأمر الذي يؤدّي إلى تدنّي مستوى الوعي والأصالة عند جماهير هذا المنبر.

صحيحٌ إنّ وعي الجماهير أصبح محكومًا لمجموعة مؤثّرات، ومجموعة روافد، ولم يعد المنبر هو الموقع الوحيد الذي يغذّي هذا الوعي إلّا أنّ المنبر الحسينيّ لا زال يُعتبر الرافد الأكثر تأثيرًا في وعي الجماهير، فالتفاعل الروحيّ والوجداني والعاطفي مع المسألة الحسينيّة أعطى للمنبر خصوصيّته وتميّزه في التأثير الجماهيري.



الإحياء الحقيقيّ لعاشوراء

من أجل أن نتعرّف على النمط الأمثل لإحياء عاشوراء نُحاول أن نقرأ الأنماط الأخرى في سياق التعاطي مع هذه المناسبة.

وأبرز تلك الأنماط:

(١) التعاطي المضادّ لعاشوراء:

في الساحة التاريخيّة، وفي الساحة المعاصرة تشكّلت صياغات مضادّة لعاشوراء: تهدف إلى مصادرة كلّ أشكال التواصل مع قضيّة كربلاء، ومن أجل التشويش على أهداف عاشوراء.

وتَمثّل هذا الاتجاه المضادّ في أنظمة سياسيّة، وكيانات حاكمة، وقوى استكباريّة، ووجودات معادية، وثقافات منحرفة، وأجهزة إعلاميّة مضلّلة.

ولعلّ أهم دوافع ومبرّرات هذا الاتجاه المضاد:

- التناقض في الأهداف.
- الخوف من تأثير الثورة الحسينيّة على جماهير الأمّة.
- عاشوراء ترهب تلك القوى والكيانات.

(٢) التعاطي التحريفيّ:

ويتّجه هذا النمط من التعاطي إلى محاولة المصــادرة الداخليّة لعاشوراء، من دون حاجةٍ إلى التصدّي المضاد المكشوف كما هي الصياغة التي تبنّاها النمط الأول.

وتَمثّل هــذا الاتجــاه في إعطــاء تفســيرات خاطئــة لثــورة كربلاء، مــن هذه التفسيرات:

- ثورة انطلقت بدافع العامل الاقتصادي.
- ثورة فجّرها الصّراع الطبقي في المجتمع.
- ثورة حرّكتها صراعات الحكم.
- ثورة أوجدتها ظروف اجتماعيّة معيّنة.
- ثورة عبّرت عن عداء تاريخيّ بين البيت الهاشمي والبيت الأموي.

وهكذا حاول هذا الاتجاه بكلّ تفسـيراته أن يُصادر (المضمون العقائديّ لثورة الإمام الحسين عليه السلام) وأن يفرّغها من دلالاتها الإيمانيّة والمبدئيّة، والروحيّة.

وربّما تورّطت بعض التفسيرات في الخطأ نتيجة الخلط بين (منطلقات الثورة) و(الظروف الموضوعيّة للثورة)، ونتيجة الخلط بين «الأهداف» و«المبرّرات».

(٣) التعاطي الاستهلاكيّ:

وهنا يبرز نمطٌ من التعاطي لا يعادي عاشوراء ولا يُحاول أن يصادر أهدافها، كمــا في النمطين الســابقين، وإنّما هو نمــطٌ من التعاطي لم يرتق إلى مســتوى الوعي الحقيقيّ بأهداف عاشــوراء، ممّا أدّى إلى تجميد الكثير من عطاءات هذه المناســبة، وإلى تعطيل دورها الفاعل في صياغة حركة الأجيال، وبناء مكوّنات الأمّة، ومن المؤسف جدًا أنّ هذا اللون من التعاطي غير الواعي أصــبح يمتلك مســاحات واسعة في أوساط الأمّة، وفي أوساط جماهير عاشوراء.

ولكي نعطي لهذا النمط وضــوحًا أكثر نســتعين ببعض التطبيقات والممارسات المتحرّكة في موسم عاشوراء:

١- التطبير وضرب الظهور بالسلاسل:

ممارساتٌ لا تحمل مضمونًا عاشوريًّا أصيلًا، وربّما أساءت لأهداف عاشوراء، وأساءت إلى خطّ الانتماء إلى مدرسة عاشوراء.

٢- اللطم على الصدور:

عمل مشروعٌ ما دام يمثل تعبيرًا عن الحزن والمواساة في ذكرى عاشوراء، وأمّا إذا تحوّل هذا العمل إلى ممارسة من العنف والقسوة التي تؤدّي إلى الإضرار بالنفس بالدرجة المحرّمة شرعًا، أو تحوّل إلى شكلٍ من أشكال الاستعراض الذي لا يعبّر عن الحزن والمواساة، ولا يحمل دلالاتٍ تؤكّد أهداف عاشوراء فهو عمل استهلاكيّ فاقد للوعي والأصالة.

٣- استنفار العاطفة في موسم عاشوراء:

تعبيرٌ أصيلٌ للتعاطي مع ذكرى كربلاء، وإنّ أيّ محاولة لتجميد العاطفة الحسينيّة هي محاولة تهدف إلى مصادرة حالة التواصل مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام، وقد جاءت الروايات الصحيحة تؤكّد على ثواب الرثاء والبكاء من أجل الإمام الحسين عليه السلام.

ولكن إذا تجمّد التعاطي مع عاشوراء في المساحة العاطفيّة فقط، وغاب الانفتاح الواعي على أهداف عاشوراء، ومفاهيم عاشوراء، وقِيَم عاشوراء، فسوف يتحوّل هذا التعاطي إلى ممارسة انفعاليّة فارغة من المضمون الفكريّ الكبير، وإن عبّرت عن حالة الأسى والألم والحزن على مصاب الإمام الحسين عليه السلام، ورغم ما لهذا التعبير من قيمة، وماله من الأجر والثواب، إلّا أنّ هذه القيمة ترتقي كثيرًا، وأنّ هذا الأجر يعظم كثيرًا حينما يحتضن العاطفة العاشوريّة وعي ونضج واستيعاب أصيل لمضامين الثورة الحسينيّة وأهداف عاشوراء، ومسؤوليّة مجالس العزاء والذكرى، وإذا لم نعطِ للعاطفة جرعاتٍ كافية من الوعي والبصيرة فإنّنا نعطّل دور عاشوراء في صياغة وعيَ الأجيال.

(٤) التعاطي الإزدواجيّ:

ويمكن أن نفهم هذا النمط من التعاطي من خلال الأمثلة التالية:

١ - التعايش عاطفيًا مع عاشوراء، والتناقض عمليًا مع أهدافها:

فما أكثر الذين تتصاعد عندهم العاطفة الحسينيّة في موسم عاشوراء، ولكن كم هم الذين يطبّقون عمليًّا قِيَم عاشوراء؟

كم هم الذين يصوغون أفكارهم، وعواطفهم، وسلوكهم وفق المنهج الحسينيّ، ووفق مدرسة عاشوراء؟

كم هم الذين يتحرّرون في ذكرى عاشوراء من أخلاقيّات يزيد بن معاوية، ومن فسقه وفجوره، ومن ظلمه وجوره، ومن كلّ انحرافاته وفساده؟

من المؤسف أن نقول:

إنّ الكثيرين ممّن تتصاعد عندهم العاطفة في عاشوراء لا يملكون القدرة أن يتحرّروا من أسر الهوى والمعاصي والذنوب.

٢ - التعايش فكريًا مع عاشوراء والتناقض عمليًّا مع أهدافها:

البعض ينفتح فكريًا على مدرسة عاشوراء، ويتحدّث بوعي عن مفاهيم عاشوراء، ويمتلك الكثير من ثقافة عاشوراء، ولكنّه لا يترجمُ شيئًا من تلك الأفكار والمفاهيم والثقافة والقِيَم إلى واقع عمليّ في حياته؛ ممّا يعبر عن ازدواجيّة واضحة بين الفكر والسلوك.

٣- التعايش ثوريًا مع عاشوراء، والتناقض أخلاقيًّا وروحيًّا وسلوكيًّا مع أهدافها:

هناك من يتصاعد عندهم في موسم عاشوراء الحسّ الثوري والغضب الثوري والروح الثوريّة إلّا أنّهم لا يملكون (وعي الثورة الحسينيّة) ولا يملكون (أخلاقيّة الثورة الحسينيّة)، ولا يملكون (التزامات الثورة الحسينيّة وسلوكيّاتها).

لا قيمة للحس الثوري، والغضب الثوري، والروحيّة الثوريّة إذا غاب (الوعي) وغابت (الأخلاقيّة) وغاب (الالتزام).

(٥) التعاطي الأصيل (الإحياء الحقيقيّ لعاشوراء):

في ضوء القراءة السابقة لبعض أنماط التعاطي المرفوضة، يمكن أن نخلص إلى وضع المكوّنات الأساسيّة لعمليّة التعاطي الأصيل مع عاشوراء، والتي تشكّل بدورها (إحياء حقيقيًّا) لذكرى كربلاء.

ولا نجد حاجة إلى مزيدٍ من الشّرح والإيضاح في تناول هذه المكوّنات، فالقراءة المتقدّمة تلقي ضوءًا يُغنينا عن إعادة الحديث.

ويمكن أن نوجز هذه المكوّنات في العناوين التالية:

١- إمتلاك الرؤية الواعية والبصيرة في استيعاب مضامين وأهداف وقِيَم عاشوراء، وامتلاك القدرة في فهم كلّ القراءات الأخرى الخاطئة والمنحرفة، وبمقدار ما يرتقي مستوى هذه الرؤية، ومستوى هذه القدرة يكون التعاطي والإحياء أكثر عمقًا ونضجًا وأصالة.

٢- إمتلاك الدرجة الكبيرة من الصدق والإخلاص والإيمان في التعاطي مع عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، فلا يمكن أن يتأصّل هذا التعاطي، ويأخذ مساراته الحقيقيّة ما لم تحرّكه مكوّنات الإيمان والصدق والإخلاص، لتتحول الممارسات العاشوريّة إلى انطلاقات عباديّة تقرّبنا إلى الله تعالى.

٣- إمتلاك المستويات العالية من العاطفة الحسينيّة، بما تمثّله من انصهار وجداني وذوبان روحيّ في أجواء الذكرى، وبحجم الزخم العاطفي والوجداني تتوهّج الحرارة في التعاطي مع عاشوراء، ممّا يعطي للممارسات العاشوريّة حركيّتها وحيويّتها وفاعليّتها.

٤- إمتلاك التجسيد الحقيقي لمعطيات عاشوراء على مستوى الفكر والعاطفة والسلوك، ممّا يؤسّس لإنتاج (الجيل العاشوريّ) الملتزم بخطّ الثورة الحسينيّة

في منطلقاتها وأهدافها ومناهجها، وقيَمها، وأخلاقيّاتها، وفي كلّ عناصرها، ومن أبرز هذه العناصر ما تهدف إليه الثورة الحسينيّة من صنع (الحركيّة الرساليّة) التي تعطي للإنسان العاشوريّ دوره الفاعل في الجهاد والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي التضحية والفداء والشّهادة.

٥- إمتلاك ذهنيّة قادرة على إنتاج أساليب جديدة في إحياء عاشوراء ممّا يعطي للذكرى انفتاحها على كلّ حركة العصر، بما تحمله هذه الحركة من امتدادات وتغيّرات ومستجدات، والتواؤم مع معطيات العصر لا يعني الاستجابة لكلّ جديد مهما كانت صبغته وهويّته، وإنّما هو التأصيل لهذه المعطيات من خلال الرؤية الإيمانيّة ومنظوراتها الفكريّة والفقهيّة والروحيّة والأخلاقيّة والعمليّة ممّا يُشكّل ترشيدًا لحركة الواقع وانطلاقاته.



المراسيم الحسينيّة معالجة نقديّة صريحة(١)

في هذه الأيام نعيش الذكرى الفاجعة، فاجعة كربلاء، هذه الفاجعة التي تحتضن بين حناياها أعظم مأساة في التاريخ، كان ضحيّتها العترة الطاهرة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

حيث غدوا صرعى مضرّجين بدمائهم يفترشون ثرى كربلاء، وقد مزّقت أجسادهم سيوف البغي، ورماح الطغيان، وتناثرت أشلاؤهم تحت حوافر الخيول.

وبقيت نساؤهم أسارى حيارى نادبات، وبقيت أطفالهم يتامى، تلاحقهن سياط مسعورة، كلّما تندّت من مقلة طفلة دمعة، أو تحركت آهة، هوت السياط المجنونة، فتخرس الدمعة، وتتجمّد الآهة، وهكذا تشتد المحنة، ويتفاقم الخطب...

وزينب عليها السلام الأسيرة المثكولة تواجه الموقف بصبر وثبات، ترعى عليلاً قد أرهقته الآلام، وتحتضن صبية وصبايا ذاهلات، وتهدّئ نسوة باكيات نادبات.

هذا والقلب منها مشدود إلى الجسد المقدّس الذي يفترش الرمضاء، بلا مواراة، تناهبته السيوف والرماح وحوافر الخيول، وكذلك الأجساد الطاهرة الراقدة فوق الرمال الحمراء.

---

(١) حديث الجمعة رقم (٢٥)، مسجد الإمام الصّادق عليه السلام/ القفول، ٤ محرم ١٤٢٤هـ. الموافق ٧/٣/ ٢٠٠٣م.

هكذا ارتسمت خيوط الفاجعة، التي تجذّرت في ذاكرة التاريخ، وترسّخت في وجدان الزّمن، واحتضنتها القلوب العاشقة، وانصهرت معها الأرواح الظامئة. فكان الحزن الخالد، وكان البكاء المقدّس، وكانت مجالس الذكرى المتجدّدة، وكان المنبر، وكان الموكب، وكانت الشعائر، وكانت مراسيم عاشوراء.

دعونا ننتقل من لغة الوجدان والحبّ والعاطفة، إلى لغة النّقد والمراجعة والمحاسبة.

نبدأ بطرح هذا السؤال:

لماذا تحمّل الإمام الحسين عليه السلام،وآل الحسين عليهم السلام ، وأصحاب الحسين كلّ هذا العناء الصعب، وكلّ هذا البلاء الصعب، وكلّ هذه التضحيات والمحن والآلام؟

لا شكّ أنّ كلّ هذا من أجل الإسلام، من أجل الدّين، من أجل القرآن، فقضيّة كربلاء هي قضيّة الإسلام وقضيّة الدين وقضيّة القرآن، أراد الإمام الحسين عليه السلام من خلال ثورته أن يحدّد «الخطّ الأصيل» في حركة الإسلام وفي حركة الدّين، وفي حركة القرآن، في مقابل «الخطّ المنحرف» الذي أراد النظام الحاكم أن يكرّسه في واقع المسلمين.

وانطلاقًا من هذا الفهم نتساءل:

ما هو دور «المراسيم العاشورائيّة» في تركيز قيم الإسلام والدّين والقرآن في واقع الأمّة؟

وفي ضوء هذا التساؤل نحاول أن نعالج بعض قضايا «المراسيم الحسينيّة» معالجة نقديّة صريحة، وما لم نتوفّر على هذه المعالجات فسوف تتكرّس الحالات الخاطئة والمتخلّفة: الأمر الذي يؤدّي إلى «إجهاض» الأهداف الحقيقيّة لهذه «المراسيم»، كما يؤدّي إلى إعطاء الصورة المشوّهة التي تنعكس بسلبياتها على سمعة المذهب نفسه.

ورغم أنّ الصراحة في مثل هذه القضايا قد تكلّف الإنسان ثمنًا باهظًا، إلّا أنّ المسؤوليّة الشرعيّة تفرض علينا أن نقول الكلمة، ألسنا نعيش ذكرى كربلاء التي علّمتنا أن نكون الأقوياء من أجل الحقّ.

المنبر الحسينيّ:

«قضيّة المنبر الحسينيّ»، ما هي رؤيتنا لخطاب المنبر الحسينيّ، وما هي رؤيتنا لخطباء المنبر الحسينيّ - والحديث عن واقع المنبر الحسينيّ في البحرين خاصّة وإن كانت المسافات تتقارب في أغلب المناطق الشيعيّة.

- هل أنّ مستوى خطاب المنبر الحسينيّ - عندنا - يُشكّل المستوى المطلوب في هذا العصر؟
- وهل أنّ مستوى خطباء المنبر كما تفرضه حاجات المرحلة وضروراتها؟

في البداية يجب أن نثمّن دور الكثير من الخطباء المخلصين العاملين، بما قدّموه من خدمات كبيرة في الحفاظ على أهداف المنبر. وفي حماية خطّ الانتماء إلى مدرسة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وفي الدفاع عن قِيَم الإسلام، وفي صياغة الأجيال الملتزمة، إلّا أنّ هذا لا يُعفينا من ممارسة النّقد والمحاسبة من أجل التصحيح والتطوير.

وفي هذا السياق نقول:

بأنّ خطاب المنبر الحسينيّ - في بلدنا — لا زال في حاجة كبيرةٍ إلى التطوير، كما أنّ خطباء المنبر -عندنا - لا زالوا في حاجةٍ إلى ارتقاء ونهوض، ففي ظلّ المتغيّرات العلميّة والفكريّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة، وفي ظلّ القفزات الكبيرة في مستوى وعي الجمهور، وفي ظلّ التحدّيات الصعبة التي تواجه الإنسان المسلم، يبدو أنّ خطاب المنبر الحسينيّ لا زال دون المستوى المطلوب، إن لم يكن متخلّفًا في كثير من الأحيان، فهل تملك ساحتنا خطباء من الطراز الأول كما هم «النماذج» من الخطباء البارزين في الساحة الشيعيّة العالميّة؟

أنا لا أعتقد أنّنا تنقصنا القدرات الخطابيّة إلّا أنّها تعيش «التحجّم» و«الانغلاق» في داخل الساحة المحلّية، وبإمكانها لو طوّرت نفسها أن تكون من الطراز المتقدّم في الساحة الشيعيّة العالميّة، الواقع الخطابي - عندنا - لا زال كما قلت في حاجةٍ إلى النهوض والتجديد للخروج من حالات الضّعف والتخلّف...

ما هي الأسباب التي أدّت إلى نقص «المستويات الخطابيّة المتميّزة»، ولا أقول غياب «المستويات المتميّزة» ففي الساحة بعض النماذج، لكنّها قليلة، ولذلك عبّرت بنقص «المستويات».

- فما هي أسباب هذا النقص؟
- وما هي أسباب انتشار المستويات المتواضعة؟

وقبل أن نعالج الأسباب يجب أن نحدّد أهم المؤهّلات الأساسيّة التي تكوّن «الكفاءة الخطابيّة» وأعني هنا الخطابة الحسينيّة ونوجز هذه المؤهّلات فيما يلي:

١- المؤهّلات العلميّة والفكريّة والثقافيّة.
٢- المؤهّلات النفسيّة والروحيّة.
٣- المؤهّلات العلميّة والسلوكيّة والأخلاقيّة.
٤- المؤهّلات الاجتماعيّة والسِّياسيّة.
٥- المؤهّلات الفنيّة والخطابيّة.

فما هي الأسباب في نقص الكفاءات والقدرات الخطابيّة؟

السبب الأوّل:

عدم وجود «المؤسّسة» التي تعنى باختيار الكفاءات وإعدادها، وتأهيل الخطباء وإنتاجهم، كانت الطريقة التقليديّة التاريخيّة في إعداد خطباء المنبر الحسينيّ هي «التتلمذ والتصنّع» على يد خطيب معروف متميّز، وقد أنتجت هذه الطريقة مستويات جيّدة من الخطباء، إلّا أنّ هذه الطريقة اختفت، بل أصبحت غير قادرةٍ على الإنتاج في ظلّ المستجدّات والمتغيّرات، إنّ إعداد الخطيب في هذه المرحلة يحتاج إلى «عمل

مؤسّسي» مدروس، بعد أن أصبحت الجهود الفرديّة عاجزة عن إنتاج الخطيب المعاصر.

السبب الثاني:

القصور الذاتي لدى عددٍ من خطباء المنبر الحسينيّ، والإهمال والتقصير لدى البعض الآخر...

يوجد عددٌ من المتصدّين للخطابة لا يملكون قدرات ذاتيّة تؤهّلهم لأداء هذه المهمّة، ما خلا «القدرة الصوتيّة» والتي كثيرًا ما أغرت البعضٍ في اختيار هذا الطريق مهما كانت القدرات الأخرى، وإنّ غياب المؤسّسات المركزيّة المشرفة أتاح الفرصة لكلّ من تستهويه «مهارة الصوت» أن يلج هذا الميدان وإن كان فاقدًا لكلّ المؤهّلات...

وهناك نسبة من الخطباء يملكون «استعدادات ذاتيّة» ولكنّهم يقصّرون في تفعيل هذه الاستعدادات، ورغم أنّ الجهد الفردي قد يعجز أحيانًا إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّ هذا الجهد يفشل دائمًا، فمن الخطباء ما استطاعت جهودهم الذاتيّة أن ترقى بهم إلى مستويات متقدّمة، ومن هنا نؤكّد على أهمّية «الاجتهاد والمعاناة الذاتيّة» في تأهيل الخطيب الحسينيّ، ومن الملاحظ أنّ عددًا ليس قليلًا من خطباء المنبر الحسينيّ لا يبذلون الجهد المناسب لتأهيل أنفسهم على مستوى هذه المهمّة الخطيرة، وكما قلنا إنّ بعض الخطباء قد تغريهم أصواتهم فيكتفون بما يحصلون عليه من بعض الاشتهار...

السبب الثالث:

القائمون على شؤون المآتم والمجالس الحسينيّة يتحمّلون قسطًا من المسؤوليّة في انخفاض مستوى الكفاءات الخطابيّة...

قد تتساءلون:

وما علاقة هؤلاء القائمين بمسألة انخفاض المستويات الخطابيّة؟

هناك علاقة واضحة، فلو أصرّ القائمون على شؤون المآتم على اختيار الكفاءات

المؤهّلة، وأصرّوا على رفض الكفاءات غير المؤهّلة لشكّل ذلك حافزًا قويًّا على تحريك القــدرات وتنشـيط الإمكانــات، ولكــنّ الملاحظ أنّ الكثــير من هؤلاء المشــرفين على الحســينيّات، وربّما انطلاقًا من حســاباتٍ ماديّة لا يهتمّــون بالاختيار النوعي، وقد لا يعنيهم أكثر من «الصوت» والقدرة على «التنغيم»، فلا يعنيهم مستوى الوعي والثقافة، ولا يعنيهم المستوى الروحيّ، ولا يعنيهم مستوى الكفاءة الخطابيّة.

وهنا نؤكّد أن توفّر المسؤولين على عناصر الوعي والإخلاص والمبدئيّة الحسينيّة يساهم بدرجةٍ كبيرةٍ جدًا في تطوير مستوى المنبر وإنتاج الكفاءات الخطابيّة المؤهّلة، فكلّما كان المشــرف على شــؤون المأتم أكثر وعيًا وإخلاصًا ومبدئيّةً، كان دوره أكبر في الارتقاء بمســتوى المنبر من خلال الاختيار الأوعى والأصدق للقدرات الخطابيّة، وهنا نقترح أن تتشــكّل «هيئة مركزيّة» للتنســيق بين الحسينيّات، والاهتمام بمسألة اختيار الخطباء.

السبب الرابع:

إنّ جمهور المنبر الحسينيّ هو القوّة القادرة على محاسبة المستويات الخطابيّة، فهــذا الجمهور هو الذي يُعطي للخطيب حضــوره واشــتهاره. وبإمكانه أن يســلب منه ذلك، فجمهور المنبر الحســينيّ يتحمّل مســؤوليّة كبيرة وخطيرة، وكلّما كان الجمهور أكثر وعيًا وبصــيرةً، وأكثر إخلاصًــا وصــدقًا، وأكثر مبدئيّةً والتزامًــا كان دوره أكثر فاعليّة، وأقوى عطاء.

إنّنــا نحمّل الجمهور مســؤوليّة التصــدّي والمراقبة والمحاســبة في مواجهة كلّ المســتويات الخطابيّة المتخلّفة، وكلّ المســتويات العابثة، وكلّ المستويات التي تحاول أن تزرع الفتنة والفرقة في داخل الصــف المؤمن، إنّنا لا نريد أن نحرّض الجمهور، وإنّما نريــد مســؤوليّة هذا الجمهــور المؤمن الواعــي الملتزم في الحفاظ على أصــالة المنبر، وخطاب المنبر، وأن لا يتحوّل المنبر إلى وسيلة للتلاعب والعبث، مع احترامنا وتقديرنا لكلّ الكفاءات المنبريّة المخلصة الصادقة التي أعطت من جهدها وفكرها وإمكاناتها في خدمة أهداف الثورة الحسينيّة، وكان لها دورها الجادّ والفاعل في الحفاظ على أجيال الأمّة، وحماية مسيرة الولاء والإيمان، وهذا لا يُلغي ضرورة المراقبة والمحاسبة.

وحينما نطالب الجمهور الحسينيّ أن يمارس هذا الدور لا يعني أن يفرض الناس رغباتهم وإن كانت بعيدة عن أهداف المنبر الحسينيّ على الخطباء والدعاة والمبلّغين، الأمر ليس كذلك. فكما تعلمون أنّ للمنبر الحسينيّ أهدافه كما أنّ له شروطه ومؤهّلاته، فمسؤوليّة الجمهور الحفاظ على هذه الأهداف والشروط والمؤهّلات، في ضوء هذه المسؤوليّة يمارس الجمهور رقابته ومحاسبته، أمّا إذا انحرف الجمهور عن هذه الأهداف والمنطلقات فلا يملك صلاحيّة المراقبة والمحاسبة، فحتى يمارس الجمهور الحسينيّ دوره وصلاحيّاته يجب أن يتوفّر على مجموعة شروط:

١- أن يملك وعيًا ناضجًا بأهداف المنبر الحسينيّ.

٢- أن يملك إخلاصًا لهذه الأهداف.

٣- أن ينطلق عمليًّا في خط تلك الأهداف.

٤

موقعيّة المنبر الحسينيّ[١]

المنبر المفصل الأهمّ والأخطر:

إذا كان للموسم العاشورائيّ هذا الموسم المتجدّد في كلّ عام، والمتجذّر في وجدان الأجيال الشيعيّة، إذا كان هذا الموسم ينتظم مجموعة مفاصل مهمّة وخطيرة لا يكون لموسم عاشوراء حضورًا حقيقيًّا إلاّ من خلال ارتقائها جميعًا وتكاملها جميعًا، فإنّ المفصل الأهمّ والأخطر والأصعب هو مفصل المنبر الحسينيّ فمن خلاله يُصنع وعي عاشوراء، وتُصنع حرارة عاشوراء، وحركة عاشوراء، وحضور عاشوراء، وأجيال عاشوراء، وجماهير عاشوراء، ومجالس عاشوراء، وخطاب عاشوراء، ومواكب عاشوراء، وفعّاليّات عاشوراء، هكذا تتشكّل أهميّة وخطورة هذا المفصل.

إنّ ملتقى يحمل عنوان المنبر الحسينيّ ليس ملتقى استهلاكيًّا وترفيًّا ونظريًّا، إنّه ملتقى يجب أن يكون عمليًّا وجادًّا وفاعلاً وإلّا فهو مضيعة للجهد والوقت والمال، فبمقدار ما ينتج عمليًّا وبمقدار ما يحرّك وبمقدار ما يغيّر ويصحّح ويقوّم تكون قيمة الملتقى.

المسؤوليّات الخمس:

تتمركز كلّ مسؤوليّات المنبر الحسينيّ في خمس مسؤوليّات وتتمركز كفاءات المنبر الحسينيّ في خمس كفاءات، وتتمركز تحدّيات المنبر الحسينيّ في خمس تحدّيات، وتتمركز التّوصيات في خمس توصيات، والتمركز لا يعني الحصر والتحديد

(١) كلمة ألقيت في الليلة الثانية لمؤتمر عاشوراء الثاني شوال ١٤٢٨هـ . ٩/١١/ ٢٠٠٧م.

فالحديث مفتوح عن مسؤوليّات وكفاءات وتحدّيات وتوصيات، التّمركز هنا يعني أهميّة مجموعة عناوين وجدانيّة وهي:

(وأنا هنا سأفهرس فقط ولن أتحدّث عن تفصيلات هذه العناوين):

أولًا: المسؤوليّة العاطفيّة:

المسؤوليّة التي تتناول الجانب المأساويّ من واقعة كربلاء، وهذه مسؤوليّة لا يمكن التنازل عنها بحالٍ من الأحوال، وإن كنّا نصرّ على استخدام الوسائل الصّحيحة في تناول الجانب المأساوي وإبعاد كلّ الأساليب الدخيلة عن هذا الجانب.

ثانيًا: المسؤوليّة الفكريّة الثقافيّة:

ثالثًا: المسؤوليّة الروحيّة والأخلاقيّة، وهي:

تحصين الأمّة روحيًّا وأخلاقيًّا وتربويًّا.

رابعًا: المسؤوليّة الاجتماعيّة والسياسيّة:

خامسًا: المسؤوليّة الرساليّة والجهاديّة:

فهذه خمس مسؤوليّات مركزيّة تتفرّع عنها مجموعة مسؤوليّات أخرى.

الكفاءات الخمس:

والكفاءات المركزيّة في المنبر الحسينيّ هي خمس كفاءات:

الكفاءة الأولى: الكفاءة الروحيّة والأخلاقيّة..

وأؤكد في الكفاءة الروحيّة على عنصر الإخلاص، فالعنصر الأهمّ والأصعب في هذه الكفاءات هو عنصر الإخلاص لله سبحانه وتعالى. نريد خطيب آخرة، نريد خطيبًا ربانيًّا مخلصًا صادقًا مع الله سبحانه وتعالى، لا خطيبًا يبحث عن شهرةٍ ويبحث عن جاه، ويبحث عن مصالح ذاتيّة، ويبحث عن مال.

حديثٌ لا أريد أن أدخل فيه هنا لأنّي أخذت على نفسي أن أفهرس فقط الكفاءة الروحيّة والأخلاقيّة، وأؤكّد في الكفاءة الأخلاقيّة على الصّدق، وأن يكون الخطيب صادقًا فيما ينقل.

الكفاءة الثانيّة: الكفاءة العلميّة والثقافيّة..

الكفاءة الثّالثة: الكفاءة السّلوكيّة (التقوى والورع)..

وهي كفاءة من أخطر الكفاءات التي يُفترض أن يتوافر عليها خطيب المنبر الحسينيّ حين أعدّ نفسه لِئَنْ يكون صانع أمّة، وصانع أجيال، وصانع جماهير، فإذا لم يكن الخطيب المتصدّي يملك درجة ليست عاديّة، درجة عاليّة من التقوى والورع فإنّه سيتحوّل إلى كارثةٍ خطيرة على خطّ المنبر الحسينيّ.

فالكفاءة الثّالثة، هي: الكفاءة السلوكيّة (التقوى والورع)، وهنا أؤكّد على عنصر التقوى حتى لا نكون من الذين يأمرون النّاس ولا يأتمرون ويُصلحون النّاس ولا ينصلحون، فينطبق علينا الحديث الذي جاء عن أحد المعصومين عليهم السلام حيث قال: يطلع قوم من أهل الجنّة على قوم من أهل النّار فيخاطبونهم ما لكم دخلتم النّار ولم ندخل الجنّة إلّا بفضل مواعظكم، إرشاداتكم، توجيهاتكم فنحن دخلنا الجنّة وأنتم دخلتم النّار، قالوا: كنّا نأمركم ولا نأتمر، وننهاكم ولا ننتهي[1]. (أسأل الله العصمة).

الكفاءة الرّابعة: الكفاءة الرساليّة..

الكفاءة الخامسة: الكفاءة الذاتيّة والفنيّة..

وهذه لها عناصرها الكثيرة.

---

(١) الأصفهاني: حلية الأولياء ٢/ ٢٨٥، طبقة أهل المدينة، قتادة بن دعامة. ونص الحديث كما جاء في المصدر: (عن قتادة، قال: إنّ في الجنّة كوى إلى النار فيطّلع أهل الجنّة من تلك الكوى إلى النّار، فيقولون: ما بال الأشقياء وإنّما دخلنا الجنّة بفضل تأديبكم، قالوا: إنّا كنّا نأمركم ولا نأتمر، وننهاكم ولا ننتهي).

التحدّيات الخمس إجمالاً:

التحدّيات المركزيّة، وأقول أيضًا هي تحدّيات خمس:

١- تحديّات الإعداد والتّأهيل.

٢- تحدّيات المأسسة أو ما نسمّيه العمل المؤسّسي.

٣- تحدّيات الوعي والطرح، التحدّيات الفكريّة والثقافيّة، تحديّات اللغة، تحدّيات الأسلوب، هذه عناوين مفهرسة.

٤- تحدّيات اجتماعيّة اقتصاديّة سياسيّة.

٥- تحدّيات الإصلاح المنبريّ.

هذه خمس تحدّيات مركزيّة تواجه المنبر الحسينيّ.

التوصيات المركزيّة:

١- اعتماد منهج علميّ لإعداد وتأهيل الخطيب النّموذجيّ.

٢- اعتماد العمل المؤسّسيّ، مؤسّسة مركزيّة للخطباء، مجلس، جمعيّة، رابطة، هيئة. مركز للدراسات المنبريّة، معاهد خطابيّة، دورات خطابيّة، فهذه عناوين فرعيّة.

٣- فعّاليّات تُعنى بالشّأن الخطابيّ، مؤتمرات، ملتقيات، ندوات، مواسم ثقافيّة، مجلّة تخصّصيّة، مكتبة متخصّصة بالشّأن الحسينيّ.

٤- لجنة رقابة وإشراف ومتابعة لأوضاع المنبر والخطباء.

٥- مشروع لكتابة تراث المنبر الحسينيّ في البحرين أو في المنطقة الخليجيّة بكاملها.

هذه خمس توصيات مركزيّة.

التحدّيات تفصيلاً:

ذكرت مجموعة تحديّات تواجه المنبر الحسينيّ...

التحـدّي الأوّل: تحـدّي الإعـداد والتأهيـل، وأقصـد بتحـدّي الإعـداد والتأهيل:

١- لا زال المنهـج لإعداد الخطيب منهجًا تقليديًّـا عفويًّا فرديًّا، هذه الطريقة التقليديّـة قـد أنتجت لنا عـبر التأريخ الخطبـاء، وأنتجت لنـا روّاد منابر، لا نريـد أن نظلم هذه الطريقة التي اعتمدها آباؤنا وأجدادنا، وهذه الأجيال من الخطباء صنعتها هذه الطريقة التقليديّة التي يعرفها كلّ الخطباء.
لكن هذه الطريقة التقليديّة في إعداد وتأهيل خطباء المنبر الحسينيّ أصبحت اليوم عاجزة عن إعداد الخطيب المؤهّل في هذا العصر، صحيح هي أدّت دورها في مرحلـةٍ من مراحل التأريخ في إعداد الخطبـاء، وجزى الله خطباءنا الآباء والأجـداد، لكنّ هـذه الطريقة التقليديّـة والعفويّة والفرديّة أصـبحت عاجزة عـن إعداد الخطيب المؤهّل في هذا العصـر، خطيب بهذا المسـتوى، ومسـتوى التحدّيات، ومسـتوى المسـؤوليّات في هذا العصر، يحتاج إلى إعداد وتأهيل قد تعجز الطريقة التقليديّة عن إنتاجه.

٢- الطريقـة التقليديّة بطيئة لا تتناسـب مع الحاجات والضّـرورات القائمة، هناك الآن موضـوعات مسـتعجلة وملحّة وتحتاج إلى تزويد السّـاحة بكفاءات متطوّرة، يعني لو اعتمدنا الطريقة التقليديّة الدّارجة المألوفة سنجدها طريقة بطيئة جدًّا وغير قادرة على تلبية الحاجات الضروريّة في هذا العصر.

٣- الكمّ محدود لا يُغطي الحاجة، هذه الطريقة كم سـتنتج لنا من الخطباء؟ لو اعتمدنا هذه الطريقة التقليديّة؛ أنّ الخطيب معه صـانع وتبقى هذه الحالة كحالة تدريبيّة، جيّد وضـروري، لكن أقـول لو اعتمدنا هذه الطريقة فقط فلن تُنتج لنا الكمّ من الخطباء الذي يُشكّل حاجةً ضروريّة في هذه المرحلة.
ولا زالت مؤهّلات الإعداد في حاجةٍ إلى تطوير وتجديد، البعض يعتمد المهارات الصـوتيّة والفنيّة كأسـاس، صحيح أنّ المهارات الصـوتيّة أساسيّة، والخطيب الـذي ليسـ عنده صـوت والذي ليس عنـده قدرات صـوتيّة هذا لا يصـلح أن يكون خطيبًا حسـينيًّا، فليكن علاّمة زمانه، فإنّه لا يسـوى فلسًـا عند النّاس،

فالكفاءات الصوتيّة والمهارات الصوتيّة عنصرٌ أساسيّ لا نشكّ فيه، ولكن أقول: ليست هي العنصر الوحيد، بل يجب أنْ تدخل معه مجموعة عناصر أساسيّة، فليست الغاية التأكيد على المهارات الصوتيّة والفنيّة، بل لا بدّ من التأكيد على المهارات العلميّة والفكريّة وبقيّة المؤهّلات الأخرى الضروريّة.

إذًا أمام المنبر تحدّي المنهج، منهج الإعداد، هذا يشكّل تحدّيًا صارمًا، فالحاجة ملحّة أن نصوغ منهجًا لإعداد الخطيب يتناسب مع حاجات هذه المرحلة، ويتناسب مع ضروراتها.

ضرورة المؤسّسة الحسينيّة

التحدّي الثّاني: تحدّي المأسسة والعمل المؤسّسي:

غياب العمل المؤسّسيّ يُشكّل أخطر التحدّيات، لم يعد المشروع المنبري مشروع أفراد، الآن نحن في عصر مؤسّسات، في عصر كيانات نظاميّة، فلا يمكن أن يبقى مشروعنا الخطابيّ وهو المشروع الأخطر في جسم الأمّة يبقى ممارسات فرديّة...

يعني كلّنا نواجه تحدّيات المرحلة، المنبر يواجه تحدّيات المرحلة، وضرورات المرحلة بممارسات يقوم بها هذا الخطيب أو ذاك الخطيب، من هنا أقول لا بدّ أن ندخل هذا العصر بعقلٍ مؤسّسي، وأخطر مقطع في الأمّة المفصل المنبريّ الحسينيّ، كما هو المفصل العلمائيّ أيضًا، من هنا يجب أن نواجه تحدّي العمل الفرديّ، وتحدّي العمل المؤسّسي، والتفكير في المشروع المؤسّسي الذي يُحرّك أو يرتقي بمستوى التأهيل والأداء، لن نرتق بمستوى التأهّيل والأداء من خلال جهود فرديّة، ما لم نتوافر على مشروع مؤسّسي، لن نرتق بإعداد وتأهيل الخطيب إلى المستوى الذي ينتج لنا الخطيب النموذجيّ في هذا العصر، فالعمل الفرديّ لم يعد قادرًا على مواجهة مسؤوليّات المرحلة، وضرورات العمل المؤسّسي من أجل الإعداد والتأهيل، ومن أجل ممارسة المسؤوليّات...

أنت الآن لا تواجه مسؤوليّات فرديّة، تواجه تحدّيات أنظمة سياسيّة، وتحدّيات مؤسّسات ثقافيّة تواجه فكرك وتواجه خطّك، تواجه مشروعات دوليّة، مشروعات تغريب، ومشروعات ثقافيّة، ومشروعات سياسيّة، ومشروعات اجتماعيّة، أنا أواجه

هذا التحدّي الكبير بجهود فرديّة، وهذا الخطيب بجهود فرديّة يواجه، وذاك الخطيب بجهود فرديّة يواجه، أم نحتاج إلى مشروع مؤسّسة تواجه التحدّيات، تكون قادرة على مواجهة هذه التحدّيات، من هنا المشـروع المؤسّسـي أصـبح ضـرورة جدًا في مواجهة التحدّيات...

المشـروع المؤسّسـي يُشـكّل ضـمانة للخطيب، مع الأسـف الآن يبقى الخطيب يُمارس دوره ثلاثين سنة أربعين سنة، يعجز، يمرض، يبقى في بيته لا أحد يدري عنه، هـذا الـذي أعطى للمنبر وأعطى للأمّـة وأعطى للنّاس من عمره هـذا العمر الطويل وعجـز عـن أنْ يمارس وظيفتـه لا أحد يدري عنه؟، وقد يموت جوعًـا في بيته ولا أحد يدري عنه!!

بينما لو وجدت المؤسّسـة التي تحتضن، تُشكّل ضمانات، تشكّل حصانة، تشكّل حماية للخطيب، هكذا يُشكّل العمل المؤسّسي أحد التحدّيات الصعبة التي تواجه المنبر الحسينيّ.

محاولات لإنشاء المؤسّسة الحسينيّة:

انطلقـت عـبر تاريخ طويل مجموعـة تجارب لمأسسـة العمل المنـبريّ، ولعلكم تقـرأون في الكتابـات وبعضـكم عاصـر هـذه التّجارب، وبعضـكم قد يقـرأ عن هذه التّجارب، والتي يمكن أنْ نقرأها ونستفيد منها، ونحاول أنْ نرى ما هي الأسباب التي أدّت إلى فشلها؟

من هذه التجارب المؤسسة، أصيبت بانتكاسات، أصيبت بفشل، لماذا هذا لا بدّ من دراسته؟

محاولة الشيخ المظفر:

حينما نقرأ عن تجربة منتدى النّشر في النّجف الأشرف (أسّس من قبل الشّيخ المظفّر رضوان الله عليه) في تطوير أسلوب الأداء المنبريّ، هذه التّجربة واجهت تحدّيًا، وواجهت محاصـرة، وواجهت محاربة شـديدة جدًّا، وشيء طبيعيّ أنّ المشـروعات التأسيسيّة التغييريّة التجديديّة تُواجه، ليس دائمًا الذين يواجهون المشـروع هم أعداء للحسـين،

ولا هم أعداء للخطباء، ولا هم أعداء لهذا المشــروع، لكن قد تكون العقليّة التي تحكم بعضــ النّاس تجعله يرفض، وربما خشــية على المنبر الحســينيّ البعض يرفض العمل المؤسســيّ بدعوى أنّ هذا العمل المؤسســيّ قد يصادر المشــروع الحسينيّ، قد يصادر المدرسة الحسينيّة، قد يصادر الخطاب الحسينيّ.

ولذلك منذ أنّ تحرّكت المواجهة لمشــروع الشّــيخ المظفّر في النّجف الأشــرف - وكما ذكر لي الشّــيخ الوائليّ ﷺ وكان هو ضمن هذا المشروع - يقول: حقيقة لمّا طرح مشــروع الشّــيخ المظّفر بالنّجف الأشرف أثيرت ضــجّة خطيرة جدًّا في وسط النّاس، في الســوقة، في وسط الطلبة، أنّ هذا مشروع جاء من أجل أن يصادر قضيّة الحسين، يقول: (نحن اختفينا لأيام لا نســتطيع الخروج للشّارع، الشّارع هاج ضدّنا، فصرنا لا نســتطيع الخروج للشّارع)، حتى صرّح بعض العلماء الفضلاء وقد يكونون مخلصين: (قتل الحسين ﷺ مرّتين: مرّة يوم الطّف، وأخرى في حركة منتدى النّشر)، فالمشروع المؤسّســي ليس سهلًا، نحن نعرف صــعوبته، ونعرف التحدّيات، وكما يقول الشّيخ: تمّ الهجوم على مركز المؤسّسة، وكسّروا الكراسيّ، وكسّروا الطاولات.

محاولة الشهيد الصدر

ولعلّكم قرأتم مشــروع الســيّد الصدر ﷺ، وهو أيضًــا لا يتسع المجال للحديث عنه.

فقد طلب الســيد الصــدر ﷺ من الشــيخ الوائلــي ﷺ أنّ يتحــرّك في إيجاد مشــروع مؤسّسي للخطباء، وأكّد الشــهيد الصدر ﷺ في مشروعه، - مخاطبًا الشيخ الوائليّ- قائلًا: (إنّ لك عليّ الأمور التالية، - أي أنا ألتزم لك بالأمور التالية-، وعليك أنّ تحرّك مشروع العمل المؤسّسي للخطباء:

١- أنّ ندمج خطباء المنبر الحســينيّ بالحوزة العلميّة، حتى يحصــلوا على ما يحصل عليه طالب العلم من مكاسب ماديّة، وروحيّة، وعلميّة، - أي أنا مستعدّ لأنّ أتعامــل مــع خطباء المنــبر، كما أتعامل مع طلاب الحوزة ســواء من جانب توفير رواتب، أو رعاية روحيّة، أو رعاية علميّة -.

٢- أنْ نعمل على إيجاد صيغة تؤمّن لهم ضمانة لأيام عجزهم، حتى لا يتعرّضوا لذلّ، أو ضياع كما هو الوضع السائد، فيجدر بناء مؤسّسة مركزيّة يصدرون عنها في مناهجٍ موحّدة، وتكون هذه المؤسّسة تحت ظلّ المرجعيّة.

فالذي عليك هو أنْ تضع خبرتك في هذا الميدان تحت أيدي طلاب هذه المؤسّسة، وتتعاون مع زملائك الذين تعرفهم بالكفاءة لسدّ الثغرات المعتمدة.

إنّ هذا المشروع — وللأسف - لم يكتب له أنْ يجد النور، من جرّاء أحداث العراق، واستشهاد السيّد الصدر، وخروج الشيخ الوائلي من العراق، ولقد واجه الكثير من الإشكالات والصعوبات، فلم يجد النّور.

محاولة جمعيّة التوعية

ولعلّكم تذكرون تجربة جمعيّة التوعية في البحرين في بداية السبعينيات، فجمعيّة التوعية الإسلاميّة في البحرين أيضًا قد طرحت مشروعًا مؤسّسيًّا للخطباء في ذاك الوقت، فالذين عاشوا تلك المرحلة من الخطباء لعلّهم قد ساهموا، أما الذين بين يديّ هنا فهم جيل جديد، فيمكن أنّهم لم يشاركوا في ذاك المشروع.

هذا الجيل جديد من الخطباء، وهذا ممّا يبشّر بخير، وذلك أنّ عندنا أجيال مستمرّة من الخطباء، فالجمعيّة قد طرحت مشروعًا في وقتها وهو مشروع مؤسّسة للخطباء، ودُعي الخطباءُ كلّ الخطباء الموجودين في البحرين في جلسة افتتاحيّة حيث ألقى فيها سماحة الشيخ عيسى قاسم (حفظه الله) في ذاك الوقت - وهو رئيس للجمعيّة - كلمة في الجلسة الافتتاحيّة، وطرح المشروع، ثمّ خرج، وترك الخطباء أنْ يختاروا من يمثّلهم، ومَن يرأسهم، وتمّ اختيار الشيخ عبد الأمير الجمريّ رئيسًا، وبدأ المشروع يتحرّك لفترة، واستمرّ لفترة، ولكن أيضًا واجهتنا هجمات عنيفة من إشاعات، حتى سمعنا من يقول: إنّ جمعيّة التوعية تسعى إلى احتواء الخطباء، ويأمرونهم بأنْ لا تتحدّثوا عن يزيد وذكره على المنبر، وأمثال هذه الإشاعات المغرضة، ولم ينجح المشروع حتى سقط!!

محاولة جديدة

إنّني لا أسعى إلى تحبيطكم، أو أن أستعرض أمامكم جدولَة المشاريع التي فشلت، بل أنا أريد أنّ ندخل بعزيمة قويّة، ونعرف أنّ تحدّيات المشاريع المؤسّسيّة تحدّيات صعبة، وإنّ شاء الله نحن نأمل في تجربتكم في مجلس الخطباء الجديد أنْ تكون له انطلاقته رغم أنّني مطّلع على أنّ هناك معوّقات، فهناك ركود في حركة هذا المشروع.

أنا أقول: شدّوا عزائمكم، وانطلقوا، فهذا مشروع من أعظم المشاريع، فنستطيع أنْ ننطلق في عمل مؤسّسي.

٥

التحقيق والتدقيق في مرويّات عاشوراء[١]

أيّها الأحبّة:

اسمحوا لي بكلمة عاجلة، لا أريد لها أن تزاحم الأوراق المعدّة والتي تحمل جهدًا علميًّا نحن في أمَسِّ الحاجةِ إليه، ما أضعه بين أيديكم في هذه الكلمة الافتتاحيّة بعض خواطر وتصوّرات على هامش هذا اللقاء.

- ليس صعبًا أن يتشكّل مؤتمر يحمل عنوان (المنبر الحسينيّ المسؤوليّات والتحدّيات)...
- وليس صعبًا أن يحتضن هذا المؤتمر كفاءات علميّة وثقافيّة مميّزة...
- وليس صعبًا أن تنشط من خلال هذا الملتقى فعّاليّات جادّة وهادفة...
- وليس صعبًا أن يحتشدّ جمهور كبير كبير...
- وليس صعبًا أن تصدر قرارات وتوصيات في غاية الأهميّة والخطورة...

- التحدّي الصعب: ماذا بعد الملتقيات والمؤتمرات؟
- التحدّي الصعب: ماذا بعد الأوراق والكلمات؟
- التحدّي الصعب: ماذا بعد القرارات والتوصيات؟
- أخشى ما نخشاه أن تتحوّل هذه الملتقيات إلى ملهاة خطابيّة...

(١) كلمة ألقيت في افتتاحية الجلسة الختاميّة لمؤتمر عاشوراء الثاني شوال ١٤٢٨هـ والذي كان تحت عنوان (المنبر الحسيني.. المسؤوليّات والتحدّيات)، وذلك في مأتم السنابس الجديد، علمًا أن مؤتمر عاشوراء هو مؤتمر سنويّ يُقيمه المجلس الإسلاميّ العلمائيّ في مملكة البحرين.

- وأخشى ما نخشاه أن تتحوّل هذه الملتقيات إلى هوسٍ إعلاميّ...
- وأخشى ما نخشاه أن تتحوّل هذه الملتقيات إلى منتديات غارقةٍ في التنظير...
- وأخشى ما نخشاه أن تتحوّل هذه الملتقيات إلى هدرٍ للطاقات والأموال...

لست متشائمًا ولا مشكّكًا، فأنا مؤمنٌ كلّ الإيمان بقيمة هذا المؤتمر وأهميّته وخطورته كونه يتعاطى مع أحد أخطر مكوّنات الواقع الشيعيّ في حركته التاريخيّة والعقيديّة والروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة والجهاديّة.

- فالمنبر: كلمة، خطاب، موقف..
- والحسينيّ: انتماء، هويّة، أصالة، ثورة، جهاد..
- والمسؤوليّات: بناء، تغيير، صيرورة، نهوض..
- والتحدّيات: قدرات، مواجهات، ضرورات، إبداع، تطوير، تجديد...

فلا إشكال في القيمة والأهميّة لمؤتمر يحمل عنوانًا هذه مفرداته، وأنا مؤمن كذلك بصدق القائمين على المؤتمر وتوجّهاتهم المخلصة بإذن الله تعالى، إلّا أنّ المسؤوليّة كلّ المسؤوليّة تفرض علينا أن نحاسب وأن نقوّم كلّ المشروعات التي ننطلق بها، حتى نعطيها دورها الفاعل، وحركتها المنتجة، وحتى لا تزرع الإحباط في قلوب الناس، وقبل كلّ شيء حتى لا يحاسبنا الله الخبير البصير، المطلّع على النوايا والسرائر ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[١].

أيّها الأحبّة:

إنّ قيمة هذه الملتقيات بمقدار ما تملك من قرارات متحرّكة، وتوصياتٍ متجسّدة، وإنجازات شاخصة، وإلّا كانت ملتقياتٍ للاستهلاك الخطابي، والسّجال الكلامي، وكانت ملتقيات راكدة، لا تحمل إلّا الشعار والعنوان.

- مطلوبٌ أن يتحوّل الخطاب إلى حركة...
- وأن يتحوّل الكلام إلى فعل..

---

(١) غافر: آية ١٩.

- وأن يتحوّل الشّعار إلى واقع..
- وأن يتحوّل العنوان إلى مصداق..

وقيمـة هذه الملتقيات كذلـك بمقدار ما تملك من خلوص لله سـبحانه لتكون محطًّـا لألطاف الله، وتأييداته، وتسـديداته وعطاءاتـه ورحماته، وإلّا كانت ملتقيات شهرة، ومباهاة، وأصداء، وأضواء...

فكم هي خاسرة أعمال وأعمال تملك ضجيجًا وإعلامًا، وتهويلًا إلّا أنّها فارغة من الخلوص لله تعالى، من الأعمال ما تملك كلّ الشّهرة، وكلّ الانتشار، وكلّ الامتداد وكلّ الثناء وكلّ الإطراء غير أنّها عند الله لا تساوي جناح بعوضة...

نسـأله تعالى أن يمنحنا الصـدق والإخلاص في النوايا والأعمال ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(١).

أيّها الأحبّة:

ليس المجلس الإسـلاميّ العلمائـيّ وحده هـو المسـؤول عن تفعيل القرارات والتوصيات، صحيحٌ إنّه يتحمّل قسطًا كبيرًا من المسؤوليّة، ولكن يشاركه في المسؤوليّة كلّ المفاصل الأخرى التي انتظمها هذا المؤتمر: الخطباء، الرواديد، الشعراء الفنّانون، الإعلاميّـون، الكفاءات العلميّة والثقافيّة، إدارات المؤسّسـات الحسـينيّة، الجماهير الحسينيّة، وكذلك بقيّة المواقع في هذا المجتمع...

أيّها الأحبّة...

أنتهـز فرصـة هذا اللقاء الختامي لأجدّد طرح فكرة مـررت بها عابرًا في لقاء الخطبـاء وهي الدعوة إلى مشـروع كتابة (تراث المنبر الحسـينيّ) في البحرين أو في منطقة الخليج...

ربّما صـدرت بعض كتابات، وبعض قراءات، تناولـت جوانب من (تراث المنبر الحسـينيّ) في المنطقة إلّا أنّها لا تشكّل المشـروع المطلوب، حينما نتحدّث عن مشروع

(١) التوبة: آية ١٠٥.

يعنى بدراسة (تراث المنبر الحسينيّ) في المنطقة لا نتحدّث عن (نتاجاتٍ) متفرّقة ومجزّئة - رغم أنّها مساهمات مشكورة -وإنّما نتحدّث عن مشروع موسوعي شمولي، علمي منهجي.

إنّ مشروعًا في هذا المستوى في حاجةٍ إلى جهدٍ (مؤسّسي)، فلم تعد إمكانات الأفراد وجهودهم قادرة على النهوض بمثل هذه المشروعات، وإذا تيسّر لبعض القدرات الفرديّة أن تمارس هذا العمل فسوف يستوعب منها الكثير من الجهد والكثير من الوقت، وسوف لن يخلو من نواقص وأخطاء وعثرات، بخلاف العمل المؤسّسي بما يوفّره من وقتٍ وجهد، وبما يملكه من دقّة وإتقان...

إنّ مشروعًا على هذا المستوى -خاصة إذا عمّمناه للمنطقة - يوفّر فرصة لتواصل علمائيّ وخطبائيّ وأدبائيّ وثقافي، وكم الحاجة ملحّة لهذا التواصل العلميّ والثقافي والأدبيّ..

وإذا كانت تعقيدات السِّياسة وهواجسها ومخاوفها قد خلقت فواصل مصطنعة فليكن الهمّ العلميّ والثقافي المشترك هو الذي يحطّم هذه الحواجز والفواصل، ويبدّد تلك الهواجس والمخاوف...

نحن هنا نتحدّث عن شأنٍ علميّ بحت، وشأن ثقافي بحت، إلّا أنّ الأنظمة السِّياسيّة تتوجّس خيفة من أيّ مشروع وإن كان يحمل طابعًا علميًّا بحتًا، وثقافيًّا بحتًا، وتاريخيًّا بحتًا...

وتتداخل مع الهواجس السِّياسيّة لدى الأنظمة الحاكمة (النزعات المذهبيّة) بما تحمله من طائفيّة وتمييز ومصادرة، وربّما انعكس ذلك حتى على المشروعات العلميّة والثقافيّة والتاريخيّة.

يحضرني هنا مثالٌ شاخص في هذا البلد حينما شكّلت لجنة تضم مجموعة كتّاب وباحثين من السُّنة والشيعة، مهمّة هذه اللجنة كتابة (تاريخ البحرين)، اللجنة تشكّلت بقرارٍ رسمي وتمّ اختيار أعضائها بقرارٍ رسمي..

بدأ الفريق المنتخب لهذه المهمّة عمله بعد أن تمّ الاتفاق على المعايير العلميّة والمنهجيّة للتدوين والكتابة... استمر العمل جادًّا ودؤوبًا حتى أنجز المشروع وقدّم

إلى الجهات الرسـميّة لاعتماده، وكانت المفاجئة أن صـدر أمرٌ رسمي من جهات عليا بإيقاف المشروع وتجميده ولا زال المشروع سجينًا وموقوفًا..

وهنا نطرح مجموعة علامات استفهام:

- أليس المشروع بموافقة رسميّة؟
- أليس الفريق المنتخب تمّ اعتماده بقرارٍ رسمي؟
- أليس هذا الجهد العلمي فيه خدمة كبيرة لهذا البلد؟
- أليس هذا التواصل العلمي بين السنّة والشيعة يعزّز الوحدة والتقارب؟

هذا مجرّد مثال استوقفني في سياق الحديث..

أيّها الإخوة الأطايب:

لا يسعنا هنا وقد عشنا وإيّاكم أيّامًا حافلة بالعطاء إلّا أن نثّمن كلّ الجهود التي بذلت في هذا الملتقى.

فالمشـاركون بالأوراق العلميّة قد أثروا هذا المؤتمر ونأمل أن تكون هذه الأوراق إسـهامات حقيقيّة في تطوير أداء المنبر الحسـينيّ، والمتداخلون بمداخلاتهم الواعية قد أغنوا هذا الملتقى..

وكلّ الفصـائل التي حضرت وشاركت، وكلّ الجماهير التي تواجدت قد عزّزت بحضورها الثقة في هذا الملتقى وفي المجلس الإسلاميّ العلمائيّ، والقائمون على إعداد ورعايـة هذا المؤتمر قد وفّروا له الكثير مـن النجاح والعطاء، وكلّ الذين بذلوا جهودًا وخدمات ومسـاهمات قـد أعطوا لهذا الملتقـى الفاعليّة والحيويّة والنشـاط، وكذلك أصـحاب هـذا المأتم المبارك وأصـحاب المواقع الأخرى فقد فتحـوا قلوبهم ومواقعهم لاحتضان المؤتمر وفعّالياته، فجزى الله الجميع خير جزاء العاملين الصادقين.

نسـأله تعـالى أن يجعـل أعمالنـا خالصـة لوجهـه الكـريم، وأن تكـون جميع فعّاليات هذا المؤتمر إنجازات جادّة في إعطاء الموسـم العاشـورائيّ دوره الحقيقي في تحريـك أهداف ثورة الإمام الحسـين عليه السلام ﴿ذَلِكَ وَمَـن يُعَظِّمْ شَـعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن

تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1]، نتمنّى أن يكون المؤتمر قد استطاع أن يحرّك الهواجس والمخاوف الحقيقيّة لما يواجهه المنبر الحسينيّ من أخطار وتحدّيات، تحاول أن تحاصر دوره وقدرته على النهوض بالأهداف الحقيقيّة لعاشوراء الحسين عليه السلام.

ورغم أنّ أوراق المؤتمر ومداخلاته ومداولاته قد تناولت الكثير من الأخطار التي تهدّد خطاب المنبر الحسينيّ، إلّا أنّني هنا أودّ أن أختم كلمتي بالإشارة إلى واحدٍ من هذه الأخطار ألا وهو (غياب التحقيق والتدقيق في مرويّات ومنقولات السيرة العاشورائيّة) ممّا أوجد كمًّا كبيرًا من (الدخيل والمكذوب والخرافة) في الموروث الذي يعتمده بعض خطباء المنبر الحسينيّ، ويبدو أن البعض سرّى (قاعدة التسامح في أدلّة السنن) - وهي مناقشة أصوليًّا وفقهيًّا - إلى روايات وأخبار وقصص التاريخ والسيرة، إضافة إلى اعتماد (قاعدة الغاية تبرّر الوسيلة) وكذلك التوسّع لدى الخطباء في استخدام ما يسمّونه (لسان الحال).

كلّ ذلك ساهم في إنتاج كمّ كبير من الروايات الموضوعة، والقصص المختلقة، والصور الموهومة، ممّا أوجد تشويشًا وإرباكًا وإساءةً إلى عاشوراء...

بل جنح البعض إلى اعتبار هذه المرويّات والقصص هي التي تعطي لقضيّة كربلاء ديمومة واستمرارًا وتجذّرًا وتوهجًا في وجدان الناس، وهي التي تحرّك المشاعر والعواطف والدموع....

إنّنا في الوقت الذي نرفض أن يتجمّد الحديث عن (عاشوراء المأساة والحزن والدمعة)، لأنّ في هذا تفريغًا لمراسيم عاشوراء من أهمّ مرافد الشحن العاطفي والوجداني ممّا يُصادر حالات الانصهار والحرارة في التعاطي مع قضيّة كربلاء...

نعم في الوقت الذي نرفض ذلك نتحفّظ كلّ التحفّظ على بعض الموروث الروائي والقصصي المعتمد لاستثارة العواطف، وتحريك الدموع...

كما نعتبر الاقتصار على البعد العاطفي وغياب الأبعاد الفكريّة والثقافيّة والروحيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والجهاديّة والثوريّة هو الآخر تفريغ خطير جدًّا لخطاب المنبر الحسينيّ من أهمّ أهداف عاشوراء الحسين عليه السلام.

---

(١) الحج: آية ٣٢.



وقفة نقد ومحاسبة ومراجعة للخطاب والشّعار والمراسيم العاشورائيّة

عشنا عاشوراء بكلّ أحزانها ودموعها، وعشنا عاشوراء بكلّ عنفوانها وشموخها، وعشنا عاشوراء بكلّ مراسيمها وتعبيراتها، وماذا بعد عاشوراء؟

إنّنا في حاجةٍ إلى وقفةٍ بعد كلّ موسم عاشوراء...

لماذا هذه الوقفة؟

إنّها وقفة نقد ومحاسبة ومراجعة، وما لم نتوفّر على هذه الوقفة فلن نستطيع أن نقوّم مستوى أدائنا العاشورائيّ، ولن نستطيع أن نطوّر من مستوى هذا الأداء، إنّ غياب النقد والمحاسبة والمراجعة للأداء العاشورائيّ له مردودات خطيرة، وما هذه التراكمات من الأخطاء، وما هذه الانفلاتات والتسيّبات في بعض الممارسات، وما هذه التعبيرات المتخلّفة، وما هذه الإساءات والتشويهات إلّا نتيجة للصمت والسكوت والمداهنة، وانعدام النّقد الهادف، والمحاسبة الجريئة، والمراجعة الواعية، إنّ عاشوراء بكلّ مكوّناتها وتعبيراتها ليست شأنًا شخصيًّا؛ ليكون من حق أيّ إنسان أن يتصرّف فيها كما يحلو له وكما يشاء، إنّها الصيغة التي يُراد لها أن تُجسّد أهداف الثورة الحسينيّة، فمن الضروري أن يكون الخطاب، وأن يكون الشّعار، وأن يكون التعبير محكومًا لهذه الأهداف.

١ - وقفة نقد ومحاسبة ومراجعة للخطاب العاشورائيّ:

خطاب المنبر العاشـورائيّ، وخطاب المحاضـرة العاشـورائيّة، وخطاب الموكب العاشـورائيّ يجـب أن يكـون خطابًـا واعيًا بأهداف ثـورة الإمام الحسـين عليه السلام. وأن يكون خطابًا يحمل المضـامين والمفاهيم والقيم الحسينيّة، فلا يحقّ لهذا الخطاب أن يتناقض مع تلك الأهداف والمضامين والقيم.

مـن المؤسف جدًّا أن نجد بعض الخطابات العاشـورائيّة ليسـت في مسـتوى الهدف الحسينيّ، وأن نجد بعض الخطابات العاشورائيّة متنافية مع المضامين والقِيَم الحسـينيّة، إنّ الخطاب العاشـورائيّ في حاجة إلى حصـانةٍ ورقابـةٍ وتوجيه ليمارس دوره الكبـير في خطّ الأهداف الحسـينيّة المباركـة، إنّها مسـؤوليّة المرجعيّة الدينيّة، ومسـؤوليّة العلماء الواعين المخلصـين، ومسؤوليّة كلّ المتصـدّين للشّأن الحسينيّ في حماية الخطاب العاشورائيّ وحماية دوره ورسالته وأهدافه.

وهنا مسألة هامّة جدًا أرى من الضرورة أن أتناولها في سياق الحديث عن أهداف الخطاب العاشـورائيّ وأهداف المأتم الحسـينيّ، لقد برزت في الآونة الأخيرة ظاهرة خطيرة ربّما نتيجة عدم وعي لدى بعض القائمين على شؤون المآتم والحسينيّات، وربّما نتيجة تهاون وعدم مبالاة.هذه الظاهرة أن بعض المآتم والحسينيّات أصبحت تستقبل شخصيّات ذات توجّهات متناقضة مع أهداف الدّين ومبادئه وقيمه وأحكامه، لا يجوز شرعًا أن نُمكِّن لدعواتٍ تتنافى مع الدّين وقيمه وأحكامه أن تنطلق من المساجد ومن الحسينيّات ومن المواقع الدينيّة.

في هذه الأيام نشهد نشاطًا إعلاميًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا يحمل شعار (الدفاع عن حقوق المرأة) إنّه شـعار جميل ومقبول لا نرفضه ولا نعارضه، إلّا أن السؤال المطروح: من الذي يحدّد لنا هذه الحقوق؟

إنّنا نؤمن بمرجعيّة الشـريعة الإسـلاميّة، فإذا اتّفقنا على هذه المرجعيّة، فلا مشكلة أن نختلف في الفهم وفي الاجتهاد.

أمّا إذا أصرّ البعض على مرجعيّات أخرى تتنافى ومرجعيّة الشريعة الإسلاميّة

فذلك شأنه ومسؤوليّته وقناعته، ولكن من حقّنا كمسلمين نؤمن بشريعة الله تعالى أن نرفض تلك المرجعيّات، وأن نرفض استخدام مواقعنا الدينيّة كمنطلقاتٍ لترويج الأفكار والمفاهيم والقِيَم التي تعتمد تلك المرجعيات.

وهنا نذكّر الأخوات القائمات على شؤون المآتم والحسينيّات النسائيّة بالمسؤوليّة الشرعيّة في الحفاظ على أهداف هذه المواقع الدينيّة، وعدم السماح لأيّ فكرٍ آخر يتناقض مع هذه الأهداف أن ينطلق من منابر الإمام الحسين عليه السلام، والمسألة في حاجة إلى درجة عالية من الوعي الديني، ودرجة عالية من الإخلاص للدين وأهدافه وقِيَمه، ودرجةٍ عالية من الولاء لخطّ الإمام الحسين عليه السلام، ليس هذا إرهابًا ضدّ الرأي الآخر كما يحلو للبعض أن يُسمّيه، إنّها منابرنا التي يجب أن ينطلق منها فكر الإسلام ومفاهيم الإسلام، وقيم الإسلام ولينطلق الآخرون بفكرهم ومفاهيمهم وقيمهم من منابرهم وهي كثيرة وكثيرة.

٢-وقفة نقد ومحاسبة ومراجعة للشّعار العاشورائيّ:

كما الخطاب العاشورائيّ يجب أن يُعبّر عن أهداف وأفكار وقِيَم الثورة الحسينيّة، كذلك الشعار العاشورائيّ، ودور الشعار أنّه يركّز مفهومًا في ذهنيّة الجماهير بعبارة مختصرة ومضغوطة، بخلاف الخطاب الذي يعتمد العبارات المطوّلة والموسّعة، الشعار العاشورائيّ أحد الأساليب الهامّة في إيصال مفاهيم وأهداف الثورة الحسينيّة إلى الجمهور العاشورائيّ.

ما نلاحظه أنّ الشعارات العاشورائيّة تُشكّل حضورًا واضحًا في مواسمنا العاشورائيّة على مستوى الشعارات المعلّقة على جدران المآتم الحسينيّة، وفي الشوارع والطرقات، وعلى مستوى الشعارات المطبوعة والتي توزّع على جماهير عاشوراء، وعلى مستوى الشعارات المنطوقة التي تطرح من خلال المواكب والمسيرات، ولعلّ أروع ما شهده موسم عاشوراء البحرين لهذا العام ما أطلقته جمعية التوعية الإسلاميّة من مشروع (أكبر لوحة بصمات في العالم) تحت شعار (لبيك يا حسين)، وهذه اللوحة ستسلم إلى الروضة الحسينيّة بضريح الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء المقدّسة.

إنّنــا ندعو إلى المزيــد من الابتكار والتطوير في توظيف الشــعار العاشــورائيّ، من أجل صــياغة الواقع الإســلامي الذي يجّسـد أهـداف ومبادئ وقيَم ثـورة الإمام الحســين عليه السلام. وما طرحه المجلس الإسلاميّ العلمائيّ من شـعار (نحو أسرة حسينية ملتزمة) يتحرّك في هذا الســياق، شـعارات عاشـوراء في حاجةٍ إلى صـياغات واعية وهادفـة، وهذا ما يتحمّل مسـؤوليّته المتصــدّون لكتابة هذه الشـعارات ولإطلاق هذه الشعارات، ومن الضروري أن تكون هناك لجان متخصّصة ومؤهّلة تشرف على مسألة الشعارات العاشورائيّة، وأن لا يُترَك لأيّ شعارٍ يتحرّك بلا محاسبة ولا مراجعة.

٣-وقفة نقد ومحاسبة ومراجعة للممارسات والفعّاليّات العاشورائيّة:

مراسـيم عاشـوراء يجب أن تكون تعبيرًا صـادقًا لأهداف الثورة الحســينيّة، وتعبيرًا صادقًا للتّعاطي مع مأساة الإمام الحسين عليه السلام. إنّ أساليب التعبير العاشورائيّ تتفاوت في مسـتويات الوعي والإخلاص والتجسـيد، إنّ هذه الأسـاليب في حاجةٍ إلى مراجعـة دائمة، خشـية أن تخترقها أشـكال من الممارسـات تبتعد بها عـن أهدافها الأصيلة، وتبتعد بها عن مضامينها السليمة.

إنّ بعض الممارســات الموجودة فعلًا ضمن المراسيم العاشورائيّة هي في حاجة إلى مراجعة، ومحاسـبة، وكونها عاشـت زمنًا طويلًا يتعاطى معها الناس لا يُبرّر لها البقاء والاستمرار إذا كانت لا تحمل تعبيرًا حقيقيًّا لقضيّة الإمام الحسين عليه السلام. أو إذا كانت لها دلالات سلبيّة على هذه القضيّة، المشكلة أنّ بعض الممارسات رغم الإشكالات التـي تواجهها، ورغم التأثيرات السـلبيّة التي تنتجها، هذه الممارسـات قد أصـبحت في وعي الكثيرين جزءًا أصـيلًا من (الشـعائر الحســينيّة)، ليس كلّ تعبير مهما كان مضمونه ودلالته يتحوّل إلى (شعيرة حسينيّة)، ربّما يكون هذا التعبير صادقًا، إلّا أنّه قد لا يكون بصيرًا، وقد لا يكون منسجمًا مع أهداف الإمام الحسين عليه السلام. وقد لا يكون متوافقًا مع الضــوابط الشــرعيّة. فلا يجوز ولا يصحّ أن نقحم أيّ تعبير وأيّ ممارسة في منظومة (الشعائر الحسينيّة) بما يملكه هذا العنوان من قيمة دينيّة كبيرة، ودلالة عقيديّة عميقة، من المؤســف جدًا أنّ الباب تُرك مفتوحًا لكلّ من يريد أن يفرض على هذه الشــعائر مزاجه وهواه وذهنيّته وتخلّفه، لا أدّعي أنّ أساليب التعبير العاشورائيّة

أمور توقيفيّة لا يُسمح بتعديلها وتطويرها والإضافة إليها.

إنّ أساليب التعبير متحرّكة ومتغيّرة ومتجدّدة شريطة أن تحتفظ بانسجامها مع أهداف الثورة الحسينيّة ومع الضوابط الشرعيّة، ومع ذلك تبقى وسائل للتعبير عن الشعور والتعاطي مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام. ربّما تكون صالحة في مرحلة، وقد ينتهي دورها في مرحلة أخرى، فإذا أدخلناها في دائرة الشعائر فقد أعطيناها عنصر الثبات والديمومة والاستمرار. إقامة المجالس الحسينيّة من الشعائر التي نصّ عليها المعصوم وهي تملك عنصر الثبات والديمومة والاستمرار. نعم أساليب الإقامة لهذه المجالس تتغيّر وتتطوّر وتتجدّد، فقد يصلح أسلوب لمرحلة ولا يصلح لمرحلة أخرى.

إحياء ذكرى عاشوراء عنوان يجب أن يبقى، وأمّا أساليب الإحياء فقد تتغيّر وتتبدّل وتتنوّع. البكاء على الإمام الحسين عليه السلام أمر أكّدته النّصوص الدينيّة، فيجب أن يبقى وأن يستمرّ وهو من أعظم الشعائر الحسينيّة. إذًا يجب أن نفرّق بين الشعيرة الثابتة المنصوص عليها، وبين الأساليب التي نصطنعها نحن من أجل التعبير عن تلك الشعائر، فربّما نخطأ في أساليب التعبير، وربّما ننحرف، وربّما يقصُر بنا التعبير عن الارتقاء إلى مستوى أهداف الثورة الحسينيّة، فيجب أن لا نفرض أساليبنا الخاطئة أو المنحرفة أو المتخلّفة على (الشعائر)، وأن نعطيها (قدسيّة الشعائر) الأمر الذي يخلق ذهنيّة تدافع عن الأخطاء والانحرافات والتخلّفات باسم الدفاع عن الشعائر الحسينيّة. يجب أن نُصحّح هذا الفهم لتبقى الشعائر في نقائها وصفائها وأصالتها وقدسيّتها.



عاشوراء ومسؤوليّتنا في حمل الخطاب الحسينيّ(١)

إنّنا على أعتاب عاشوراء، الذكرى التي روّت قصّة المأساة الكبرى، قصّة الفاجعة العظمى، قصّة الإمام الحسين بن عليّ سبط رسول الله ﷺ يوم وقف وحيدًا فريدًا مرتديًا عمامة جدّه رسول الله ﷺ متقلّدًا سيفه وخاطب القوم:

- أنشدُكم الله انسبوني من أنا؟
- قالوا: أنت الحسين سبط رسول الله.
- أنشدُكم الله هل تعلمون أنّ أمّي فاطمة بنت محمد؟
- قالوا: اللهمّ نعم.
- أنشدُكم الله هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب؟
- قالوا: اللهمّ نعم.
- أنشدُكم الله هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله أنا متقلّده؟
- قالوا: اللهمّ نعم.
- أنشدُكم الله هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله أنا لابسها؟
- قالوا: اللهمّ نعم.
- فبم تستحلّون دمي؟ قالوا: قد علمنا ذلك كلّه، ونحن غير تاركيك حتى

(١) الجمعة ٢ محرم ١٤٢٦هـ، مسجد الإمام الصادق عليه السلام بالقفول.

تذوق الموت عطشًا[1].

هكذا استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، فامتدّت الأيدي الآثمة لتسجّل الجريمة الكبرى، وهوت السيوف الغادرة لتقطّع الجسد الطاهر، وطاشت السّهام المجنونة فمزّقت قلب الحسين عليه السلام، وتسابقت الخيول الحاقدة فهشّمت صدر الحسين عليه السلام.

إنّها عاشوراء، الذكرى التي روت لنا قصّة الشبّان من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله الذين سقطوا مضرّجين بدمائهم فوق ثرى كربلاء، وروت لنا قصّة فتيان الرسالة الذين عانقوا الموت بصبر وثبات، وروت لنا قصّة الأطفال الصغار الذين لم يُفطموا إلا بسهام ذبحتهم من الوريد إلى الوريد، وروت لنا قصّة رجالٍ عاهدوا الله على الموت والشهادةً فنالوا أشرف وسام، إنّها عاشوراء.

الذكرى التي روت قصّة الحوراء زينب ابنة فاطمة عليها السلام، الصابرة الصامدة، التي عاشت أحداث كربلاء، وأثقلت قلبها هموم المأساة، وأتعبتها قسوة السياط، وأبهضتها مسؤوليّة النساء والأيتام، وأبكت جفونها شماتة الأعداء..

إنّها عاشوراء، الذكرى التي روت قصّة عليل كربلاء، بقيّة النسل الطاهر، عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وقد أرهقته أثقال القيود، وأتعاب الأسر، وذكرى المأساة، والمشاهد الأليمة، حيث الأجساد الطاهرة، والأشلاء المتناثرة، والدّماء التي صبغت رمال كربلاء، والخيام التي حاصرتها النيران، وفرار بنات الرسالة، وأطفال النبوّة، هذه لقطات عاجلة من مأساة كربلاء.

يا عشّاق الحسين:

إنّنا على أعتاب عاشوراء، عاشوراء الحزن والألم والفجيعة، وعاشوراء القيم والمُثُل والمبادئ، وعاشوراء الجهاد والصمود والشهادة، عاشوراء هي خطاب الإمام الحسين عليه السلام إلى كلّ الأجيال في كلّ العصور والأزمان، إنّ مسؤوليّة كلّ جيل أن يحمل

---

(١) شرف الدين: المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة، ص ٢٤٠، المجلس ١٢. (ط١، ١٤٢١هـ. مؤسسة المعارف الإسلامية، قم - إيران)

خطاب الإمام الحسين عليه السلام إلى الأجيال اللاحقة، لقد حمل أجدادنا وآباؤنا هذا الخطاب إلينا، ومسؤوليّتنا أن نحمل الخطاب إلى الأبناء والأحفاد، ومسؤوليّتهم أن يحملوه إلى الأجيال القادمة بعدهم، وهكذا حتى يأتي يوم الظهور الأكبر فيتسلّم الخطاب بقيّة الله في الأرض الإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه أرواحنا فداه.

إنّ ذكرى عاشوراء تعني أن نُجسِّد المسؤوليّة في حمل خطاب الإمام الحسين عليه السلام، وبمقدار ما نحقّق نجاحًا في هذا التجسيد يكون التعاطي الأصدق مع عاشوراء الحسين عليه السلام. إنّ الإنسان العاشورائيّ الحقّ هو الذي يجسّد مسؤوليّة الخطاب الحسينيّ، ربّما نبكي كثيرًا، ونلطم كثيرًا، ويتعالى الضجيج عندنا ولكنّنا نبقى الأبعد عن خطاب الإمام الحسين عليه السلام. المقياس في الإحياء الحقيقي لعاشوراء كم هو القرب أو البعد من خطاب الإمام الحسين عليه السلام، وكم هو التجسيد أو التخلّي عن هذا الخطاب.

إنّ مسؤوليّتنا في حمل الخطاب الحسينيّ تفرض علينا:

أولًا:

أن نملك وعيًا وبصيرة بهذا الخطاب: فكلّما ارتقى مستوى وعينا وبصيرتنا وفهمنا لمضامين الخطاب الحسينيّ ودلالاته ومكوّناته كنّا أقدر على التعبير السليم عن هذا الخطاب، إنّ بعض الممارسات العاشورائيّة تكشف عن جهلٍ واضحٍ بأهداف الخطاب الحسينيّ وبدلالات هذا الخطاب، إنّ مستويات التعبير العاشورائيّ تتفاوت بتفاوت مستويات الوعي والبصيرة والفهم، ربّما يكون هذا التعبير أو ذاك تعبيرًا صادقًا، وتعبيرًا يحمل حرارة إلّا أنّه ليس بالضرورة أن يكون تعبيرًا ناضجًا وبصيرًا، وقد أدّى غياب الوعي والبصيرة عند نسبةٍ من الجمهور العاشورائيّ إلى بروز ألوانٍ من الممارسات والتعبيرات خالية تمامًا من الدلالة على الهدف الحسينيّ الكبير، وربّما شكّلت هذه الممارسات والتعبيرات حالات متنافية مع ذلك الهدف، وحالات تُسيئ إلى المعاني الكبيرة التي تحملها ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ولا أريد هنا أن أسمّي بعض تلك الممارسات، فالجميع يعلم أن مساحةً من ممارسات عاشوراء في حاجةٍ إلى مراجعةٍ ومحاسبة، وهذا موكول إلى ذوي الشّأن من العلماء والمتخصّصين

والمعنيين بأمور المراسيم العاشورائيّة.

إنّنـا ندعو إلى أن تكون مراسـيم عاشـوراء صـورة مشـرقة لأهـداف الثورة الحسـينيّة، وصـورة مشـرقة لهذا الخطّ المبارك الذي ينتمي إلى مدرسـة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وفي هذا السـياق فإنّنا نثمّن الخطـوات الجادّة والهادفة إلى إيجاد (صـيغ جديدة مشـروعة) للتعبير عن خطاب عاشـوراء في هذا العصر الذي تطوّرت فيه الوسائل والأساليب، فلا بدّ من الاستفادة من وسائل العصر وأساليبه في إيصال صـوت الإمام الحسين عليه السلام، وصوت عاشـوراء إلى كلّ العالم، مع التأكيد على ضرورة الالتزام بالضوابط الشرعيّة فيما يُعتمد من وسائل وأساليب.

ثانيًا:

كمـا تفرض علينـا مسـؤوليّتنا في حمـل الخطاب الحسـينيّ أن نتمثّـل عمليًّا مضـامين الخطاب، لا يكفي أن نتفاعل عاطفيًّا مع خطاب الإمام الحسـين عليه السلام، ومع خطاب عاشـوراء وإن كان هذا التفاعل هو الذي يمنحنا الحرارة والوهج والانصـهار مع أهداف الثورة الحسينيّة، فالانفتاح العقلي الفارغ من النبض العاطفي انفتاحٌ راكدٌ وخامـد، وبمقدار ما نؤكّد علـى أهمّية الوعي في التعاطي مع خطاب عاشـوراء، فإنّنا نؤكّد على العاطفة الحسينيّة المتأجّجة...

فـلا قيمة لوعي لا ينبض بالحرارة والوهج العاطفي، ولا قيمة لعاطفةٍ لا تحمل جرعات كافيةٍ من الوعي والبصيرة، فالوعي الخالي من العاطفة وعيٌ مشلول وثقافة مسترخية خاملة، والعاطفة المفرّغة من الوعي عاطفة عمياء، وشعور لا يملك بصيرة، وكم قادت العواطف العمياء والمشـاعر غير البصـيرة إلى الانحـراف والتيه والابتعاد عن الأهداف الأصـيلة، فالعاطفة الحسينيّة ضرورة في التعاطي مع خطاب عاشوراء، والوعي الحسينيّ ضرورة في التعاطي مع خطاب عاشوراء، والوعي والعاطفة لا يكفيان إذا لم يتحـوّل الخطـاب العاشـورائيّ إلى سـلوك والتزام وتجسـيد وتطبيـق، القيمة الحقيقيّة لهذا الخطاب أن يكون قادرًا على صـنع (الإنسان العاشورائيّ) و(الجمهور العاشورائيّ).

ما هي مواصفات الإنسان العاشورائيّ؟ وما هي مواصفات الجمهور العاشورائيّ؟

إذا كانت العاطفة العاشورائيّة جزءًا هامًّا من مكوّنات هذا الإنسان، ومن مكوّنات هذا الجمهور، وإذا كان الوعي العاشورائيّ جزءًا من مكوّنات هذا الإنسان، ومن مكوّنات هذا الجمهور، فإنّ الالتزام العمليّ بمضامين الخطاب وأهدافه هو العنصر الأهم في تكوين الإنسان العاشورائيّ وفي تكوين الجمهور العاشورائيّ، من المؤسف جدًا أنّ الكثيرين ممّن يحملون عواطف عاشوراء في أعلى درجاتها، وأنّ الكثيرين ممّن يحملون وعي عاشوراء في أرقى مستوياته، من المؤسف أنّ هؤلاء لا يجسّدون أهداف عاشوراء، ولا يلتزمون مبادئ عاشوراء، ولا يعيشون قيم عاشوراء، فالإنسان العاشورائيّ هو الذي يجسّد أهداف عاشوراء، ويلتزم مبادئها، ويعيش قيمها، والجمهور العاشورائيّ كذلك...

شعار (نحو أسرةٍ حسينيّة ملتزمة):

وبالمناسبة فإنّ المجلس الإسلاميّ العلمائيّ قد طرح شعارًا لهذا (الموسم العاشورائيّ) وهو شعار (نحو أسرةٍ حسينيّة ملتزمة)، والمجلس العلمائيّ يدعو خطباء المنبر الحسينيّ أن يحرّكوا هذا الشعار من خلال محاضرات هذا العام، فما أحوجنا في هذا العصر وقد أصبحت أسرنا مهدّدة من داخلها، حيث وسائل العبث بالقيم والأخلاق، ومنتجات الفساد والانحراف باتت تقتحم أجواء كلّ الأسر والبيوت، ولا ينجو من تأثيراتها وتهديداتها المرعبة إلّا من عصم الله تعالى، ما أحوجنا أن نحصّن أسرنا في مواجهة هذا الغزو الخطير، وفي مواجهة هذا الطوفان المدّمر، قيم عاشوراء قادرة أن تحصّن أسرنا إذا صدقت النوايا في التعاطي مع هذه القيم، وتعلّمنا من مدرسة عاشوراء إرادة الصمود والتحدّي والمواجهة، وتعبّئنا من عنفوان كربلاء مواقف الرفض للباطل والفساد والضلال...

كن أبًا حسينيًّا، وكوني أمًّا حسينيّة، تصنعا أسرةً حسينيّة ملتزمة بمبادئ الإسلام، وأحكام الشريعة، وقيم الدّين، وتعاليم القرآن، وإذا كانت خطابات هذا العصر، ومؤتمرات هذا العصر، ومؤسّسات هذا العصر تحمل شعار الدفاع عن المرأة

وحماية الأسـرة، ورعايـة الطفولة، فإنّ إسـلامنا، ومبادئنا، وقيمنا، وشـريعتنا هي الأقدر على تحقيق ذلك، وهي الأصدق في تحريك هذا الشعار.

يا عشّاق الحسين:

إنّنا نريد لخطاب الحسين عليه السلام أن يكون حاضرًا في كلّ واقعنا الروحيّ والأخلاقيّ والأسـري والاجتماعيّ والثقافي والسِّياسـيّ، إنّنا نريد لعاشوراء أن تصنع كلّ وجودنا الفكري والنفسـي والسّلوكي وأن تتحرّك في كلّ مفاصل حياتنا، لتكن تجربتنا في هذا العام مع خطاب الحسـين عليه السلام ومع عاشـوراء أن تنجح في خلق (الأسـرة الحسينيّة) لا في العواطف فقط، ولا في التوشّـح بالسـواد فقط، ولا في الشعارات فقط، وكلّ ذلك مهم، ولكن في تمثّل الأهداف والمناهج والمبادئ والقيم الحسينيّة بما تحمله من أصالة الإسلام ونقاوة الدين وطهر الشريعة.

أيّها الأحبّة:

امتحنوا ولاءكم للحسين عليه السلام، وولاءكم لعاشوراء الحسين عليه السلام من خلال وقفة جادّة وصـادقة مع أسـركم لتكتشـفوا كم هي في خطّ الحسـين عليه السلام أخلاقًا وأعرافًا وعادات وممارسـات، وأخشى ما نخشاه أن يكتشـف أحدنا أنّه يعيش في داخل أسرته قيَم يزيـد، وأخلاق يزيد، وممارسـات يزيـد، كم هو مـؤلم ومخجل جـدًّا أن نبكي الحسـين عليه السلام وننـدب الحسـين عليه السلام، ونحن نعبث كما عبث يزيد، ونلهو كما لهى يزيد، ونفسـق كما فسق يزيد، وننتهك حرمة الدّين كما انتهكها يزيد، وأخشى ما نخشاه أن نكون مصـداقًا لمقولة الفرزدق المشـهورة حين التقاه الإمام الحسـين عليه السلام وسأله عن السّواد الأعظم في العراق فأجاب: (قلوبهم معك وسيوفهم عليك).



الخطاب الحسينيّ
وإشكاليّة ضرورات المرحلة

حديث كربلاء لا زال يُشكّل الضرورة المتجدّدة، وثقافة كربلاء لا زالت تشكّل الحاجة الدائمة لأجيال هذه الأمّة، هذه الأجيال التي يجب أن تُصاغ في خطّ الثورة الحسينيّة، وهنا تواجهنا ونحن نؤكّد هذا الطرح، إشكاليّة تتحرّك في داخل الواقع الشيعيّ.

ما هي هذه الإشكاليّة؟

إنّها إشكاليّة الخطاب الحسينيّ وضرورات المرحلة...
ماذا تقول هذه الإشكاليّة؟

لماذا يؤكّد الخطاب الشيعيّ - دائمًا - على (النهج الحسينيّ - النهج الثوري)، ويتغافل هذا الخطاب (النهج الحسني - النهج السلمي)؟

هذه الإشكاليّة تحاول أن تنطلق من مبرّرات تاريخيّة ومبرّرات معاصرة:

١- المبرّرات التاريخيّة:

إنّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام - بعد واقعة كربلاء - لم يعتمدوا (النهج الثوري)، ولم يمارسوا (التصدّي السياسيّ)، وإنّما اعتمدوا (نهج المسالمة مع الأنظمة الحاكمة) ومارسوا (التصدّي الروحيّ والفقهيّ والثقافيّ).

فلماذا لا يعتمد الخطاب الشيعيّ المعاصر -خطاب العلماء والدعاة والمثقّفين والسِّياسيين - النهج السلمي، ويخفّف من لغة الحماس الثوري (التصدّي، والمواجهة، والعنف، والمقاومة...)، والتي ورّطت الواقع الشيعيّ والأجيال الشيعيّة — وعبر تاريخٍ طويل — في الكثير من المعاناة والمحن والابتلاءات الصعبة.

٢-المبرّرات المعاصرة:

إنّ ضرورات الواقع المعاصر تفرض أن يعتمد الخطاب الشيعيّ لغة المصالحة والمسالمة، خاصّة وأنّ الشيعة في هذا العصر في حاجةٍ إلى تطبيع العلاقات مع أنظمة الحكم والسِّياسة القائمة، وإنّه ليضرّ بالواقع الشيعيّ وبالأجيال الشيعيّة أن يمارس الخطاب الشيعيّ -دائمًا- لغة التعبئة الثوريّة، ولغة التصدّي والمواجهة.

حاجتنا في هذه المرحلة إلى الاندماج والتواصل مع الأنظمة الحاكمة، وإلى التعاطي مع المشروعات السِّياسيّة القائمة.

فلماذا الإصرار على (الخطاب الحسينيّ - الخطاب الثوريّ) هذا الخطاب الذي يحمل لجماهير الشيعة الكثير من السلبيّات والمخاطر والأضرار، نتيجة ما يفرضه هذا الخطاب من مواجهات وصدامات مع الأنظمة الحاكمة، ومع القوى السِّياسيّة الأخرى المتحرّكة في الساحة.

ثمّ تؤكّد الإشكاليّة القول:

بأنّه قد آن الأوان أن ينفتح الشيعة على خيار المسالمة والمصالحة مع الأنظمة الحاكمة، بعد تاريخٍ طويلٍ من الملاحقات والمطاردات، والاعتقالات والتصفيات، خاصّة وأنّ بعض علماء العصر من الشيعة يدعون إلى مشروع المهادنة والتطبيع مع الأنظمة الحاكمة اعتمادًا على مجموعة مبرّرات فقهيّة وسياسيّة.

هذه خلاصة الإشكاليّة.

ولنا حول هذه الإشكاليّة عدّة ملاحظات:

الملاحظة الأولى:

إنّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام -بعد واقعة كربلاء- لم يعتمدوا (النهج الثوري المسلّح) لعدم توفّر الشروط الموضوعيّة لهذا اللون من الممارسة الثوريّة المسلّحة، ولذلك كان الأئمّة عليهم السلام يتصدّون بقوّة لحالات الاستنهاض السّياسيّ الثوري ذات الطابع العفوي الساذج أو المشبوه أحيانًا.

ومن الشواهد التاريخيّة على ذلك:

١- ذكر الكليني في الكافي[١]:

- أنّ سدير الصيرفي - أحد أصحاب الأئمّة - قال للإمام الصّادق عليه السلام:

والله ما يسعك القعود.

قال الإمام الصّادق عليه السلام: ولمَ يا سدير؟

قال سدير: لكثرة مواليك وشِيعتك وأنصارك...

قال الإمام الصّادق عليه السلام: وكم عسى أن يكونوا؟

قال سدير: مائة ألف.

قال الإمام الصّادق عليه السلام: مائة ألف؟!

قال سدير: نعم ومائتي ألف.

قال الإمام الصادق عليه السلام: مائتي ألف؟!

قال سدير: نعم ونصف الدنيا..

قال سدير: فسكت عني... وذهبنا إلى ينبع.

فقال لي الإمام وهو ينظر إلى قطيع من الجداء:

(والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود)

قال سدير: فعددتها فإذا هي سبعة عشر.

(١) الكليني: الكافي ٢/ ٢٥٠، كتاب الإيمان والكفر، ب ١٠٠ (في قلّة عدد المؤمنين)، ح٤.

٢- ذكر المسعودي في مروج الذهب[١]:

- أنّ أبا سلمة الخلال بعث رسولاً إلى الإمام الصّادق عليه السلام ومعه كتاب يذكر فيه استعداده للدعوة والتخلّي عن بني العباس، فكان جواب الإمام الصّادق عليه السلام: (ما أنا وأبو سلمة وأبو سلمة شيعة لغيري)، قال رسول أبي سلمة: إنّي رسول فتقرأ الكتاب وتجيبه. فدعا الإمام الصّادق عليه السلام بسراج ثمّ أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول: (عرّف صاحبك بما رأيت).

٣- ذكر الشهرستاني في الملل والنحل[٢]:

أنّ أبا مسلم الخراساني كتب إلى الإمام الصّادق عليه السلام كتابًا جاء فيه: إنّي أظهرت الكلمة، ودعوت النّاس عن موالاة بني أميّة إلى موالاة أهل البيت، فإذا رغبت فلا مزيد عليك..

فأجابه الإمام الصّادق عليه السلام بكتاب قال فيه:
«ما أنت من رجالي، ولا الزّمان زماني».

الملاحظة الثانية:

وإذا كان الأئمّة عليهم السلام بعد واقعة كربلاء لم يُمارسوا - ولأسباب موضوعيّة - أيّ عمل ثوري مسلّح...

إلّا أنّهم قاموا بعدّة فعّاليّات منها:

١- ترسيخ الثورة الحسينيّة في وعي الأمّة وفي وجدانها، وقد استطاعوا من خلال ذلك أن يؤصّلوا الحالة الثوريّة الجهاديّة عند الأمّة، وأن يؤصّلوا الروح الاستشهاديّة في حركة الأمّة.

---

(١) المسعودي: مروج الذّهب ٣/ ٣٠٧، (مقدم السفّاح الكوفة). (ط ٢٠٠٤هـ، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان)

(٢) الشّهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٥٤. (ط. دار المعرفة، بيروت – لبنان)

٢- التثقيف الروحيّ والفكريّ والسياسيّ من أجل إعداد الأمّة للممّارسة الثوريّة الواعية الرشيدة، فالحركة الثوريّة التغييريّة تحتاج إلى مستوىً كبيرٍ من الوعي والنضج والبصيرة.

٣-ورغم أنّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام قد جمّدوا صيغة المواجهة المسلّحة مع الأنظمة السّياسيّة - ولأسباب موضوعيّة - إلّا أنّهم مارسوا دور الإسناد والتأييد لحركات ثوريّة مخلصة من خلال وسائلهم الخاصّة.

فالأئمّة عليهم السلام - كما يقول الشهيد الصّدر قدس سره - كانوا يرون ضرورة التوفّر على عملين:

- **أحدهما:** العمل من أجل بناء القواعد الشعبيّة الواعية...
- **والآخر:** تحريك ضمير الأمّة الإسلاميّة وإرادتها، والاحتفاظ بالضمير الإسلاميّ والإرادة الإسلاميّة بدرجة من الصلابة تحصّن الأمّة ضدّ التنازل المطلق عن شخصيّتها وكرامتها للحكام المنحرفين.

والعمل الأول هو الذي مارسه الأئمّة عليهم السلام بأنفسهم، والعمل الثاني هو الذي مارسه ثائرون علويّون كانوا يحاولون بتضحياتهم الباسلة أن يحافظوا على الضمير الإسلاميّ والإرادة الإسلاميّة، وكان الأئمّة عليهم السلام يسندون المخلصين منهم، كما فعلوا مع ثورة زيد بن عليّ بن الحسين، وثورة الحسين بن عليّ - صاحب فخ -.

الملاحظة الثالثة:

إنّ الخطاب الحسينيّ لا يعني فقط (الثورة والمواجهة المسلّحة)، وإنّما يعني أيضًا مجموعة أهداف تُعطي لهذا الخطاب ضرورته في كلّ الأحوال والظروف وفي كلّ المراحل، فالإشكاليّة المطروحة نظرت إلى بُعدٍ واحدٍ من أبعاد الخطاب الحسيني وأهملت بقيّة الأبعاد والأهداف...

فما هي الأهداف الأخرى للخطاب الحسينيّ؟

من هذه الأهداف:

١- الخطاب الحسينيّ يُربّي أجيالنا على إرادة الرفض والمواجهة للظّلم والباطل والفساد والمنكر والانحراف، وأمّا أساليب المواجهة فتحدّدها الظروف الموضوعيّة المتحرّكة في كلّ مرحلة، فمن الضروري جدًا أن تبقى عند جماهيرنا (إرادة الرفض) لمواجهة كلّ أشكال الفساد والانحراف، وقد دأبت الأنظمة السِّياسيّة الحاكمة على قتل هذه الإرادة عند الشعوب من خلال أدوات العنف تارةً، ومن خلال (مشروعات التدمير الأخلاقيّ) تارة أخرى.

وهنا نؤكّد على ضرورة أن تتعلّم جماهيرنا من الخطاب الحسينيّ (إرادة الرفض للباطل والفساد) وأن تتصدّى بقوّة لكلّ المشروعات التي تدمّر الأخلاق، ولكلّ الظواهر التي تهدّد أصالة المجتمع.

٢- الخطاب الحسينيّ يربّي أجيالنا على الثبات والصمود في مواجهة كلّ التحدّيات...وما دامت هذه التحدّيات الثقافيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة تتحرّك فالجماهير في حاجة إلى خطاب الحسين عليه السلام، وإنّ الدّعوة إلى تعطيل هذا الخطاب أمرٌ يشكّل خطرًا كبيرًا على صلابة الأمّة وقوّتها...

ثورة الإمام الحسين عليه السلام علّمتنا أن نعطي المال والدم والأرواح من أجل أن يبقى الإسلام، وأن تبقى قِيَم الإسلام، ومن أجل كلّ قضايا العدل والحقّ، فالحسينيّون هم السبّاقون للبذل والعطاء، وهذا شعبنا المظلوم في فلسطين يستصرخ ضمائر المسلمين، وهذه نساؤنا في فلسطين تستصرخ غَيرة المسلمين، وهذه الطفولة البريئة المعذّبة في فلسطين تستصرخ شهامة المسلمين، وهذه دماء الشهداء في فلسطين تخاطب كلّ المتخاذلين والصّامتين والمتآمرين. فهل من مغيث؟ إنّه نداء الحسين عليه السلام يتحرّك في كلّ زمان.

٣-الخطاب الحسينيّ يربّي أجيالنا على التمسّك بالقيم والمبادئ الإلهيّة، فمعركة كربلاء معركة قِيَم ومبادئ، وليست معركة حسابات ذاتيّة وغايات دنيويّة.

- خطاب الحسين عليه السلام يستنهض أجيال الأمّة أن تقف صامدة ثابتة دفاعًا عن قِيَم الدّين ومبادئ الإسلام، أن تقف صامدة ثابتة في مواجهة تيّارات الضّلال والغواية، تيارات التغريب والعلمنة التي تحارب القِيَم والمبادئ.
- خطاب الحسين عليه السلام يستنهض أجيال الأمّة أن توحّد الصّف، وأن تحذّر المتلاعبين بقِيَم الوحدة، ومبادئ التقارب. إنّ وحدة الصّف المؤمن من الأهداف الكبيرة جدًا، والتي لا يجوز التفريط بها بأيّ حالٍ من الأحوال ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].
- خطاب الحسين عليه السلام يستنهض علماء الأمّة أن يمارسوا دورهم الجادّ والصّادق في تأكيد وحدة الصف المؤمن، ويستنهض خطباء الأمّة أن يكونوا الدّعاة المخلصين إلى وحدة الصف المؤمن، ويستنهض مثقّفي الأمّة أن يؤصّلوا مفاهيم الوحدة في داخل الصف المؤمن.

فالحذر الحذر من كلّ المحاولات التي تهدف إلى زرع الفتنة والخلاف والصراع في داخل صفّنا المؤمن، والحذر الحذر من كلّ الممارسات التي تقلق الأجواء وتشتّت الجهود، وتستهلك الطاقات، والحذر الحذر من الانجرار إلى معارك جانبيّة، وخلافات هامشيّة، وجدليّات استهلاكيّة عقيمة تُميت في داخلنا همومنا الكبرى، وتطلّعاتنا الأصيلة، وطموحاتنا الحقيقيّة.

هل نبقى نتجادل حول (جنس الملائكة) وأعداء الإسلام يخطّطون للقضاء على قِيَمنا ومبادئنا؟!

هل نبقى نتجادل ونختلف في أنّ الدجاجة أصل البيضة أو البيضة أصل الدجاجة، والمؤامرات تتحرّك للقضاء على هويّتنا وأصالتنا؟!

من الجناية الكبرى في حقّ هذه الجماهير المؤمنة أن نزّيف وعيها، وأن ندجّن ثقافتها، وأن نُعبّأ عقلها بالأوهام والخرافات، وأن نرهق وجدانها ومشاعرها وأحاسيسها بالأحقاد والضغائن، وأن نُثقل واقعها، وحركتها، وحياتها بالخلافات والتناقضات.

---

(١) الأنبياء: آية ٩٢.

الملاحظة الرابعة:

إنّ ضـرورات المرحلـة الراهنـة -والأمّة تواجه معركة المصـير مع الصـهاينة المجرمـين -تفرضُ أن يكـون خطـاب المرحلـة هو (خطـاب الحسـين عليه السلام خطاب الثـورة والجهاد والشـهادة)، هذا هـو خيار المرحلـة والخيار الآخر هـو (خيار الذّل والهزيمة).

ومن المؤسـف جـدًا أنّ أنظمتنا العربيّة والإسـلاميّة، وأنّ قوى الثقافة، وقوى السِّياسّة في مجتمعاتنا العربيّة والإسلاميّة، وأنّ خطابات القضيّة في إعلامنا العربي والإسلامي وفي كلّ المؤتمرات لا زالت جميعها تقف مع (خيار الهزيمة).

إنّنا نطالب كلّ الأنظمة - إذا كانت صادقة - أنّ تقف مع خيار الثورة والجهاد والشـهادة، ونطالب علماء الأمّة أن يقفوا مع خيار الثورة والجهاد والشهادة، ونطالب قـوى الثقافة أن تقف مع خيار الثورة والجهاد والشّـهادة، ونطالـب جماهير أمّتنا أن ترفع شعار الجهاد والثورة.

إنّ الغضب المقدّس الذي تفجّر في شوارعنا العربيّة والإسلاميّة، غضب نحمل لـه كلّ الإجلال والتقدير والمباركـة، إلّا أنّ خيار الثورة والجهاد والشّـهادة هو الخيار الوحيد الذي يمكن أن يفهمه اليهود المعتدون.

فإذا كانت الأنظمة جادّة في دعم القضيّة فيجب أن تهيّئ جماهير الأمّة لمعركة الجهـاد الكبرى مع الصـهاينة، وأن تتحرّر هذه الأنظمة مـن هيمنة الخيار الأمريكي الذي يريد لهذه الأمّة أن توّقع وثيقة الذّل والعار مع الكيان الغاصب.

إنّ أمّتنـا الإسـلاميّة التـي تركع وتسـجد لله الواحد القهّـار، لا يمكن أن تقبل (خيار الذّل والهزيمة) إلّا إذا مات في داخلها حسّ الأصالة والانتماء، وهذا ما تحاول أنظمة السِّياسة وقوى العلمنة والتغريب أن تفرضه على هذه الأمّة.

إنّ هـذه الأنظمـة، وهذه الثقافات لا تريـد لجماهير الأمّة أن تعيش (صـحوة الإيمـان) لقد اتّفقـت إرادات الأنظمـة السِّياسـيّة، وإرادات التيّـارات العلمانيّة بكلّ فصائلها على مواجهة (الصحوة الإيمانيّة) عند جماهير هذه الأمّة.

إنّ القـرار الأمريكـي باتّهام الإسـلاميّين بالإرهـاب يجب أن يُنفّـذ، يجب أن تُنفّذه أنظمة الحكم، ويجب أن تُنفّذه كلّ الاتّجاهات الثقافيّة والسِّياسيّة التي تناهض الإسـلام وحتى لو كانت هذه الاتّجاهات مصـنّفة في خانة العداء لأمريكا وللسِّياسـة الأمريكيّة.

إذن هناك المشروع المناهض للإسلام الأصيل، المُصاغ من قِبَل أعداء الإسلام والذي تمّ تنفيذه في داخل مجتمعات المسـلمين من قِبَل سياسة حكم، وأحزاب علمنة، ورجال تغريب.

هذا الموضـوع لا أُريد أن أدخل في تفصـيلاته هنا، ما أريـد أن أقوله، أنّ خيار الهزيمة والذّل والاستسـلام لا يمكن فرضـه على هذه الأمّة إلّا من خلال مشـروعات المصادرة والاستلاب.

نعود للقول يجب على الأمّة أن تكون مهيّئة لمعركة الجهاد مع الصـهاينة، يجب أن يكون كلّ فرد في هذه الأمّة جنديًّا مستعدًا للقتال مع اليهود الغاصبين...

في إحدى محاضراتي قلت:

«إنّ الإسـلام في عصـر الرسـالة الأول خلـق مـن كلّ فرد في الأمّـة (جنديًّا) يدافع عن الرسالة، يقاتل من أجل العقيدة، يتعشّق الشهادة في سبيل المبدأ، كان هذا الجندي يحمل القرآن في يد، ويحمل السـيف في الأخرى، فلا بدّ مع القرآن من سيف يحمي القرآن، ولا بدّ مع السيف من قرآن يُعطي للسيف قُدسيّته.

مـن الخطـر أن تحمل الأمّة السـيف ولا تحمل القرآن، ومـن الخطر أن تحمل القرآن وتتخلّى عن السـيف، وإن كان حمل القرآن يفرض على الأمّة أن تحمل السيف ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1].

إنّ مسـؤوليّة الحكومـات العربيّـة والإسـلاميّة أن تربّي أبناء هـذه الأمّة على (حمل القرآن والبندقيّة معًا):

القرآن يمثّل عنوان هذه الأمّة، وأصـالتها، هويّتها، فغياب القرآن يعني غياب

---

(١) الأنفال: آية ٦٠.

العنوان والأصالة والهويّة...

والبندقيّة تمثّل عنوان القوّة والعنفوان والصمود...

إذن لن تقوى هذه الأمّة على الانتصار إلّا إذا حملت القرآن روحًا وفكرًا ومنهجًا، واعتمدت (الجهاد والشّهادة) شعارًا، وترسّمت (ثورة الحسين) خطًا ومنهجًا».

كلّ هذا يؤكّد ضرورة أن يبقى خطاب الحسين، خطاب الجهاد والشّهادة في هذه الأمّة، مهما كانت معطيات الواقع وضرورات المرحلة.

الملاحظة الخامسة:

لا يعني حينما يكون الحديث عن الجهاد والشّهادة أنّنا نطالب الجماهير أن تواجه الأنظمة والحكومات، وإنّ الإصرار على خطاب كربلاء لا يعني الدعوة إلى الثورة والمواجهة - كما تتوهّم الإشكاليّة -.

وأمّا خيارات الشعوب العربيّة والإسلاميّة في علاقاتها مع الأنظمة السّياسيّة الحاكمة، فمسألة تحتاج إلى صياغة أخرى...

وإذا كان خيار أمّتنا مع الكيان اليهودي الغاصب هو (خيار الثورة والجهاد والشّهادة).

- **فما هي خيارات شعوبنا في علاقاتها مع الأنظمة؟**
- **هل هي خيارات الصراع والمواجهة بين الإرادتين الشعبيّة والرسميّة أو خيارات الحوار والمصالحة؟**

إنَّ خيارات شعوبنا في علاقاتها مع الأنظمة الحاكمة خاضعة لمجموعة حسابات فقهيّة وموضوعيّة، فلا يمكن أن نطلق (خيار الثورة والمواجهة) أو (خيار المسالمة والمصالحة) أو أيّ خيار آخر إلّا من خلال دراسةٍ دقيقةٍ متأنّية، تُحدّد الرؤية والموقف وِفق مبرّرات دينيّة وسياسيّة، ووِفق قراءاتٍ موضوعيّة.

من الصعب جدًا، ومن الخطأ جدًا أن يُترك تحديد (الخيار السّياسيّ) في العلاقة مع الأنظمة إلى (الرؤى المصلحيّة الذاتيّة) أو (الرؤى الانفعاليّة المرتجلة)،

فكثيرًا ما تُورِّط هذه الرؤى المصلحيّة والانفعاليّة شعوب الأمّة في مواقف إيجابيّة أو سلبيّة، لها مردوداتها الخطيرة على كلّ الواقع الروحيّ والثقافي والاجتماعيّ والسِّياسيّ لهذه الشعوب.

وحسب الإشكاليّة المطروحة فإنّها تتّهم الخطاب الحسينيّ بأنّه يستنفر المشاعر الشيعيّة ضدّ الأنظمة السِّياسيّة الحاكمة، وهذا اتهامٌ خاطئ، فالخطاب الحسينيّ يستنفر المشاعر الجماهيريّة ضدّ الظّلم والفساد والباطل والانحراف، فالأنظمة التي تحتضن في سياساتها الظّلم والفساد والباطل فمشاعر الجماهير المؤمنة يجب أن تُستَنفر ضدّها، وهذا الاستنفار لا يعني (خيار الثورة والمواجهة)، فهذا الخيار على مستوى الحركة والفعل محكومٌ للحسابات الشرعيّة والموضوعيّة.

فيجب أن لا يُفهم من خطاب كربلاء الموجّه لجماهير الشيعة في ذكرى عاشوراء أنّه خطاب يستنفر المشاعر والعواطف ضدّ الأنظمة، ويُحرِّض الجماهير على الثورة والمقاومة...

نعم هذا الخطاب يمارس دور الإعداد والصياغة لا دور التحريك والمواجهة...

فيجب التفريق بين حالتين:

- الحالة الأولى: إعداد الأمّة وصياغتها.
- والحالة الثانية: تحديد الوظيفة العمليّة للأمّة.

فالحالة الأولى: (حالة الإعداد والصياغة) هي مسؤوليّة الخطاب في مساره الرِّسالي والثقافي والتربوي، ويمكن أن يمارس هذا الخطاب كلّ القادرين على صناعة الوعي، والمؤهّلين لتوجيه الأمّة روحيًّا وثقافيًّا وتربويًّا.

والحالة الثانية: (حالة الوظيفة العمليّة) هي مسؤوليّة الخطاب في مساره الفقهي والسِّياسيّ، ولا يمكن أن يمارس هذا الخطاب إلّا من يملك صلاحيّات القرار الشرعيّ والذي يُفترض فيه على مجموعة مؤهّلات.

وفي ضوء هذا نؤكّد أنّ الخطاب الحسينيّ وإن كان خطاب الثورة والشّهادة، إلّا أنّه يتحرّك في سياق الإعداد والصياغة، وليس في سياق التوجيه العملي لوظيفة الأمّة.

الملاحظة السادسة:

لقد برهن الوعي الشيعيّ، من خلال التعاطي مع الكثير من التجارب السِّياسيّة في هذا البلد أو ذاك، وفي أزمنة تاريخيّة متعدّدة أنّه بمستوى مسؤوليّات الموقف، وضرورات المرحلة، وبمستوى مسؤوليّاته الشرعيّة.

كان الشيعة المنتمون إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الكثير من مراحل التاريخ يقفون إلى جانب الأنظمة التي سامتهم العذاب إذا وجدوا أنّ الإسلام في خطر، وأنّ وحدة الأمّة في خطر...

ألم يُمارس الحكم العثماني أقسى ألوان الاضطّهاد والظّلم مع الشيعة، ولمّا تعرّض العراق إلى الغزو العسكريّ الكافر هبّ الشيعة وعلى رأسهم الفقهاء والعلماء ليكونوا جنودًا في جيش الخلافة العثمانيّة، وقدّموا دماءهم دفاعًا عن أرض الإسلام والمسلمين.

ألم يكن أئمّة أهل البيت عليهم السلام من قبل وهم يسامون الذّل والهوان والقتل والتشريد في ظلّ أنظمة الحكم الأمويّة والعباسيّة، مع ذلك نراهم يتضرّعون إلى الله بالدّعاء إلى جيوش الخلافة الأمويّة والعباسيّة المرابطة على ثغور المسلمين...

هكذا كان الشيعة عبر التاريخ الأوفياء الأمناء للإسلام والمسلمين، لم يكن الشيعة يفكّرون بعقل المواجهة والصدام، كانوا المسالمين حينما يجدون نوايا الأنظمة صادقة.

ولنأخذ (المشروع السِّياسيّ) في البحرين نموذجًا فما هو موقف الخطاب الشيعيّ من هذا المشروع السِّياسيّ؟

لم يرفض هذا الخطاب التعاطي مع المرحلة الجديدة ومع مشروعها السّياسيّ، ولم يحمل عقدة التردّد و الشّك والريبة، ثقة منه بصدق النوايا و التوجّهات.

لقد تعامل الخطاب الشيعيّ مع خطوات التغيير السِّياسيّ بإيجابيّة، ومرونة، وشفّافيّة، وانفتاح، و حينما نتحدّث بهذه اللغة لا نريد أن ننطلق من مزايدات رخيصة نكرهها كلّ الكره، ولا من تبجّحات باهتة نبغضها كلّ البغض، وإنّما نريد أن نؤكّد أنّ ما تتّجه إليه الإشكاليّة من اتّهام الخطاب الشيعيّ بالتشدّد - دائمًا - ضدّ الأنظمة السِّياسيّة، ليس صحيحًا، ومن اتهام الخطاب الحسينيّ بأنّه يستنفر مشاعر العداء للأنظمة ليس واقعيًا.

لقد أعطينا الثّقة كلّ الثّقة ولا زلنا نُعطي الثّقة تعبيرًا عن حسن النيّة في التعاطي مع المشروع السّياسيّ رغم التحفّظات الكبيرة حول بعض مفرداته، وبعض تعديلاته، ورغم القلق الذي يعيش في داخلنا نتيجة الإجحافات الواضحة في حقّنا والتمايزات الطائفيّة المكشوفة، والإساءات الإعلاميّة المتعمّدة، ورغم... ورغم...

إلّا أنّنا سنبقى الحريصين على استمرار المشروع، ونجاح التجربة، ما دمنا نملك الأمل، وما دمنا نملك القدرة على الكلمة والتوجيه، والتصحيح.

نسال الله تعالى أن لا يأتي اليوم الذي يموت فيه الأمل، وتختنق فيه الكلمة، وتنتكس فيه التجربة.

لقد قال العلماء كلمتهم الجريئة الصريحة في لقاءاتهم مع المسؤولين، وسيبقون يقولون الكلمة، ما دامت هي الخيار الأسلم والأصلح، وما دامت التطمينات تبعث على الثقة.

إلّا أنّ هذه التطمينات إذا لم تتحوّل إلى واقع عمليّ، فسوف تهتزّ الثّقة، وإنّ أخطر ما يواجه مشروع الإصلاح هو (اهتزاز الثّقة) وكم كان لهذا الاهتزاز – في مرحلة الاحتقان السّياسيّ – من نتائج مدمّرة، على كلّ المستويات.

٩

المأتم مؤسّسة دينيّة(١)

المأتم الحسينيّ مؤسّسة دينيّة تملك موقعًا متميّزًا جدًّا في الواقع الشيعيّ، وتحمل رسالة كبيرة جدًّا لها أبعادها العقيديّة، والفكريّة، والروحيّة، والأخلاقيّة، والاجتماعيّة، والسّياسيّة، والجهاديّة.

خطران محدقان:

من هنا كانت هذه المؤسّسة، مستهدفة عبر التأريخ من قبل قوى معادية لهذه المؤسّسة، أو من قبل قوىً متخلّفة لم تستوعب رسالتها وأهدافها.

فالمؤسّسة الحسينيّة تواجه خطرين: خطرًا خارجيًّا تمثّله القوى المعادية، وخطرًا داخليًّا تمثّله القوى المتخلّفة، ولكي نحصّن هذه المؤسّسة الحسينيّة (المأتم) في مواجهة الأخطار الخارجيّة، والأخطار الداخليّة نحتاج إلى المكوّنات التالية:

المكوّنات الثلاثة:

- خطيب مؤهّل بمستوى رسالة المؤسّسة الحسينيّة.
- إدارة مؤهّلة بمستوى رسالة المؤسّسة الحسينيّة.
- جمهور حسينيّ مؤهّل بمستوى رسالة المؤسّسة الحسينيّة.

---

(١) كلمة أُلقيت على هامش الجلسة الرابعة من جلسات مؤتمر عاشوراء الثاني ١٤٢٧هـ في مأتم السنابس.

هـذه مكوّنات ثلاث، (خطيب مؤهّـل، إدارة مؤهّلة، جمهور مؤهّل)، وإنّ غياب أيّ مكـوّن مـن هذه المكوّنات يهدّد المؤسّسـة الحسـينيّة في بقائها، وفي رسـالتها، وفي أهدافها.

إذا غاب الخطيب المؤهّل فقد المأتم رسـالته، وإذا غابت الإدارة المؤهّلة ارتبك أداء المأتم الحسينيّ، وإذا غاب الجمهور الواعي المؤهّل لم تكن لرسالة المأتم أيّ دور.

مـا يعنينـا في هـذا اللقـاء المكـوّن الثـاني وهـو الإدارة، (إدارة المؤسّسـة الحسينيّة).

ما هو المطلوب من إدارات المآتم؟

مطلوبٌ أولًا: من إدارات المآتم أنْ تكون بمسـتوى وعي أهداف المأتم ورسالة المأتم، تصـوّروا أحبّتي لو أنّ شخصًا تحمّل مسؤوليّة مؤسّسة اجتماعيّة ولكنّه لا يملك فهمًا برسـالة هذه المؤسّسـة، وبأهداف هذه المؤسّسة لا شـكّ ستفشل المؤسّسة، لو أنّ شخصًا استلم مسؤوليّة مؤسّسة ثقافيّة، مؤسّسة اقتصاديّة، ولم يتوفّر على وعيٍ كامل برسالتها وبأهدافها ستفشل المؤسّسة.

مـن هنا المؤسّسـة الحسـينيّة مؤسّسـة خطيرة، فمن يتصـدّى لمسـؤوليّة هذه المؤسّسـة، ولإدارة هـذه المؤسّسـة يجب أنْ يمتلك درجـة عالية من الوعـي بأهدافها ومسـؤوليّاتها، وأنا لا أريد أنْ أدخل في الحديث عن مسـؤوليّات المؤسّسـة الحسـينيّة (مسـؤوليّات المأتم)، وإنْ كنت سأوجزها بشكّل مركّز في أربع مسؤوليّات وأربع مهام، يجب على مسـؤوليّ المآتم أنْ يسـتوعبوا بشكّل واضح، وبشـكّل عميق هذه المسؤوليّات بشكّل متوازن.

المهام الأربع:

المهمّـة الأولى للمؤسّسـة الحسينيّـة (للمـأتم): إحيـاء مصيبـة الإمـام الحسين عليه السلام ومصائب أهل البيت عليهم السلام:

هذه مهمّة مركزيّة، لا يمكن التفريط فيها، ولا يمكن التنازل عنها، فلو جاء يوم

من الأيام مسـؤول أحد المآتم، وقال: إنّنا نريد المأتم للمحاضـرات، وللكلمات الثقافيّة - وهـذه تصـبّ في خطّ الحسـين عليه السلام -، ولا نحتاج لتعزية، لا نحتـاج لمجالس تذكّرنا بمصـاب الحسـين عليه السلام، فهذا ممّا لا شـكّ فيه تفريط بوظيفة أساسـيّة من وظائف المؤسّسة الحسينيّة.

نحن نشدّد على إحياء الجانب المأساويّ، وإحياء جانب المصيبة على أنْ يعتمد هـذا الإحياء أسـاليب صـحيحة، ولا يعتمد أسـاليب تُسـيئ إلى أهـداف كربلاء، ولا ممارسـات تُسـيئ إلى أهداف كربلاء، فالجانب المأسـاويّ - (جانب الحزن، جانب الدمعـة، جانب البكاء) - هدف مركزيّ، فلا يمكـن أنْ نتنازل عنه في يوم من الأيام، وحتى لو صـارت ضـجّة علينـا، وأنّ الشـيعة بكّاؤون، يعيشـون حياة الحـزن والبكاء والمأساة.

أنا أقول:

يجـب أنْ يبقـى الحـزن علـى الحسـين عليه السلام، ويجـب أنْ تبقـى الدمعـة على الحسـين عليه السلام، ويجـب أنْ يبقـى البـكاء على الحسـين عليه السلام، لأنّ هـذا يعطينا ديمومة الانصـهار، والتفاعل مع قضيّة عاشـوراء، هذا هدف مركزيّ لا يسمح لإدارات المآتم أنْ يفرّطوا فيه.

المهمّة الثانية المركزيّة: إحياء أهداف الحسين عليه السلام:

فالحسـين عليه السلام دمعة، الحسـين عَبْرة، لكنّ الحسـين أيضًـا أهداف، الحسين عليه السلام مبـادئ، الحسـين عليه السلام قِيَم، فلو جاء يوم من الأيام مسـؤول مـأتم وقال: نحن لا نريـد أحاديث فكريّة، وثقافيّة، وتربويّة، ووعظًا وإرشـادًا، نريد فقط مصـيبة، فهذا مفرّط في أهداف المأتم، هذا مسـؤول أمام الله، فالحسـين عليه السلام ثار من أجل أنْ يُركّز مبادئ، يُرسّـخ مفاهيم، يُرسّـخ قِيَم الدّين، قيم الإسـلام، من أجل الإسلام، الإمام الحسين عليه السلام أعطى دمه من أجل الدّين، من أجل قِيَم الدّين، من أجل مفاهيم الدّين، فعندما يأتي أحدٌ يفرّط في هذا الهدف، فهذا خائن لرسـالة المأتم الحسـينيّ، كما أنّ الذي يُفرّط في الهدف الأول هو خائن لرسـالة المأتم الحسينيّ، كذلك الذي يُفرّط في

الهدف الثاني وهو إحياء أهداف الإمام الحسين عليه السلام والمتمثّلة في الدفاع عن العقيدة، وعن مفاهيم الدّين.

هذه أهداف الإمام الحسين عليه السلام التي من أجلها ضحّى، من أجلها أعطى دمه في الدفـاع عن العقيدة، وعن مفاهيم الدّين، الدفاع عن القيم وأخلاق الدّين، الدفاع عن المظلومين سياسيًّا واجتماعيًّا، هذه أهداف مركزيّة.

إذًا هذه وظيفة أيضًا لا يسمح لمسؤولي المآتم أنْ يفرّطوا فيها.

المهمّة الثالثة: الوظيفة التاريخيّة:

من وظائف المأتم والتي لا يسمح للقائمين على المآتم الحسينيّة أنْ يفرّطوا فيها هـي: الوظيفة التاريخيّة، وأقصـد هنا مسـؤوليّة المأتم في التعريف بتاريخ الإسـلام، تاريخ الأئمّة عليهم السلام، تاريخ أهل البيت عليهم السلام، هذا ما نسـمّيه بالسـيرة، بعض أصحاب المآتم يقولون: لا نريد سـيرة، وبعضـهم يُصـرّ على السـيرة، نحن نؤكّد على السـيرة الصـحيحة، ضـرورة أنْ تكون أحد منطلقات المأتم، نحن محتاجون أنْ نعرّف أجيالنا بتاريخنا، تاريخ إسـلامنا، تاريخ الرّسـول صلى الله عليه وآله، تاريـخ الأئمّة عليهم السلام، تاريخ كربلاء، تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، تاريخ أبطال كربلاء، هذه سيرة لا بدّ أنْ تُطرح، بشرط أنْ تُطرح بشكّل صـحيح، لا طرحًا خرافيًّا، ولا طرحًا أسطوريًّا، ولا طرحًا معبًّأ بقصص وهميّة لا أساس لها، بل نريد طرحًا صحيحًا، فهذه مسؤوليّة كما هي الدمعة مسؤوليّة مركزيّة، وهدف مركزيّ، كما هي المفاهيم الفكريّة هدف مركزيّ، سـيرة الإسـلام، سـيرة رجال الإسلام، سيرة الإمام الحسين عليه السلام وأبطال كربلاء أيضًا هدف، وظيفة مركزيّة لا يُسمح لأصحاب المآتم أنْ يُفرّطوا بها.

المهمّة الرابعة: الوظيفة الاجتماعيّة:

دور المـأتم في خلق لحمة اجتماعيّة، في خلق تماسـك اجتماعيّ، في خلق تكافل اجتماعيّ، في أداء خدمات اجتماعيّة، المأتم مؤسّسة تمارس دورًا اجتماعيًّا كبيرًا.

إنّ خلـق هذا الموج مـن التلاحم والتواصـل الاجتماعيّ (وحـدة الأمّة، تقارب الأمّة، خطاب الوحدة، خطاب التقارب، خطاب التلاحم) من أهداف الحسين عليه السلام.

إذًا المطلوب أولًا من مسـؤولي المآتم أنْ يستوعبوا أهداف المآتم، ورسالة المأتم، وأنْ يعملـوا علـى تحقيقها، ليس فقط أنْ أفهم ما هي أهداف المأتم، فسـهل أنّ يفهم كلّ واحـد أهداف المأتم، واحد، اثنين، ثلاثة، لكنّ التحدّي الصـعب كيف نترجم هذه الأهداف إلى واقع متحرّك؟

أنت كمسـؤول مأتم يجب أنْ تفعّل الأهداف، أنْ تفعّل الوظائف الحقيقيّة بقدر إمكاناتك، بقدر استطاعتك، أنْ تجعل نفسك مدافعًا عن أهداف المأتم الحسينيّ، وأنْ لا تفرّط في أيّ هدف من الأهداف المركزيّة للمأتم الحسينيّ، هذا أولًا.

ومطلـوب ثانيًا من مسـؤولي المآتم حتى يُحقّقوا رسـالة المـأتم، وحتى يُحقّقوا أهداف المأتم، اختيار الكفاءات الخَطابيّة المؤهّلة، هذه مسـؤوليّتك أنت أيّها المسـؤول في المأتم، أنت تضع هذا الإنسان على المنبر، أنت الذي تفتح هذا الخطاب للنّاس، أنت المسؤول بالدرجة الأولى.

صحيح أنّ الجمهور مسؤول، وتوجد مواقع أخرى مسؤولة، إلّا أنّك باعتبارك في موقع متصدٍّ لشأن المأتم، فأنت المسؤول الأول عن اختيار الخطيب المؤهّل.

فحينمـا أقول مؤهّل؛ فتّشـوا عن خطباء مؤهّلين يحملون رسـالة المأتم رسـالة حقيقيّة، يحقّقون الأهداف بشـكل حقيقيّ، خطيب مؤّهل فكريًّا، ومؤهّل روحيًّا أيضًا، قـد أجد خطيبًا مؤهـلًا فكريًّا وثقافيًّا لكنّ الجانب الروحيّ متدنٍ عنده، وهذا يُشـكّل موقعًا سيّئًا للنّاس، فالنّاس ينظرون للخطيب على أنّه موقع قدوة، موقع توجيه، موقع صـياغة وصنع للنّاس، فمطلوب من المسـؤول أنْ ينتقي الخطيب الذي يملك المؤهّلات الروحيّـة، المؤهّـلات الأخلاقيّة، المؤهّلات السـلوكيّة، المؤهّلات الرسـاليّة، المؤهّلات الخطابيّة.

أنـا لا أطلـب الاهتمام بالمهارات الصـوتيّة فقـط، فبعض المسـؤولين يهمّه أنْ يكـون الخطيب يملك صـوتًا جيّدًا، وصـوتًا شـجيًّا، وجذّابًا، ويجتـذب النّاس، فهذا كافٍ عندهـم، لا أقـول: لا يجب أنْ نهتمّ بهذا الجانب، بـل يجب أنْ نهتمّ به، لكن إلى جانب تلك المهارات الصـوتيّة هنـاك مهارات أخرى، وكفاءات أخرى مسؤول أنت أيّها المتصدّي لمسؤوليّات المآتم أنْ تفتّش عن الخطيب المؤهّل الكفوء.

ومطلـوب ثالثًا منك أيّها المسـؤول المتصـدّي لإدارة وشـؤون المـآتم أنْ تتحمّل مسؤوليّة شرعيّة واعية.

إدارة المـآتم تحتاج إلى فقـه أيّها الأحبّة، هناك فقه المـآتم، فقه الأموال، هذه مسـألة تحتاج إلى حضـور دورات فقهيّـة، لذلك ندعـو إلى أنْ تتشـكّل دورات فقهيّة لإدارات المآتم، لمسؤولي المآتم، التصرّف في المال يحتاج إلى رؤيّة فقهيّة، استلام المال يحتـاج إلى ولايـة فقهيّة، التصـرّف في المال يحتـاج إلى ولاية شـرعيّة، معرفة موارد الصـرف يحتاج إلى رؤية شـرعيّة واضحة، فأنت تتحمّل مسـؤوليّة خطيرة أمام الله، وأمـام الشـارع، فإذا كنت تمارس دورك ولم تكن تمتلك رؤية فقهيّة واضـحة، فإنّك مسـؤول بأنْ تحافظ على أموال المأتم، وعلى وقوفات المأتم، والتصرّف فيها، هذه كلّها مسائل تحتاج إلى فهم فقهيّ وإلى رؤية فقهيّة، وإلى ولاية شرعيّة، وأنْ تتوفّر على هذه الولاية.

فمطلوبٌ منك أيّها المسؤول أنْ تمتلك هذه الرؤية، أنْ تحضر دورات تتثقّف من خلالها فقهيًّا، لتكون قد تحمّلت مسؤوليّتك وفق البعد الشرعيّ الصحيح.

مطلوبٌ من مسؤولي المآتم أنْ ينفتحوا على جمهور المنبر، حضّار المأتم، بمعنى أنْ تتعامـل مـع النّاسـ، أن تكون لديك شـفافيّة، فالمسـؤول يجب أنْ يملـك أخلاقًا، وشـفافيّة، وروحيّة منفتحـة على النّاس، وعلى الحضّـار، وعلى المسـتمعين، لأنّ هذه الـروح الشـفّافة المنفتحة لها كلّ الأثر في جذب المسـتمعين، وفي جذب النّاس، كما أنّ الخطيب له دوره في اجتذاب المستمعين.

فأخلاقيّـة وشـفافيّة الإدارة لها أيضًـا الدور الكبير في اجتذاب وفي احتضـان المستمعين، وفي دور المستمعين.

أنْ لا تكـون الإدارات إدارات متسـلّطة، فلربّمـا يقـول أحدهـم: لقد انتخبوني إداريًّا، فأنا أمارس إدارتي كما أشاء.

اعملوا على أن لا تتحوّل الإدارات إلى إدارات سلطويّة استبداديّة تحكميّة.

اسمعوا للنّاس، اسمعوا لآراء النّاس، حتى يكون دوركم دورًا حقيقيًّا.

ومطلـوب رابعًا أيضًــا من إدارات المــآتم اعتماد لجان استشــاريّة، فلتعتمد كلّ إدارة لجانًــا استشــاريّة، فأنا أدعــو إلى وجود لجنة فقهيّة في كلّ مــأتم، ففي كلّ مأتم يجب أنْ تتوافر فيه لجنة فقهيّة، لتشرف على الحركة الفقهيّة في شؤون المأتم، يحتاج المأتم إلى لجنة استشــاريّة في الجانب المــاليّ، إلى لجنة في الجانب الثقافيّ، إلى لجنة في الجانب الاجتماعيّ، هذه أمور أساسـيّة تسـاهم في الأداء الصــحيح، والإشــراف الصحيح.

وأخيرًا:

أؤكّد على الإخلاص والأمانة، أهم شرطين أساسيّين في إدارات المآتم: الإخلاص والأمانة، السـلوك الملتزم دينيًّا وأخلاقيًّا، فهذه عناصر مهمّة جدًّا تعطينا أفقًا واسعًا في أنْ نمارس دورنا كإداريين وفق ما أراد الله، أنا لا أتصدّى للإدارة لكي أشتهر، لكي أتحكّم، لكي يذيع صوتي وينتشر، فأنا أمارس دورًا من أقدس الأعمال.

ففــي الحقيقــة أنتم تمارســون دورًا مــن أقدس الأعمال، وعبــادة من أعظم العبادات عند الله إذا أخلصتم لله.

فعمل عظيم جدًّا أنْ أكون خادمًا لمأتم الحسين عليه السلام .

أنتم خدّام لمأتم الحسين عليه السلام إذا أخلصتم لله.

ثقــوا أنّكــم تقعــون في موقع متقــدّم جدًّا عنــد الله ســبحانه وتعــالى، فهنيئًا للمخلصين الصادقين في هذا الخط.



كيف نُقيِّم [أو نُقوِّم] نجاحات الموكب الحسينيّ أو إخفاقاته؟[1]

أيّها الأخوة الأطايب، أرحّب بكم أجمل ترحيب وأنتم تتابعون معنا هذا الملتقى الإيمانيّ في ليلته الثالثة وفي جلسته الختاميّة، فلكم منّا خالص الشكر والتقدير، ولكم من الله العليّ القدير عظيم الأجر، وجزيل العطاء وهو الربُّ الكريم المنّان.

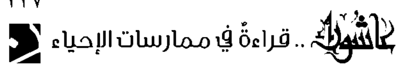
نسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه ومقبولًا لديه ومشمولًا بألطافه.

أستميح المشاركين عذرًا وأنا أزاحم الوقت المخصّص لأوراقهم والتي بذلوا في إعدادها جهدًا علميًّا مشكورًا، إلّا أنّها بعض أسطر نفتتح بها هذا اللقاء، ولا تتّسع كلمة افتتاح إلّا إلى وقفة عاجلة تُثمِّن هذا الجهد الطيّب، وهذا الحضور الوفي لمؤتمر عاشوراء، وتحاول أن تلامس عنوان المؤتمر ملامسةً خفيفة، وقد أغنى المشاركون والمداخلون العنوان بحثًا ومعالجةً وتفصيلًا.

في غاية الأهميّة والضرورة أن يتشكّل ملتقىً يعالج الشّأن العاشورائيّ، كون هذا الشأن قد تأصّل في الوجدان الشيعيّ، وفي العقل الشيعيّ، وفي التاريخ الشيعيّ، وفي الحاضر الشيعيّ، وفي المستقبل الشيعيّ.

إلّا أنّ هذا لا يعني أنّ عاشوراء ملكٌ خاصٌ للشيعة، رغم أنّها صبغت كلّ وجودهم

(١) كلمة افتتاحيّة للجلسة الختاميّة في مؤتمر عاشوراء الرابع ٤ ذو القعدة ١٤٣٠هـ - الموافق ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٩م، في مأتم السنابس الجديد، وعنوان المؤتمر هو «الموكب الحسينيّ الواقع والطموح (المنطلقات – الأهداف – الممارسات)».



منذ ظهيرة العاشر من المحرّم سنة إحدى وستين للهجرة وحتى التاريخ المعاصر.

وبمقدار نجاح أو فشل الأداء العاشورائيّ يتحدّد النجاح والفشل على عدّة مستوياتٍ تشارك في صوغ وإنتاج الواقع الشيعيّ خطابًا وحركةً وأهدافًا وطموحات.

وكم هي الإساءة كبيرةٌ وخطيرةٌ إلى هذا الواقع حينما يُعرض موسم عاشوراء وخاصةً عبر الوسائل المفتوحة أمام العالم عرضًا يدفع إلى الازدراء والتوهين والاحتقار.

وممّا يُؤسف له أنّ مجموعةً من الممارسات تراكمت من خلال مزاج شعبيّ، وجد فرصته حينما غاب الترشيد الهادف، وحينما غابت الكلمة الجريئة في مواجهة إملاءات الشارع ومزاجاته، الأمر الذي حوّل هذه الإملاءات والمزاجات إلى «حالاتٍ مقدّسة» يحرم المساس بها أو التساؤل عن مشروعيّتها.

إنّ صمتًا طويلًا وتحت «ذرائع» متعدّدة قد فرض واقعًا مثقلًا باختراقاتٍ أنتجتها ذهنيّات عاميّة، وربّما بدوافع مخلصة لقضيّة عاشوراء، وبرغبة للتعبير عن مشاعر الحبّ والولاء إلّا أنّ هذه المشاعر والتي قد تكون أدوات التعبير عنها خاطئةً وغير مشروعة لا يصحّ أبدًا أن تتحوّل إلى «شعائر» هذا العنوان الذي يحمل دلالته الكبيرة جدًا في المنظور الدينيّ، وله خصوصيّاته الشرعيّة والتي جعلت من «الشعائر» معالم طريقٍ ثابتةٍ لا تتغيّر في خطّ الله تعالى.

وفي زحمة هذا الصمت كانت هناك وقفاتٌ جريئةٌ وصريحةٌ لفقهاء قالوا كلمتهم في ترشيد الواقع العاشورائيّ، وتحمّلوا الكثير من العناء في مواجهة انفعالات العوام ومزاجاتهم، وأكرّر أنّ هذه الانفعالات والمزاجات ربّما تنطلق من إخلاصٍ لقضيّة عاشوراء، إلّا أنّها في حاجةٍ إلى ضبطٍ وترشيد.

قد يُقال:

إنّ التصدّي لممارساتٍ قد تجذّرت في الواقع العاشورائيّ يُنتج – يعني هذا التصدّي – أحد أمرين:

الأمر الأول:

أن يضع الممارسات العاشورائيّة جملةً وتفصيلًا في معرض الشكّ والريبة ممّا يقلّل من حماس الجماهير وتفاعلها في التعاطي مع المراسيم العاشورائيّة.

الأمر الثاني:

أن يُكرِّس الممارسات الخاطئة من خلال ردّات فعل المتحمّسين لها، والمدافعين عنها، والمؤمنين بمشروعيّتها.

ونلاحظ على هذا الكلام:

أوّلًا:

المطلوب هو إنتاج حماسٍ عاشورائيّ يعتمد أصالة الرؤية، وشرعيّة الموقف، وفي الكثير من ممارسات عاشوراء ما يملك هذه الأصالة، وهذه الشرعيّة، فلا خوفَ على المسار العاشورائيّ من عمليّة النقد والمحاسبة الهادفة إلى تنقية الممارسات العاشورائيّة من الزوائد والشوائب، وهي التي تُعرِّض الحماس الأصيل إلى التداعي والانهيار، فلا داعي للخوف على المراسيم العاشورائيّة وقد حافظت على وجودها عبر تاريخٍ طويلٍ من المواجهات والمصادمات والتحدّيات والتي كلّفت أتباع هذا الخط أثمانًا باهضة من أرواح ودماء ومشانق وزنزانات.

ثانيًا:

إنّ غياب النقد والمحاسبة هو الذي كرّس الممارسات الخاطئة، وجذّرها في الواقع العاشورائيّ - كما قلنا - ومهما يكون الإصرار على بقاء تلك الممارسات قويًّا ومتشدّدًا فإنّ وجود رؤية أخرى رافضة تتحرّك وتُحاور وتنتقد يُؤسِّس لحراكٍ يُصحّح ويُغيّر، متى ما اعتمد نهجًا علميًّا، وخطابًا حكيمًا، ولغةً نظيفة.

أيّها الأحبّة:

إنّ مهمّة هذا الملتقى صعبة جدًا، فنتمنّى أن تكون المعالجات المطروحة، والقرارات الصادرة في مستوى هذه المهمّة الصعبة.

وإنّ عنوان هذا المؤتمر من أعقد العناوين وأشدِّها حساسيّة، فالموكب الحسينيّ يُشكِّل أحد أبرز المراسيم العاشورائيّة، فنجاحاته أو إخفاقاته تنعكس على مجمل الموسم العاشورائيّ.

وهنا سؤالٌ يجب أن يُطرح:

كيف نقيِّم [أو نقوِّم] نجاحات الموكب الحسينيّ أو إخفاقاته؟

- كثافة المشاركين والمشاهدين؟
- فوران العواطف والمشاعر؟
- سخونة الردّات والشعارات؟

كلّ هذا له دلالاته الكبيرة، إلّا أنّه ليس معيارًا للتقويم.

هناك معياران أساسان لنجاح الموكب الحسينيّ:

- المعيار الأوّل: مستوى التعبير عن أهداف عاشوراء.
- المعيار الثاني: مستوى التجسيد لأهداف عاشوراء.

ولكي نمارس تطبيقًا لهذين المعيارين، نضع أمامنا مكوّنات الموكب الحسينيّ:

المكوّن الأوّل: خطاب الموكب الحسينيّ (الردّات/ القصائد/ الشعارات/ اللافتات):

فنجاحُ الخطابِ أن يكون في مستوى أهداف عاشوراء، وعيًا، وصدقًا، وأصالةً، وقدرةً على التجدّد والمعاصرة.

وهنا نؤكّد على ضرورة أن يبقى خطاب الموكب في ردّاته وقصائده، وشعاراته، ولافتاته يحمل عنوان (الحسين عليه السلام) وإن قارب قضايا العصر وأحداثه وحاجاته.

المكوّن الثاني: شكل الموكب الحسينيّ (شكل الأداء/ شكل الممارسات):

وهنا لا نشترط شكلًا محدّدًا للأداء وللممارسات، فالشكل يتجدّد ويتطوّر حسب الزّمان والمكان.

نعم يجب أن يكون الشكل معبِّرًا عن أهداف عاشوراء، وملتزمًا بضوابط الشّرع، وفي ضوء هذا وُجد في مراسيم الموكب الحسينيّ: القديم والجديد، الأصيل والدّخيل، الواعي والسّاذج...

المكوّن الثالث: جمهور الموكب الحسينيّ (الجمهور المشارك):

ونجاح الموكب يفرض أن يكون جمهوره في مستوى أهداف عاشوراء وعيًا، وانصهارًا، وتطبيقًا، ورساليّة...

المكوّن الرابع: أجواء الموكب (ما يتحرّك أثناء الموكب من أوضاع وسلوكيّات):

فهذه الأجواء يجب أن تُحافظ على قدسيّة الموكب الحسينيّ ورسالته وأهدافه، فالاختلاط المحرّم، وظهور شبّانٍ وشابّاتٍ بأشكالٍ تتنافى مع الدّين والقِيَم، وصدور ممارساتٍ شاذّة، وحدوث خلافاتٍ وصراعاتٍ وتجاذبات، كلّ ذلك يخلق أجواء لا تنسجم مع أهداف عاشوراء.

وهنا نؤكّد على أهميّة وضرورة وجود جهاز رقابةٍ لحماية الأجواء العاشورائيّة من كلّ الاختراقات المنافيّة، وهذا ما تُمارسه في العاصمة هيئة تنظيم الموكب الحسينيّ والتي تشكّلت منذ زمنٍ طويل، ومارست دورًا فاعلًا في الحفاظ على الأجواء العاشورائيّة، وتصدّت لكلِّ الممارسات الضارّة بقداسة الموكب الحسينيّ.

وهذه الهيئة لا زالت في حاجةٍ إلى رفدٍ ودعمٍ ومساندةٍ من قِبل العلماء، والقائمين على شؤون المواكب، ومن كلّ القادرين على الإسناد والدعم، وهي كذلك في حاجةٍ إلى كوادر عاملة تنضمّ إلى هذا التشكّل المبارك والذي يُجسّد أهمّ أهداف عاشوراء، ويحمل بصدقٍ، وإخلاصٍ رسالة الحسين عليه السلام، وجهاد الحسين عليه السلام.

وفي الختام نُنبّه إلى مسألتين مهمّتين:

المسألة الأولى: دور العلماء في نجاح الموكب الحسينيّ:

ويتجسّد هذا الدور من خلال التوجيه الفكريّ والثقافيّ والروحيّ والأخلاقيّ

والسلوكيّ والرساليّ لكلِّ مكوّنات الموكب الحسينيّ، ويتجسّد كذلك من خلال الحضور الفاعل في مواكب العزاء، وفي مجمل قضايا عاشوراء.

إنّ تصدّي المجلس الإسلامي العلمائيّ لإقامة هذا المؤتمر، والإصرار على استمراره يُعبِّر عن حضورٍ علمائيٍّ متميّز في قضايا عاشوراء.

كما أنّ التفاعل الجماهيريّ مع هذا المؤتمر، ومع جميع فعّاليّات المجلس العلمائيّ ليحمل دلالةً صريحةً على ولاء الجماهير والتفافها حول هذا المجلس ورموزه، فلن تسمح الجماهير لأحدٍ أن ينال من هذا الوجود المبارك الذي تأسّس انطلاقًا من وظيفةٍ شرعيّةٍ مُلزِمةٍ لا يجوز التفريط فيها، ولا يجوز أن تكون مرهونةً لقرارات سياسيّة، هذه الوظيفة هي الدعوة إلى الله، وتبليغ أحكامه، والحفاظ على قيم الدين، والدفاع عن مبادئه والأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر.

إنّ متغيّرات العصر وتطوّراته وحاجاته وضروراته وتحدّياته تفرض أن يتشكّل «عمل علمائيّ جمعي» لأداء الوظيفة الشرعيّة المُلزِمة، فلا يمكن لأيّ رغبةٍ سياسيّةٍ أن تُعطّل هذه الوظيفة.

المسألة الثانية: دور القائمين على مواكب العزاء:

فدورهم كبيرٌ في إنجاح المواكب وفي إخفاقها، فمتى ما توفّر هؤلاء القائمون على وعيٍ بأهداف عاشوراء، وعلى انصهارٍ صادقٍ مع رسالة عاشوراء، وعلى التزامٍ وتجسيدٍ لهذه الرسالة والأهداف، وعلى مؤهّلاتِ إشرافٍ وإدارة، فإنّ هذا يُساهمُ بدرجةٍ كبيرةٍ في الدّفع بحركة المواكب في اتّجاه النجاح، ومتى فقد هؤلاء القائمون تلك الشروط والمؤهّلات كان الدفع في اتجاه الفشل والإخفاق...

القسم الرابع

عاشوراء مدرسة الأجيال

- عاشوراء مدرسة الأجيال.
- الجمهور العاشورائيّ.
- كيف نصوغ الجمهور العاشورائيّ؟
- ماذا تريد منكم كربلاء يا شباب الأمّة؟
- ماذا علّمتنا كربلاء؟
- علمنا الإمام الحسين أن نقول: لا للظلم، لا للباطل.
- ثورة الإمام الحسين عليه السلام والامتحان الصعب لمواقف الأمّة.
- ذكرى عاشوراء وصياغة المشروع التغييري.

١

عاشوراء مدرسة الأجيال

إنّ عاشــوراء حاضــرة في حركة التاريخ؛ بما تمتلكه من مكوّنات قادرة على أن تتجــاوز أطر الزّمان والمكان، فقضــيّةٌ في مســتوى ثورة الإمام الحســين عليه السلام تأبى أن تتأطّر وأن تتحجّم وأن تنسجن في قبضة الزّمان والمكان.

وهكذا جسّدت عاشوراء حركة التواصل مع الأجيال من خلال مكوّناتها الذاتيّة، ومن خلال إنتاجاتها الفاعلة، وصياغتها المتجدّدة.

وإنّ أهــم المكوّنــات التي أعطت لعاشوراء قدرتهــا على التواصل مع حركة الأجيال هي:

(١) المكونات العقيديّة:

فعاشوراء في انطلاقاتها وأهدافها حركة تأصيليّة في خطّ المبدأ والعقيدة، ممّا أعطى لهذه الحركة قدسيّتها ومكانتها في وعي الأجيال، وفي وجدان الأمّة، فهي ليست ثــورة كما هي الثــورات، ولا حركة كما هي الحــركات، كونها إنتاجًا من صــنع الموقف المعصوم، وكونها تجذّرت من خلال دم الإمام الحسين عليه السلام، ومن خلال دماء الصفوة الأخيار من أهل بيته وأصحابه.

(٢) المكوّنات الروحيّة:

المضــمون الروحيّ يُشكّل عنصــرًا هادفًا في البناء الذاتيّ لحركة عاشوراء بما تحملــه من معطيات كبيرة جدًّا في خلق الولاء والحبّ والفناء والشّــهادة من أجل الله

سبحانه، ومن أجل القِيَم الربانيّة والمعاني الإلهيّة، وقد تجسّدت هذه الدلالات الروحيّة في خطابات الثورة الحسينيّة، وفي مواقف الثوّار يوم عاشوراء.

(٣) المكوّنات الثقافيّة والفكريّة:

احتضنت عاشوراء في شعاراتها الربّانيّة، وفي صياغاتها الفكريّة والثقافيّة مجموعة مفاهيم تتمركز حول تأصيل الانتماء والهويّة في مواجهة المشروع الجاهلي الذي بدأ يتحرّك، وبدأ يؤسِّس لحركة الرِّدة والانحراف في داخل الأمّة، وعلى كلّ المستويات، ممّا شكّل خطرًا حقيقيًّا يحتاج إلى موقفٍ في مستوى ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وإلى عطاءٍ في مستوى دم الإمام الحسين عليه السلام.

(٤) المكوّنات الوجدانيّة العاطفيّة:

إنّ الطابع المأساويّ لقضيّة عاشوراء قد أعطى لهذه القضيّة قدرتها أن تقتحم الوجدان الشعبيّ لكلِّ الأجيال، وأن تتفاعل مع العواطف والمشاعر، وهكذا أصبحت عاشوراء نبضًا حيًّا في ضمير الأمّة، وقد استطاع هذا المكوّن الوجدانيّ العاطفيّ أن يمنح عاشوراء قدرة الديمومة والبقاء والاستمرار، وأن يمنحها قوّة الوهج والحرارة والانصهار.

(٥) المكوّنات الرساليّة والجهاديّة:

إنّ عاشوراء بكلّ عنفوانها الثوريّ، وبكلّ مخزونها التضحويّ؛ استطاعت أن تكون منتجًا دائمًا لمكوّنات الرساليّة والجهاد في حركة الأجيال، واستطاعت أن تكون الرافد المستمرّ الذي أعطى الأمّة صمودها وقدرتها على مواجهة كلّ التحدّيات، وكلّ المساومات الهادفة إلى مصادرة المضمون الجهاديّ والثوريّ في حياتها.

الصياغات الفاعلة لعاشوراء:

في ضوء المكوّنات الأصلية لعاشوراء يمكن أن نحدّد أهم الصياغات الفاعلة التي تمارسها عاشوراء في إنتاج الأجيال العاشوريّة، وفي تكوين النهج العاشوريّ في حركة الأمّة...

ويتشكّل هذا الدور في الصياغات التالية:

أولًا: صياغة وعي الأجيال:

تمارس عاشوراء دورًا كبيرًا في صياغة وعي الأجيال وفق منظورات الثورة الحسينيّة، بما تملكه هذه المنظورات من تأكيد الهوية الإيمانيّة، والانتماء العقيديّ، والروح الجهادي والحسّ الثوري، وبمقدار ما يتشكّل هذا الوعي في داخل الأجيال يتأصّل انتسابهم إلى مدرسة عاشوراء، ويتأصّل ارتباطهم بأهداف كربلاء، فالأهميّة كبيرة جدًا في إنتاج الوعي العاشوريّ عند أجيال الأمّة، وهذا ما يتحمّل مسؤوليّته خطاب المنبر، وخطاب الموسم العاشوريّ.

ثانيًا: صياغة وجدان الأجيال:

من أهداف عاشوراء أنّها تصوغ وجدان الأجيال من خلال التأكيد على مجموعة ممارسات:

- زيارة الإمام الحسين عليه السلام، بما تنتجه هذه الممارسة من ترسيخ التفاعل والتواصل مع الثورة الحسينيّة ومع معطياتها...
- البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، بما له من تأثير واضح في خلق حالة الانصهار والذوبان في جو الذكرى، والانفتاح الذهني على كلّ معطياتها وأهدافها الروحيّة والفكريّة والعمليّة، كما أنّ هذا السّلوك الوجدانيّ يملأ الحركة بالحرارة والفاعليّة، ويُعطيها الديمومة والبقاء.
- إحياء ذكرى كربلاء من أجل تنشيط الدور الفاعل لثورة الإمام الحسين عليه السلام في حركة الأجيال على مستوى الفكر والعاطفة والسلوك.

ثالثًا: صياغة أخلاقيّة الأجيال:

عاشوراء احتضنت قِيَم الثورة الحسينيّة، بما تُعبّر عنه هذه القيم من معاني ودلالات جسّدت أخلاقيّة الإيمان وسمو المبدأ، ونظافة الهدف، ونقاوة الأسلوب، وطهارة المنهج...

وهنا يبرز دور عاشوراء في صياغة الهويّة الأخلاقيّة عند أجيال الأمة، من خلال منتجات الثورة الحسينيّة الروحيّة والأخلاقيّة، حسبما أعطته سلوكيّات ثوّار كربلاء وعلى رأسهم سيّد الثوّار الإمام الحسين عليه السلام، والثورة في منظور الإمام الحسين عليه السلام انطلاقة ربّانية تهدف إلى تعبيد الإنسان والحياة لله سبحانه وتعالى..

رابعًا: صياغة سلوك الأجيال:

والهدف الكبير لعاشوراء أن تنتج «الأجيال الحسينيّة» بكلّ موكوّناتها الرّبانيّة، وهي أجيالٌ تمثّل التقوى في أرقى مستوياتها وتجسّد الورع في أعلى درجاته، فليس جيلًا حسينيًّا من تنخفض في داخله مستويات التقوى، وتتدنّى عنده درجات الورع، إنّ أجيال عاشوراء هم الذين يلتزمون الإسلام فكرًا وعاطفة وسلوكًا...

فالثورة الحسينيّة إنّما انطلقت من أجل أن تصوغ الأمّة في خطّ الرسالة، وأن تحمي الأمّة في مواجهة كلّ محاولات التمييع والانحراف، فالذين يريدون أن يكونوا الامتداد الحقيقي لحركة هذه الثورة يجب أن يجسّدوا مبادئها وقِيَمها وأهدافها.

خامسًا: صياغة حركيّة الأجيال:

- عاشوراء ثورة ومواجهة وتصدّي لكلّ أشكال الباطل، ولكلّ إشكال الفساد، ولكلّ أشكال الظّلم...
- عاشوراء حركة وجهاد ومقاومة من أجل حماية الإسلام والدّفاع عن مقدّسات الرسالة...
- عاشوراء صرخة من أجل المحرومين والمعذّبين والمستضعفين.
- وعاشوراء في انطلاقاتها تجسّد أهداف الرسالة، وتُعبّر عن منطلقاتها...

من خلال هذا البُعد الأصيل في عاشوراء فهي مسؤوليّة صياغة الأجيال في خطّ الحركيّة الرساليّة، بما تحمله هذه الحركيّة من مكوّنات أساسيّة أهمّها:

- العمق الإيمانيّ.
- الوعي الإيمانيّ.
- الروحيّة الإيمانيّة.
- الأخلاق الإيمانيّة
- الالتزام الإيمانيّ.
- الفاعليّة والهادفيّة الإيمانيّة (الجهاد/ الدعوة إلى الله/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).
- العطاء الإيمانيّ والذي يصل إلى مستوى (الشهادة في سبيل الله).



الجمهور العاشورائيّ

على أعتاب موسم عاشوراء:

ونحن نستقبل موسم عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام لا بدّ لنا من عدّة وقفات نحاول من خلالها أن نتعرّف على الصيغة الصحيحة لإحياء هذا الموسم، والتعامل مع أجوائه والاستفادة من عطاءاته.

الوقفة الأولى: لا نريد جمهورًا عاشورئيًّا يحمل عاطفةً خاليةً من الوعي:

في موسم عاشوراء تتأجّج العاطفة الحسينيّة، وتصل إلى درجة الغليان والهيجان، إنّنا نريد للعاطفة أن تتصاعد وأن تتأجّج، ونرفض كلّ الدعوات التي تحاول أن تجمّد العواطف الحسينيّة مهما كانت الذرائع والحجج، فالصيغة المأساويّة تفرض نفسها في قضيّة كربلاء، والعاطفة تُعطي للقضيّة بقاءها وديمومتها وحرارتها ووهجها، وهكذا يجب أن يتشكّل الجمهور العاشورائيّ بعواطفه الحسينيّة المتأجّجة.

ولكن .. أيّها الأحبّة.. إننّا لا نريد جمهورًا عاشورائيًّا يحمل عاطفة خالية من الوعي والبصيرة، العاطفة التي لا يحتضنها وعي وفهم وبصيرة عاطفة غبيّة بليدة وعاطفة عمياء.

وماذا لو أصبح جمهور عاشوراء يحمل عواطف لا تملك وعيًا ولا تملك بصيرة؟ وماذا لو أصبح جمهور عاشوراء يحمل عواطف غبيّة بليدة عمياء؟

هذا الجمهور معرّض للتخبّط والعشوائيّة بل ومهدّد بالتيه والانحراف، وربّما يبتعد جمهور عاشوراء عن أهداف الحسين عليه السلام لأنّه جمهور لا يملك الوعي بهذه الأهداف.

وربّما تناقض جمهور عاشوراء مع قِيَم الثورة الحسينيّة لأنّه جمهور لا يملك بصيرة بهذه القِيَم، وربّما مارس جمهور عاشوراء أعمالًا تتنافى مع مفاهيم كربلاء لأنّه جمهور لا يملك رؤية واضحة بهذه المفاهيم.

ولذلك أكدّت النصوص الدينيّة على ضرورة الوعي والبصيرة في حركة الإنسان المسلم حتى لا ينحرف به المسار ولا يضلّ به الدرب..

- جاء في الحديث: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير إلّا بعدًا»[1].
- وورد في النص القرآني: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

فلا بدّ من الوعي ولا بدّ من البصيرة، حتى لا يتحوّل جمهورنا إلى شارع أعمى يضلّله الإعلام الزائف، وتضلّله الشعارات الكاذبة، وتخدعه العناوين البرّاقة، فينقاد على غير هدى في مسارات تبتعد به عن دينه وقيمه وأصالته، هكذا تكون العواطف العمياء التي لا يوجّهها وعيٌ ولا ترشّدها بصيرة.

يا جمهور عاشوراء اعطوا لعواطفكم الحسينيّة المتأجّجة في هذا الموسم جرعات كبيرة من الوعي الحسينيّ والبصيرة الحسينيّة، وحذارِ حذارِ من خطابات التجهيل التي تحاول أن تصنع منكم جمهورًا لا يفهم من عاشوراء إلّا البكاء، ابكوا الحسين عليه السلام، فالبكاء على الحسين عليه السلام تعبيرٌ صادقٌ عن الحبّ والولاء والمواساة، والبكاء على الحسين عليه السلام انصهارٌ وتفاعل وذوبان في مأساة كربلاء، والبكاء على

---

(١) الكليني: الكافي ١/ ٩٤، كتاب فضل العلم، ب ١٢ (من عمل بغير علم)، ح١. (طبعة دار الأضواء)

(٢) يوسف: آية ١٠٨.

الحسين عليه السلام عملٌ نتقرّب به إلى الله تعالى، ولكنّنا يجب أن نملك الوعي الذي ينفتح بنا على أهداف الحسين عليه السلام، وينفتح بنا على دروس كربلاء، وينفتح بنا على عطاءات عاشوراء، فجمهور عاشوراء يحمل عاطفة عاشوراء، ويحمل وعي عاشوراء، فلا قيمة لعاطفة لا تملك وعيًا، ولا قيمة لوعي لا يملك عاطفة.

الوقفة الثانية: لا نريد جمهورًا عاشورئيًّا يحمل عاطفةً نظريّة ويحمل وعيًا نظريًّا:

بمقدار ما للعاطفة من قيمة، وبمقدار ما للوعي من قيمة، فإنَّ القيمة الحقيقيّة للعاطفة أن تتحوّل إلى حركة وفعل، وإنَّ القيمة الحقيقيّة للوعي أن يتحوّل إلى سلوك والتزام.

- ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فأرقى عاطفة أن نحب الله سبحانه، إلّا أنَّ هذه العاطفةَ لا قيمة لها إذا لم تتحوّل إلى اتّباع الرسول صلى الله عليه وآله وعندها يكون الإنسان محبوبًا عند الله تعالى ومغفورًا له ذنبه.

فالعاطفة الحسينيّة تعبيرٌ عن الحبّ والولاء والمواساة، ولن يكون هذا التعبير صادقًا إلَّا إذا ترجمته أعمال متحرّكة تُجسّد الالتزام بأهداف الحسين عليه السلام، وأهداف الحسين عليه السلام هي أهداف الإسلام، فلن يكون حسينيًّا من يتناقض في سلوكه مع أحكام الإسلام، ومبادئ الدّين، وقِيَم القرآن، فالجمهور العاشورائيّ جمهور ملتزم ومطيع لله تعالى، ومجسّد للقيم والمبادئ والأخلاق، فالعاطفة العاشورائيّة الصادقة عاطفة متحرّكة فاعلة ملتزمة.

وكذلك الوعي العاشورائيّ لن يكون وعيًا حقيقيًّا إلَّا إذا استطاع أن يصوغ سلوك الجمهور في خطّ الأهداف الحسينيّة، فأيّ قيمةٍ لثقافةٍ جامدة منحطّة، غير قادرة أن تصنع سلوكًا والتزامًا وتجسيدًا، وأيّ قيمة لثقافةٍ نظريّة لا تملك حضورًا عمليًا، ولا تُنتج تقوى، ولا تُربّي أخلاقًا.

---

(١) آل عمران: آية ٣١.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[(١)].

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ولم يُترجموا ذلك سلوكًا وعملًا واستقامةً، فهم يحملون ثقافةً نظريّة، وهم يتحدّثون بما لا يفعلون، فلا قيمة حقيقيّة لهذه الثقافة، ولا قيمة حقيقيّة لهذا الحديث.

الوعي الإيمانيّ الحقيقيّ هو الذي يصنع السلوك الإيماني، ويصنع الاستقامة الإيمانيّة، في كلّ مجالات الحياة.

يا جمهور عاشوراء:

اعطوا لوعيكم العاشورائيّ حضورًا عاشورائيًّا في كلّ مواقع السلوك والحركة والعمل، وحذارِ حذارِ من تلك الخطابات التي تخلق فيكم روح التهاون والتساهل بأحكام الله تعالى، وتعاليم الدّين، الخطابات التي تقول لكم ابكوا الحسين عليه السلام واصنعوا ما شئتم فإنَّ مصيركم إلى الجنّة وإن تمرّدتم على أحكام الله، وإن ارتكبتم الذنوب والمعاصي والمخالفات، وإن مارستم الجرائم والموبقات -الله أكبر- هل من أجل هذا قُتل الإمام الحسين عليه السلام وسُفك دمه في كربلاء، وقُتل أهل بيته وأصحابه عليهم السلام، وذُبح أطفاله، وحُرّقت خيامه وسُبيت نساؤه.

- لماذا هذا التشويه والإساءة لقضيّة الإمام الحسين عليه السلام؟
- لماذا هذا العبث والتلاعب بقِيَم الثورة الحسينيّة؟
- لماذا هذا الانحراف والابتعاد عن أهداف عاشوراء؟

إنّكم يا جمهور عاشوراء تملكون من الوعي والأصالة ما يجعلكم ترفضون هذا اللون من الخطابات المأسورة إمّا إلى غباء وإمّا إلى أهداف سيّئة، أن نبكي الحسين عليه السلام عمل عبادي نتقرّب به إلى الله تعالى، ونحظى من خلاله بالأجر الكبير

(١) فصّلت: الآيات: ٣٠ - ٣٢.

والثواب العظيم، ولكن أن نبكي الحسين عليه السلام ونجسّد أخلاق يزيد بن معاوية، أخلاق الفسق والفجور والعصيان، وأخلاق الظلم والجور والعدوان، وأخلاق العبث بالمُثل والقِيَم والأحكام، فأيّ قيمة لبكاءٍ من هذا الطّراز، وإلّا فبعض رموز الجريمة يوم عاشوراء هزّتهم مشاهد المأساة، فلم يتمالكوا إلّا أن يبكوا وأن يذرفوا الدموع؟!.

الوقفة الثالثة: إنّنا نريد جمهورًا عاشورائيًّا يحمل رسالة عاشوراء:

وما هي رسالة عاشوراء؟

تعبّر هذه الرسالة عن مجموعة أهداف نحاول هنا أن نتناول أحد أهمّ الأهداف وهو (الدفاع عن الإسلام ومبادئ الإسلام وأحكام الإسلام، وقِيَم الإسلام).

هذا هو الشعار الكبير الذي حملته ثورة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وكان واضحًا في خطاب الثورة والذي عبّرت عنه كلمات الإمام الحسين عليه السلام وكلمات أنصاره وأهل بيته عليهم السلام.

فيجب أن يكون شعارنا الكبير ونحن نحرّك مراسيم عاشوراء بكلّ فعّاليّاتها هو الدفاع عن الإسلام ومبادئه وأحكامه وقِيَمه، فليس منبرًا عاشورائيًّا المنبر الذي لا يُدافع عن الإسلام ومبادئه وأحكامه وقِيَمه، وليس مأتمًا عاشورائيًّا المأتم الذي لا يُجّسد هذا الهدف، وليس موكبًا عاشورائيًّا الموكب الذي لا يحمل هذا الشّعار، وليس جمهورًا عاشورائيًّا الجمهور الذي لا يحمل همَّ الإسلام، وهمَّ العقيدة والمبدأ، وليس إنسانًا عاشورائيًّا الإنسان الذي تموت في داخله روح الدفاع عن مقدّسات الدّين وقِيَم الرسالة.

يا جمهور عاشوراء:

كم استطاعت عاشوراء أن تخلق في داخلكم «الغيرة من أجل الإسلام» ومبادئ الإسلام، وأحكام الإسلام، وقِيَم الإسلام؟.

المشروعات الخطيرة التي تستهدف قِيَم الإسلام:

في هذا العصر الذي يزدحمُ بالمشروعات الخطيرة التي تستهدف الإسلام ومبادئه، وتستهدف الدّين وقِيَمه، وتستهدف الشريعة وأحكامها، وتستهدف القرآن وأخلاقه، في هذا العصر الذي تتحرّك من خلاله كلّ الشعارات المناوئة للإسلام والدّين والشريعة والقرآن، في هذا العصر أمّتنا في حاجةٍ إلى صوت عاشوراء وإلى غَيْرة عاشوراء وإلى غضب عاشوراء، وإلى جماهير عاشوراء، في هذا العصر أمّتنا في حاجةٍ إلى استنفار كلّ الطاقات والقدرات والإمكانات في الدفاع عن الإسلام والدّين والشريعة والقرآن.

فإذا كنّا العاشورائيّين حقًّا فلتتحرّك غيرتنا الإسلاميّة، ونخوتنا الإيمانيّة في مواجهة كلّ المشروعات التي تستهدف إسلامنا وقِيَمنا ومبادئنا وأخلاقنا وأحكامنا، وما أكثر هذه المشروعات والتي قد تختفي أهدافها على الكثيرين من أبناء أمّتنا، أو أن تلقى هوى في بعض النفوس فتتغيّر العناوين، وتتحرّك التبريرات، وتضعف الهمم والعزائم، وربّما أصبحت قضايا الدّين والقِيَم على هامش الأولويات.

قضيّة السطو على أحكام الأسرة وإخضاعها للمؤسّسة الوضعيّة ليست من الأولويّات، وقضيّة التدخّل في شؤون الأوقاف ليست من الأولويّات، وقضيّة التحكّم في مصير المسجد والحسينيّة والحوزة ومصادرة استقلاليّة هذه المواقع والهيمنة على قرارها قضيّة ليست من الأولويّات، وقضيّة العبث بأخلاق البلد، وتهديد القيم الروحيّة، ونشر المفاسد والموبقات ليست من الأولويّات، وقضيّة محاربة الإسلام، ومحاصرة الدّين، والإساءة إلى أحكام الشريعة ليست من الأولويّات.

إنَّ من أهم أهداف عاشوراء أنّها تضعنا أمام مسؤوليّتنا الكبرى في الدفاع عن الإسلام، وقضايا الإسلام، ومبادئ الإسلام، وقد أدانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام كلّ أولئك المتخاذلين الذين تخلّوا عن الدفاع عن الإسلام الذي عبثت به سياسة الأمويين، وأدانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام كلّ أولئك المتديّنين الأغبياء الذين جمّدوا دورهم في مواجهة العابثين والمفسدين، واكتفوا بالصّلاة والدعاء وتلاوة القرآن، وحسب تعبير أحد الشخصيّات الكبيرة في ذلك العصر حينما طلب منه الإمام الحسين عليه السلام أن يقف معه في مواجهة انحراف النظام: «أمّا أنا فعليّ بلزوم المحراب وتلاوة القرآن».

القيمة الحقيقيّة للعبادة:

فأيّ قيمة لمحراب لا يتحرّك للدفاع عن الإسلام وحماية الدّين، وأيّ قيمة لتلاوة لا تصنع موقفًا في مواجهة الباطل والانحراف والفساد، ولعلّ هذا ما أراده الإمام الحسين عليه السلام حينما ترك الحج، وترك الطواف حول الكعبة وتوجّه إلى كربلاء.

إنّه أراد أن يقول للمسلمين: لا قيمة لتلبية إذا كانت الأمّة تعيش الاستسلام والخنوع لكلّ المستكبرين.

إنّه أراد أن يقول للمسلمين أنّه لا قيمة لطواف حول البيت إذا كانت الأمّة تطوف حول عروش الطواغيت، ولا قيمة لتقبيل الحجر الأسود إذا كانت الأمّة تُقبّل جباه الفراعنة وأيدي المتجبّرين، ولا قيمة لوقوف عند مقام إبراهيم ما دامت الأمّة تتسكّع بكلّ حقارة وذلّة على أبواب السلاطين، ولا قيمة لسعي بين الصّفا والمروة ما دامت الأمّة تلهث وراء فتات الظالمين وتحت مختلف العناوين، ولا قيمة للرّمي ما دامت الأمّة تعبد كلّ شياطين الأنس والجن، ولا قيمة لهدي ونحر ما دامت الأمّة قد ضحّت بكلّ قيمها، ونحرت كلّ مبادئها، ولا قيمة لكلّ المناسك والشعائر ما دامت الأمّة قد باعت دينها بأبخس الأثمان، وباعت صلاتها، وصيامها، وحجّها، ودعائها وتلاوتها في سوق المساومات والإغراءات والتبريرات.

فهل تستطيع عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام أن تُعيد لنا الفهم الصحيح لإسلامنا، وأن تُعيد لنا الولاء الصّادق لديننا، وأن تُعيد لنا الالتزام الحقيقيّ بمبادئنا، وأن تُعيد لنا الوعي الأصيل بمسؤوليّتنا، دفاعًا عن الإسلام ومبادئه وأحكامه وقِيَمه، وصمودًا وثباتًا في مواجهة كلّ التحدّيات، واستعدادًا للموت والشّهادة في سبيل العقيدة الحقّة.

الدفاع عن قضايا الأمّة المشروعة:

وفي سياق الحديث عن مسؤوليّة الدفاع عن الإسلام يجب أن نؤكّد أنَّ الدفاع عن قضايا الأمّة المشروعة، وإصلاح أوضاعها هو من صميم هذه المسؤوليّة، فالإمام الحسين عليه السلام في خطاب ثورته قد أعلن أنّه لم يخرج «أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا

ظالمًا، وإنّما خرج لطلب الإصلاح في أمة جده صلى الله عليه وآله وأراد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسير بسيرة جده محمد صلى الله عليه وآله وسيرة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام» هذه هي العناوين الكبيرة التي طرحها الإمام الحسين عليه السلام في خطاب الثورة، فإصلاح أوضاع الأمّة والدفاع عن قضاياها المشروعة هو هدف كبير من أهداف عاشوراء، فيجب أن يتحرّك خطابنا العاشورائيّ في هذا الاتّجاه، فأزمات الأمّة السِّياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة والمعيشيّة هي من مسؤوليّات خطاب عاشوراء، وبمقدار ما يكون خطاب عاشوراء حاضرًا في قضايا الأمّة، وفي أزمات الأمّة، وفي مشاكلّ الأمّة، يكون أكثر انسجامًا مع أهداف الإمام الحسين عليه السلام وأهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ الذين يفصلون خطاب عاشوراء عن قضايا الأمّة وهمومها وأزماتها، وكلّ أوضاعها، يريدون أن يجمّدوا دور عاشوراء، أو يحجّموا دور عاشوراء، وفي هذا إساءة كبيرة لثورة الإمام الحسين عليه السلام، وإساءة كبيرة لأهدافها، ففي خطاب المنبر الحسينيّ، وفي خطاب الموكب الحسينيّ، وفي خطاب الفعّالية الحسينيّة، يجب أن تكون قضايا الأمّة حاضرة.

وهنا نقطة هامّة لا بدّ من التنبيه إليها، ففي الوقت الذي نؤكّد فيه على ضرورة أن تكون قضايا الأمّة الثقافيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسِّياسيّة حاضرةً في خطاب عاشوراء، فإنَّه يجب أن ينطلق فهمنا لهذه القضايا من وعي عاشوراء، ومن قِيَم عاشوراء، ومن مبادئ عاشوراء، وأن يكون وهج عاشوراء نابضًا في عمق هذه القضايا، لا نريد للشعارات أن تنفصل عن عاشوراء ولا أن تنفصل عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام، لا نريد شعارات سياسيّة لا تحمل صوت الإمام الحسين عليه السلام، ولا نريد شعارات ثقافيّة لا تحمل صوت الإمام الحسين عليه السلام، ولا نريد شعارات اجتماعيّة، وشعارات اقتصاديّة لا تحمل صوت الإمام الحسين عليه السلام.

وبمناسبة ذكرى فاجعة كربلاء، وحيث القلوب والأرواح والمشاعر مشدودة إلى أجواء عاشوراء مؤكّدة عمق الولاء والحبّ لآل الرسول صلى الله عليه وآله ومعبّرةً من خلال مراسيم العزاء والإحياء عن معنى الانتماء إلى خطّ الإمام الحسين عليه السلام وإلى أهداف ثورته.

وبهذه المناسبة نناشدّ جمهور الولاء العاشورائيّ رجالًا ونساءً، شبانًا وشابات، كبارًا وصغارًا أن يلتزموا بما يلي:

١- أن تنشط كلّ الأساليب المشروعة لإحياء هذه الذكرى من إقامة مجالس العزاء وتحريك المواكب والمسيرات الحسينيّة، وتعبئة الفعّاليات العاشورائيّة، فإنّ ذلك كلّه من أعظم القربات إلى الله تعالى، وفيه أعظم الأجر والثواب.

٢- الابتعاد بالمراسيم العاشورائيّة عن كلّ ما يُسيئ إلى أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ويُسيئ إلى سمعة هذه المراسيم العظيمة، وبمقدار ما تعبّر أساليب الإحياء عن معنى عاشوراء، وعن مأساة عاشوراء، وحزن عاشوراء، وبمقدار ما تجسّد من أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وقِيَم ثورة الإمام الحسين عليه السلام تكون الأكثر وعيًا، والأصدق دلالةً، والأقوى تجسيدًا، والأقدر على إيصال الصورة المشرقة إلى الآخرين، فإنَّ بعض الأساليب المتحرّكة في مراسيم عاشوراء تنتج ردود فعلٍ عكسيّة وضارّة بسمعة عاشوراء، فإذا أردنا لعاشوراء ولخطاب عاشوراء التحرّك في كلّ الأوساط الإسلاميّة والإنسانيّة، فلا بدّ من اعتماد أساليب جديدة، واعتماد أساليب متطوّرة لا بمعنى أن تكون بديلًا عن المنبر والمأتم والموكب والتي تمثّل المكوّنات الأساسيّة التاريخيّة لمراسيم الإحياء والتي لا يُسمح بتعطيلها أو التقليل من أهميتها، وإنّما المقصود استحداث وسائل جديدة بشرط أن تكون خاضعة للضوابط الشرعيّة، وكذلك لا بدّ من تنقية المراسيم العاشورائيّة من بعض الممارسات الضارّة بالسمعة الحسينيّة، وهذا لا يعني أن نتخلّى عن ممارساتنا العاشورائيّة وفق رغبات الآخرين، وإنّما هي مسؤوليّتنا في التعبير الواعي عن إحياء عاشوراء وإلغاء كلّ ما يحمّلنا تبعات وإشكالات.

٣- الحفاظ على قداسة الأجواء العاشورائيّة وخاصّة الأجواء التي تتحرّك فيها المواكب والمسيرات الحسينيّة والتي تشهد ازدحام الشوارع والطرقات بالرجال والنساء، ممّا يفرض تكثيف الجهود من أجل حماية هذه الأجواء، ومواجهة كلّ حالات التهاون بالضوابط الشرعيّة، أو محاولات الإساءة المتعمّدة إلى قدسيّة

المراسيم العاشورائيّة، وهنا نحثّ كلّ المؤمنين أن يمارسوا دورهم الإيمانيّ في الحفاظ على قدسيّة المواكب.

هيئة التنظيم الحسينيّ:

وبهذه المناسبة فإنّنا نثمّن بكلّ تقدير دور اللجان الشبابيّة المشكّلة لحماية أجواء المواكب الحسينيّة والتصدّي لكلّ المخالفات والمنافيات الشرعيّة، فمسؤوليّة كلّ المؤمنين أن يتعاونوا مع هذه اللجان المباركة والمؤيّدة بقوّة من قبل علماء الدّين الأفاضل، كما نأمل تعاون أصحاب المآتم والقائمين على المواكب مع هذه الهيئة التنظيميّة من أجل إنجاح عملها.

٤- إنّنا ندعو الإخوة المؤمنين حفظهم الله وآجرهم، أن لا تتزاحم المراسيم العاشورائيّة مع أوقات الصّلوات، فالإمام الحسين عليه السلام إنّما استشهد من أجل أن تبقى الصّلاة، ويبقى الدّين، وتبقى القِيَم، وتبقى الشريعة، وإنّه ليؤلم الإمام الحسين عليه السلام أن تتحوّل مراسيم ذكراه إلى تفريطٍ في أداء الواجبات الشرعيّة، فيجب على العلماء والخطباء أن يوجّهوا الناس إلى ذلك، ويجب على رؤساء المآتم والمواكب أن يتحمّلوا المسؤوليّة في هذا المجال، ويجب على جماهير عاشوراء أن يحافظوا على الفرائض الدينيّة.

٥- وما أحوجنا في هذه المناسبة الدينيّة العظيمة أن نؤكّد على ضرورة وحدة الصف، ووحدة الكلمة، ووحدة الموقف، ووحدة الخطاب، فمن أهم أهداف عاشوراء أن تتوّحد الأمّة، وتتآلف القلوب، وتتصافى النفوس، ومن أسوأ الأمور وأشنعها أن تكون المناسبات الدينيّة والمواقع الدينيّة منطلقات للخلافات والصراعات والعدوان والتناقضات، وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على غياب الوعي أو سيطرة الهوى، أعاذنا الله جميعًا من الجهل ومن نزعات الشيطان.



كيف نصوغ الجمهور العاشورائيّ؟

لكي يتشكّل جمهور عاشورائيّ يجسّد الامتداد الحقيقيّ لخطّ الإمام الحسين عليه السلام، لا بدّ أن يتوفّر هذا الجمهور على مجموعة خصائص ومكوّنات، ومع غياب بعض هذه الخصائص والمكوّنات يكون التشكّل ناقصًا، ويكون الانتماء إلى خطّ الثورة الحسينيّة انتماء مهزوزًا.

ليس كلّ الباكين على الإمام الحسين عليه السلام هم من عداد الجمهور العاشورائيّ الذي يجسّد خطّ الإمام الحسين عليه السلام، فكم من الباكين على الحسين عليه السلام هم من يشهر السيوف على الإمام الحسين عليه السلام؟! وحسب تعبير الفرزدق حينما سأله الإمام الحسين عليه السلام عن الناس في العراق حيث قال: (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)[1].

قد نبكي الإمام الحسين عليه السلام،ونتأوّه لمصاب الحسين عليه السلام،إلّا أنّنا نحمل القيم التي يحملها قتلة الحسين عليه السلام، ونحمل المبادئ التي حملها أعداء الحسين عليه السلام.

- فليس كلّ من بكى أصبح منتميًا إلى خطّ الثورة الحسينيّة...
- وليس كلّ من حضر مجالس العزاء أصبح منتميًا إلى خطّ الثورة الحسينيّة...
- وليس كلّ من لطم على صدره أصبح منتميًا إلى خط الثورة الحسينيّة...

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٤٥، خروج الحسين بن عليّ إلى الكوفة. (ط١، ١٩٦٠م، دار إحياء الكتاب العربي (القاهرة)، منشورات الشريف الرضي، قم - إيران)

الانتماء إلى هذا الخطّ يمثّل (هويّة) لها خصائصــها ومكوّناتها المتميّزة، كما أن الانتماء إلى الخطّ المضادّ للثورة الحسينيّة يمثّل (هويّة) لها خصائصها ومكوّناتها المتميّزة...

هناك مفاصلة واضحة بين الهويّتين والانتماءين، وحينما تتداخل الخصائص والمكوّنات يغيب التمايز بين الهويّتين وبين والانتماءين، وهذا كافٍ في أن يضع الإنسان في الخطّ المضادّ للثورة الحسينيّة.

والسؤال المطروح هنا:

كيف نُشكّل من أنفسنا جمهورًا عاشورائيًّا منتميًا إلى خطّ الثورة الحسينيّة؟

الإجابــة على هذا الســؤال يفرض علينا أن نتعرّف على مكوّنات هذا التشــكّل، وعلى خصائص هذا الانتماء.

وذلك من خلال النقاط التالية:

العنصر الأول: أن نملك رؤية واعية بأهداف الثورة الحسينيّة، وبمضامين وقِيَم عاشوراء:

إنّ غياب هذه الرؤية يُشكّل خللًا واضحًا في الانتماء إلى خطّ الإمام الحسين عليه السلام، كيــف يمكــن أن نكون منتمــين إلى هذا الخطّ، ونحــن لا نملك رؤية بخصــائص هذا الخطّ، وبمكوّناته، وبأهدافه، وبقِيَمه، فربّما جسّــدنا أهدافًا مضادّة، وقِيَمًا مضادّة، ومبادئ مضادّة، ما دمنا لا نملك البصيرة والروية الواعية.

في الخمسينات اخترق (الشيوعيّون) في العراق أجواء بعض المواكب الحسينيّة، وأقحموا شعاراتهم وردّد جمهور تلك المواكب تلك الشعارات والتي تتناقض كلّ التناقض مع أهداف الثورة الحسينيّة... كيف حدث ذلك؟

لأنّ هذا الجمهور كان يفتقد الرؤية الواعية ويفتقد البصيرة، الأمر الذي سمح لشعارات وردّات و(شــيلات) تتناقض مع مفاهيم الثورة الحسينيّة أن تخترق مواكب الحسين عليه السلام، وأن تخترق مراسيم عاشوراء.

إنّنا ندعو الجمهور لكي يكون (جمهورًا عاشورائيًّا) منتميًا إلى خطّ الإمام الحسين عليه السلام أن يكون على درجة كبيرة من الوعي والبصيرة بأهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وبقِيَم عاشوراء، حتى يكون هذا الجمهور (السِّياج) الذي يحمي أجواء الموسم العاشورائيّ من كلّ الاختراقات، ومن كلّ المفاهيم والأفكار والشعارات التي تتنافى مع مفاهيم وأفكار وشعارات كربلاء الحسين عليه السلام.

لذلك أكّدنا في أكثر من مناسبة ضرورة أن تنطلق الكلمات والشّعارات في أجواء هذا الموسم من خلال المفهوم العاشورائيّ، ومن خلال العنوان الحسينيّ، حتى لو أرادت هذه الكلمات والشعارات أن تُلامس قضايا الواقع المعاصر، بكلّ امتداداته الثقافيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة.

إنّنا نريد لثورة الإمام الحسين عليه السلام أن تكون حاضرة في كلّ امتدادات الواقع المعاصر وفي كلّ امتدادات الحاضر والمستقبل، ولا نريد لثورة الإمام الحسين عليه السلام أن تتحجّم في التاريخ وفي الماضي، إلّا أنّ هذا الحضور يجب أن يُعبّر بوضوحٍ عن هويّة الثورة الحسينيّة وعن مبادئها وأهدافها وقِيَمها.

قد يقال:

لماذا الإصرار على ربط الشّعارات بثورة الإمام الحسين عليه السلام، فالكثير من قضايا العصر لا علاقة لها بهذه الثورة (البطالة، التمييز، الفساد الإداري والمالي، أزمة الدستور، العنف والإرهاب، قضيّة فلسطين، قضيّة العراق، قضايا العرب والمسلمين، قضايا العالم...) ما علاقة كلّ ذلك بثورة الإمام الحسين عليه السلام؟

نطلب أن يفرض خطاب عاشوراء نفسه على كلّ هذه القضايا، وكيف نطالب خطاب عاشوراء أن يفرض نفسه على كلّ هذا الواقع؟

حينما نفهم ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فهمًا واعيًا فسوف نجد أنّها قادرة أن تكون حاضرة في كلّ قضايا العصر.

حينما نتحدّث عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام فنحن نتحدّث عن مبادئ الحقّ والعدالة والحرّية والكرامة، فيما تعنيه هذه المبادئ من رفض الظلم، والقهر، والجوع،

والحرمان، والعبث والتطرّف، والعنف والإرهاب...

وهل مأساة الإنسان في هذا العصر إلّا كونه ضحيّة أنظمة جائرة ظالمة مستبدّة،ابتعدت كلّ البعد عن منهج الله تعالى، وعن قيم الحقّ والعدالة والحرّية والكرامة.

إنّ خطاب عاشوراء قادر على أن يكون حاضرًا في كلّ مآسي العصر، مآسي الفكر والثقافة والمآسي الروحيّة والأخلاقيّة، وغيرها ممّا يعاني منه إنسان هذا العصر.

إنّنا يجب أن ننطلق من مأساة كربلاء إلى كلّ مآسي الإنسان في هذا العصر، وإلى كلّ عذابات الإنسان في هذا الزّمان وهكذا نُعطي لخطاب عاشوراء حضوره المتحرّك وحضوره الفعّال، وأن لا نُحجّم عاشوراء في التاريخ.

وهذا لا يعني أن ننسى التاريخ، وننسى أحداث التاريخ، وننسى ما جرى في كربلاء من فجائع ومآسي وانتهاكات وجنايات لا يمكن أن تُمحى من ذاكرة الأجيال.

إنّ ملف الجريمة النكراء التي حدثت في ظهيرة عاشوراء في السنة الواحدة والستين من الهجرة، هذا الملف يجب أن يبقى مفتوحًا ويجب أن يكون حاضرًا، من خلال هذا الملف يجب أن تُلاحق كلّ ملفات الظلم والاستبداد، وانتهاك الحرمات، ومصادرة الكرامات في كلّ الأزمنة والأعصر.

من خلال هذا الملف، يجب أن تُحاسب كلّ ممارسات العبث بمقدّرات الشعوب، وكلّ أشكال المصادرة لحقوق الإنسان، في كلّ الأوطان والبلدان، من هنا نفهم لماذا حاربت الكثير من أنظمة الحكم في التاريخ عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، ولا زالت أنظمة القهر والاستبداد، وأنظمة السِّياسة الجائرة تضيق بعاشوراء الحسين عليه السلام، ولا زال الحكّام المتسلّطون يعيشون الرّعب من عاشوراء الحسين عليه السلام .

وحينما يكون الحديث عن عاشوراء الثورة، وعاشوراء الرفض لكلّ سياسات الظلم والقهر والاستبداد فلا يعني أنّ رسالة عاشوراء تقف عند هذه الحدود، إنّ عاشوراء تحمل أهدافًا عقائديّة، وروحيّة، وأخلاقيّة، وتربويّة، واجتماعيّة، فالحديث عن عاشوراء هو حديث عن الإسلام وعن كلّ منظوماته الفكريّة، والروحيّة،

والأخلاقيّة، والاقتصادية، والاجتماعيّة، والسِّياسيّة، والجهاديّة.

العنصر الثاني: الانصهار الوجداني والعاطفي مع أهداف عاشوراء:

إذا كان الوعي بهذا الأهداف يشكّل عنصرًا هامًا جدًا في تكوّن (الجيل العاشورائيّ)، فإنّ (الانصهار الوجداني والعاطفي) مع أهداف عاشوراء هو الآخر عنصر هام جدًا في تكوين (الجمهور العاشورائيّ)، فالارتباط الفكريّ والثقافي والعلميّ المجرّد من العاطفة والمشاعر والأحاسيس الوجدانيّة هو ارتباط جاف وجامد وفاتر.

لماذا نجد بعض المثقّفين والمفكّرين يعيشون الخمول والركود والفتور؟ فرغم ما يملكون من وعي ثقافي وعلمي بمفاهيم الإسلام، إلّا أنّهم لا يملكون الحرارة في العمل من أجل الإسلام والدفاع عن مبادئه وقِيَمة.

ما هو السبب في ذلك؟

كون هؤلاء ارتبطوا بالأهداف فكريًّا وثقافيًّا وعلميًّا، إلّا أنّهم لم يعيشوا العشق والذوبان والانصهار الوجداني والعاطفي مع هذه الأهداف.

لا يمكن أن نتحمّس للأفكار والمبادئ والأهداف إذا لم تدخل في العمق من قلوبنا ومشاعرنا وعواطفنا، وبقيت مفاهيم في الذهن.

صحيح إنّ العواطف والمشاعر والأحاسيس التي لا تملك الوعي والبصيرة هي عواطف عمياء، ومشاعر تائهة، وأحاسيس جوفاء.

يجب أنّ نغذّي العواطف والمشاعر والأحاسيس بجرعات كافية من الوعي والبصيرة حتى لا تنفلت، وتتنصّل، وحتى لا تنحرف، وحتى لا تنهزم.

وفي المقابل يجب أنّ نغذّي الأفكار والمفاهيم بجرعاتٍ كافية من العواطف الإيمانيّة والمشاعر الوجدانيّة حتى لا تتكلّس هذه الأفكار والمفاهيم، وحتى لا تتجمّد، وحتى لا تُصاب بالشّلل والعطل والفتور.

فالتعاطي مع عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام يجب أن يعيش هذا (التزاوج) بين الفكر والعاطفة.

فالجمهور العاشورائيّ جمهور يمتلك درجة عالية من الوعي والبصيرة بأهداف عاشوراء، كما يمتلك درجة عالية من الانصهار العاطفي والوجداني مع أهداف عاشوراء، وحينما نتحدّث عن الانصهار العاطفي والوجداني مع أهداف عاشوراء لا نعني فقط الانفعال بالمأساة رغم أنّ هذا الانفعال مهم جدًا، ولا يصحّ أبدًا أن نقلّ من أهمّيته، لأنّ الانفعال بمأساة عاشوراء هو الذي أعطى لعاشوراء هذا الزخم الكبير من المشاعر والأحاسيس، وهو الذي أعطى لعاشوراء هذه الحرارة والفوران.

إنّنا نصرّ أن تبقى عاطفة الانفعال بالمأساة الحسينيّة في أعلى درجاتها، وهذا ما أكّده الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام حينما دعوا بقوّة إلى (البكاء) من أجل الإمام الحسين عليه السلام،وإلى (التفاعل مع مأساة عاشوراء).

هذا الانفعال العاطفي مع (مأساة الإمام الحسين عليه السلام) أمر مطلوب جدًا، وضروري لتشكّل الانتماء إلى عاشوراء، إلّا أنّ الانصهار الوجداني والعاطفي يجب أن لا يقف عند هذا الحدّ وهذا المستوى، إنّه يعني درجة عالية من (العشق للأهداف الحسينيّة)، هذا العشق هو الذي يدفع في اتجاه التضحية والشّهادة من أجل الأهداف والمبادئ، الكثيرون يعيشون درجة عالية من الانفعال بمأساة الإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّهم لا يملكون أدنى درجات الاستعداد للتضحية من أجل أهداف الإمام الحسين عليه السلام.

لماذا لا يملكون هذا الاستعداد للتضحية من أجل أهداف الإمام الحسين عليه السلام؟

الجواب:

كونهم لا يملكون درجة عالية من العشق لهذه الأهداف، فالعاطفة الحسينيّة يجب أن تتحرّك في مسارين:

المسار الأول:

التأثر والانفعال بمأساة الإمام الحسين عليه السلام بما يفرضه ذلك من أشكال متعدّدة للتعبير عن هذا التأثّر والانفعال، بشرط أن تكون هذه الأشكال من التعبير منسجمة كلّ الانسجام مع أهداف، ومبادئ، وقِيَم عاشوراء، وبشرط أن لا تُسيئ إلى سمعة القضيّة الحسينيّة، وإلى سمعة هذا الموسم العاشورائيّ.

فليس كلّ شكّل من أشكال التعبير يصلح أن يكون أداة تخدم أهداف عاشوراء، وتخدم أهداف الإمام الحسين عليه السلام، بل ربّما جاءت بعض الأشكال التعبيرّية متناقضة كلّ التناقض مع الأهداف.

المسار الثاني:

الذوبان والعشق في تلك الأهداف الحسينيّة، هذه العاطفة هي التعبير الصادق عن (الولاء لأهداف عاشوراء).

العاطفة في (مسارها الأول) غير قادرة أن تتحرّك في اتّجاه (الدفاع عن الأهداف الحسينيّة)، وفي اتجاه (التضحية من أجل هذه الأهداف).

لماذا نجد بعض الذين ينفعلون بمأساة الإمام الحسين عليه السلام، وفي أعلى درجات الانفعال، نجدهم يتناقضون كلّ التناقض مع أهداف وقِيَم، ومبادئ، الإمام الحسين عليه السلام ؟

هؤلاء توافروا على العاطفة الحسينيّة في (مسارها الأول)، إلّا أنّهم لا يتوافرون عليها في (مسارها الثاني).

أيّها الأحبّة:

إنّ الجمهور العاشورائيّ يمتلك درجة عالية جدًا من العشق لأهداف الإمام الحسين عليه السلام، وليس كلّ من ادعى العشق للإمام الحسين عليه السلام، ولأهداف الإمام الحسين عليه السلام هو صادقٌ في هذا الإدّعاء.

العشق الحقيقي هو الذي يخلق فينا روح التفاني من أجل الأهداف،

- أيّ عاشق هذا الذي لا يتفانى من أجل الأهداف التي يعشقها؟
- أيّ عاشق هذا الذي لا يدافع عن القِيَم التي يعشقها؟
- أيّ عاشق هذا الذي لا يُعطي دمه من أجل المبادئ التي يعشقها؟
- أنصار الإمام الحسين عليه السلام الذين قدّموا أرواحهم رخيصة على مذبح كربلاء هم العشّاق الحقيقيّون للإمام الحسين عليه السلام ولأهداف الإمام الحسين عليه السلام.

إنّنا نكرّر دائمًا (يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزًا عظيمًا)، فهل نحن صادقون فيما نقول؟ التاريخ شهد عشّاقًا حقيقيّين للإمام الحسين عليه السلام ولأهداف الإمام الحسين عليه السلام ...

إنّ العاطفة الحسينيّة الصّادقة هي التي تُعبّر عن عشقٍ حقيقي لأهداف الإمام الحسين عليه السلام،ولأهداف عاشوراء، ومن خلال هذه العاطفة في انفعالها بمأساة عاشوراء، وفي عشقها لأهداف عاشوراء يتشكّل (العنصر الثاني) من عناصر الجمهور العاشورائيّ.

هذا الجمهور يملك درجة عالية من الوعي والبصيرة بأهداف عاشوراء الحسين عليه السلام، وهذا الجمهور يملك درجة عالية من الحرارة، والذوبان، والانصهار مع أهداف عاشوراء الحسين عليه السلام، وماذا بعد الوعي والانصهار؟ وهل أنّ هذين العنصرين هما فقط مكوّنات التشكّل العاشورائيّ؟

إنّ الكثيرين ممّن يملكون الوعي بأهداف عاشوراء لا يصحّ أن يوصفوا في عداد (الجمهور العاشورائيّ)، وإنّ الكثيرين ممّن يملكون الحرارة والحماس لا يصح أن يوصفوا في عداد (الجمهور العاشورائيّ). هناك عنصر ثالث هام وخطير يجب أن يتوفّر عليه الجمهور العاشورائيّ.

العنصر الثالث: الالتزام العمليّ بأهداف عاشوراء:

إنّ التجسيّد الحقيقي لأهداف عاشوراء يُشكّل أهمّ مكوّنات الانتماء إلى خطّ الثورة الحسينيّة والى خط عاشوراء الحسين عليه السلام، وحينما نتحدّث عن الالتزام العمليّ

وعن التجسيد الحقيقي نتحدّث عن:

- فكر ملتزم بأهداف عاشوراء.
- وعاطفة ملتزمة بأهداف عاشوراء.
- وسلوك ملتزم بأهداف عاشوراء.

لكي نعطي المسألة توضيحًا أكثر نتناول بعض التفصيلات:

ماذا نعني بالفكر الملتزم بأهداف عاشوراء؟

من أهم خصائص الجمهور العاشورائيّ أنّه جمهور يملك (فكرًا عاشورائيًّا)، والفكر العاشورائيّ هو مجموعة من الأفكار، والمفاهيم، والقِيَم التي طرحتها ثورة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، لا يكفي أن نملك وعيًا بهذه الأفكار، والمفاهيم، والقِيَم، فإنّ هذا الوعي يمثّل البعد النظري فقط، وأمّا البعد العملي فهو أن يتحوّل هذا الوعي بالأفكار والمفاهيم والقِيَم إلى واقعٍ متحرّك يصوغ كلّ أفكارنا ومفاهيمنا وقِيَمنا، فلا نفكّر إلّا من خلال عاشوراء الحسين عليه السلام، ومن خلال مفاهيم عاشوراء الحسين عليه السلام، ومن خلال قِيَم عاشوراء الحسين عليه السلام.

إذا أردنا أن نحاسب انتماءنا إلى عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، فيجب أنّ نحاسب أفكارنا ومفاهيمنا وقِيَمنا، ربّما تكون هذه الأفكار والمفاهيم والقِيَم متناقضة مع عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، محاربٌ لعاشوراء من يتبنّى أفكارًا متناقضة لأفكار عاشوراء الحسين عليه السلام، كلّ فكرة تتناقض مع الإسلام، مع الدّين، مع القرآن، هي فكرة مناقضة لعاشوراء.

لماذا ثار الإمام الحسين عليه السلام؟

من أجل الدفاع عن الإسلام، وحماية قِيَم الدّين، والحفاظ على مبادئ القرآن، فالإنسان العاشورائيّ هو من يتبنّى الدفاع عن مبادئ الإسلام، وحماية قِيَم الدّين، والحفاظ على مبادئ القرآن...

الإنسان العاشورائيّ من يتبنّى مفاهيم الحقّ والصلاح والعدل والحرّية والكرامة...

الإنسان العاشورائيّ من يتبنّى قِيَم الخير والفضيلة والطّهر والنظافة...

أمّا أعداء عاشوراء، أمّا المحاربون لعاشوراء:

- فهم الذين يتبنّون ثقافة الضّلال والانحراف والفساد، هم الذين يتبنّون ثقافة الظّلم والقهر والاستبداد، والعبث بالكرامات...
- هم الذين يتبنّون ثقافة الشّر والرذيلة والسقوط الأخلاقيّ...
- هم الذين يتناقضون فكريًّا وثقافيًّا مع مفاهيم الإسلام والدّين والقرآن...

ماذا نعني بالعاطفة الملتزمة بأهداف عاشوراء؟

إنّها العاطفة التي تُشكَّل من خلال مدرسة عاشوراء، إنّها العاطفة التي تحمل (حبّ الله) في أعلى درجاته.

- العاشورائيّون الحقيقيّون هم (عشّاق الله)...
- الحسين عليه السلام كان من عشّاق الله...
- العباس كان من عشّاق الله...
- الأكبر كان من عشّاق الله...
- القاسم كان من عشّاق الله...
- حبيب كان من عشّاق الله...
- مسلم كان من عشّاق الله...
- جميع أنصار الحسين كانوا من عشّاق الله...

فإذا أردنا أن نكون عاشورائيّين حقًّا فيجب أن نكون من عشّاق الله...

وعشّاق الله هم عشّاق أنبياء الله وفي مقدّمتهم سيد أنبياء الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وهم عشّاق أولياء الله وفي مقدّمتهم سادة الأصفياء الأئمّة من آل رسول الله (عليهم أفضل صلوات الله)، وهم عشّاق الإسلام، وعشّاق الدّين، وعشّاق القرآن، هؤلاء هم العاشورائيّون الصّادقون.

ماذا نعني بالسلوك الملتزم بأهداف عاشوراء؟

- إذا كان الإنسان العاشورائيّ هو الذي يحمل الفكر الملتزم بأهداف عاشوراء...
- وإذا كان الإنسان العاشورائيّ هو الذي يحمل العاطفة الملتزمة بأهداف عاشوراء...
- فإنّ الإنسان العاشورائيّ هو الذي يحمل سلوك الملتزم بأهداف عاشوراء...
- إنّ الالتزام الفكري الصّادق، يفرض التزامًا سلوكيًّا صادقًا...
- كما أنّ الالتزام العاطفي الصّادق يفرض التزامًا سلوكيًّا صادقًا...

حينما يبقى الفكر ثقافة في الذهن ولا يتحوّل إلى سلوك عمليّ فهو فكر غير ملتزم...

وحينما تبقى العاطفة شعورًا في القلب ولا تتحوّل إلى ممارسة متحرّكة فهي عاطفة غير ملتزمة...

هذه بعض آيات من كتاب الله تؤكّد العلاقة بين الإيمان والعمل:

- قال الله تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجنّة هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

- وقال تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾[2].

- وقال تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[3].

---

(١) هود: آية ٢٣.

(٢) لقمان: آية ٨.

(٣) البيّنة: آية ٧.

- وقال تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾[1].

- وقال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].

وهذه بعض كلمات من كتاب الله وأقوال المعصومين تؤكّد العلاقة بين العاطفة والعمل:

- قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

- قال الإمام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي:

(يا جابر، أيكتفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟ فو الله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون - يا جابر - إلّا بالتواضع، والتخشّع، وكثرة ذكر الله، والصّوم، والصّلاة، والتعهّد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام ، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن النّاس إلّا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء.

فقال جابر: يا بن رسول الله، لست أعرف أحدًا بهذه الصفة.

فقال عليه السلام : يا جابر، لا تذهبنّ بك المذاهب، أحسب الرجل أن يقول أحبّ عليًّا وأتولّاه! فلو قال : إنّي أحبّ رسول الله، ورسول الله خيرٌ من عليّ ، ثمّ لا يعمل بعمله ولا يتّبع سنّته، ما نفعه حبّه إيّاه شيئًا، فاتّقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم له وأعملهم بطاعته، والله ما يُتقرّب إلى الله جلّ ثناؤه إلّا بالطاعة، ما معنا

---

(١) الجاثية: آية ٣٠.

(٢) العصر: الآيات ١ - ٣.

(٣) آل عمران: آية ٣١.

براءة من النّار، ولا على الله لأحد من حجّة، من كان لله مطيعًا فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصيًا فهو لنا عدو، ولا تُنال ولايتنا إلّا بالورع والعمل[1].

ما نخلص إليه في هذا السياق أنّ الجمهور العاشورائيّ، جمهور يجسّد في واقعه أهداف عاشوراء، وأهداف عاشوراء هي أهداف الإسلام، وأهداف الدّين، وأهداف القرآن، فالإنسان العاشورائيّ -رجلًا، امرأة، شابًا، شابة- إنسان يمثّل أعلى درجات الالتزام والاستقامة والتقوى والورع...

الحسين عليه السلام ثار في مواجهة الفسق اليزيدي والفجور اليزيدي، والانحراف اليزيدي والفساد اليزيدي، والظلم اليزيدي والعبث اليزيدي، فكلّ الذين يمارسون الفسق والفجور والانحراف والفساد والعبث، فهم يمثّلون الخط اليزيدي، والواقع اليزيدي.

العنصر الرابع: حركيّة الانتماء إلى أهداف عاشوراء:

الحركيّة: مضمون كبير تعني أن يتحوّل الإنسان المنتمي إلى وجود فاعل متحرّك ليعطي للأهداف حضورها الفاعل المتحرّك في الساحة، لكي أكون منتميًا انتماءًا حقيقيًّا إلى عاشوراء لا يكفي أن أعيش الأهداف في داخلي فقط، بل لا بدّ من تحويلها إلى أهداف تتحرّك في داخل الساحة، لا بدّ أن تتحوّل إلى أهداف تتحرّك في داخل الآخرين.

وبتعبير آخر: أن أكون عاشورائيًّا أن أعمل من أجل أن أصنع كلّ الواقع حولي واقعًا عاشورائيًّا، أن أعمل من أجل أن أصنع كلّ الناس صنعًا عاشورائيًّا، أن أكون داعية إلى أهداف عاشوراء.

كم من الناس من يعيشون عاشوراء في داخلهم ولكنّهم لا يتحوّلون إلى دعاة يحملون أهداف عاشوراء إلى الآخرين، لا يتحوّلون إلى عاشورائيّين حركيّين.

العاشورائيّ الحركيّ طاقة فعّالة منتجة، العاشورائيّ الحركيّ إنسان رسالي

---

(١) الصّدوق: الأمالي، ص ٧٢٥، مجلس ٦١، ح٣. (ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة البعثة، قم – إيران)

عامل، يتحرّك في الساحة، يجاهد من أجل أهداف عاشوراء، يضحّي من أجل هذه الأهداف.

ليس عاشورائيًّا رساليًّا من يؤمن بأهداف عاشوراء إلّا أنّه لا يصنع إيمان الآخرين في خطّ عاشوراء.

ليس عاشورائيًّا رساليًّا من يعيش حرارة التفاعل مع أهداف عاشوراء إلّا أنّه لا يصنع الحرارة عند الآخرين.

ليس عاشورائيًّا رساليًّا من يلتزم عمليًّا بقِيَم عاشوراء إلّا أنّه لا يحرّك هذه القِيَم في حركة الواقع حوله.

فمطلوب منك لكي تكون عاشورائيًّا رساليًّا:

أن تصنع نفسك صُنعًا عاشورائيًّا، وأن تصنع أسرتك صُنعًا عاشورائيًّا.
وأن تصنع أصدقائك صُنعًا عاشورائيًّا، وأن تصنع كلّ الناس حولك صُنعًا عاشورائيًّا.

بل مطلوب منّا أن نفكّر في صُنع العالم صنعًا عاشورائيًّا.

أيّها الأحبّة السائرون على خطّ عاشوراء:

١-لكي تكونوا عاشورائيّين رساليّين اعملوا من أجل أن تعطوا لثقافة الساحة مضمونًا عاشورائيًّا.

ما معنى أن نعطي لثقافة الساحة مضمونًا عاشورائيًّا؟

- أن تكون الثقافة عاشورائيّة يعني أن تكون ثقافة الجهاد من أجل الحقّ والعدل والحرّية والفضيلة والاستقامة.
- أن تكون ثقافة التصدّي للباطل والظّلم والاستعباد والفساد والانحراف.
- أن تكون ثقافة التأصيل لمبادئ الإسلام وقِيَم الدين وأخلاق القرآن.
- أن تكون ثقافة المواجهة لمبادئ الكفر وقِيَم الضلال، وأخلاق العبث.

في الواقع يتحرّك - دائمًا - اتّجاهان:

الاتجاه الأول:

- يريد للثقافة أن تضل، أن تنحرف، أن تفسد، أن تتميّع، أن تعبث، أن تدمّر، أن تهدم...
- يريد للثقافة أن تظلم، أن تقهر، أن تجور، أن تستعبد...
- يريد للثقافة أن تهادن، أن تساوم، أن تضعف، أن تنهزم، أن تسقط...

والاتجاه الثاني:

- يريد للثقافة أن تهتدي، أن تستقيم، أن تتأصّل، أن ترشدّ، أن تبني...
- يريد للثقافة أن تعدل، أن تنصف، أن تحرّر...
- يريد للثقافة أن تقوى، أن تجاهد، أن تتحدّى، أن تُضحّي، أن تواجه، أن تصمد...

هكذا عبر التاريخ يتحرّك هذان الاتجاهان، وتتصارع هاتان القوّتان، ويتواجه هذان المعسكران، ليس على مستوى الثقافة فقط، بل على كلّ المستويات، على مستوى الأفكار، والقِيَم، والأخلاق، والانتماءات، وعلى مستوى الثقافة، والاقتصاد، والاجتماع، والسّياسة، فحينما نتحدّث عن ثقافة عاشوراء، ومبادئ عاشوراء، وقِيَم عاشوراء، نتحدّث عن الاتجاه الثاني، والخطّ الثاني، والمعسكر الثاني، ويبقى في المقابل الثقافة الأخرى، والاتجاه الآخر والمعسكر الآخر.

إنّ الإنسان العاشورائيّ هو الذي يتحوّل إلى إنسان يحمل (رسالة عاشوراء)، يُجاهد من أجل هذه الرسالة، يُضحّي من أجل هذه الرسالة، يُحرّك أهداف هذه الرسالة.

اسألوا أنفسكم: كم تملكون من مستوى (رساليّة عاشوراء)؟

لا شكّ أنّ إصراركم على إحياء مراسيم عاشوراء، وأنّ إصراركم على بقاء وديمومة واستمراريّة مجالس عاشوراء، ومواكب عاشوراء، وكلّ مظاهر عاشوراء، وكلّ فعّاليّات عاشوراء هو مستوى هام جدًا من مستويات (الرساليّة العاشورائيّة).

إذا كان إصرار أبائنا وأجدادنا على إحياء وبقاء هذه المراسيم العاشورائيّة هو الذي أوصلها إلينا، فإنّ إصرارنا على حماية وإحياء هذه الشعائر هو الذي سوف يحملها إلى الأجيال القادمة، إنّها أمانة كبرى في أعناق المنتمين إلى هذا الخطّ، وإنّ أيّ تفريط يضعنا أمام مساءلة كبيرة بين يدي الله، ومساءلة كبيرة أمام الأجيال، خاصّة وأنّ المراسيم العاشورائيّة الأصيلة تتعرّض بين حينٍ وآخر إلى محاولات مصادرة، ومحاولات محاصرة، ومحاولات إساءة، ومحاولات تشويه، الأمر الذي يفرض على أبناء عاشوراء مزيدًا من الوعي، ومزيدًا من الانصهار، ومزيدًا من الالتزام، ومزيدًا من الإصرار على إحياء وبقاء مراسيم عاشوراء.

إنّ مراسيم عاشوراء لا تحمل نفَسًا طائفيًّا، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام ليس مُلكًا لطائفة، ولأنّ أهداف الإمام الحسين عليه السلام هي أهداف الإسلام، وأهداف الرسالة، وأهداف القرآن...

الذين يحملون وعيًا عاشورائيًّا، وبأهداف عاشوراء، وبرسالة عاشوراء، لا يمكن أن يكونوا طائفيّين...

الذين يحملون إخلاصًا لعاشوراء، ولأهداف عاشوراء، ولرسالة عاشوراء لا يمكن أن يكونوا طائفيّين...

الذين يعيشون التزامًا بنهج عاشوراء، وبأهداف عاشوراء، وبرسالة عاشوراء لا يمكن أن يكونوا طائفيّين...

لذلك فنحن نستنكر بشدّة تلك الكلمات التي حاولت أن تتّهم رمزًا كبيرًا من رموز الساحة العاشورائيّة بالطائفيّة، إنّ هذا الرمز وهو يحمل كلّ الوعي بأهداف عاشوراء، ويحمل كلّ الإخلاص لرسالة عاشوراء، ويحمل كلّ الانتماء إلى نهج عاشوراء كيف يصحّ أن يُتّهم بالطائفيّة؟ سوف يبقى خطاب عاشوراء خطاب حُبّ، وخطاب وحدة، وخطاب تآلف، هذه هي رسالة عاشوراء، وهذا هو نهج عاشوراء.

قد يوجد من يحاول أن يُسيئ إلى هذه الرسالة، والى هذا النهج، وقد يوجد من لا يملك وعيًا وبصيرةً بأهداف عاشوراء، إلّا أنّ هذا لا يُمثّل الخط العام لمسيرة عاشوراء ولمدرسة عاشوراء.

إنّنا ندعو كلّ الإخوة من أبناء المذاهب الإسلاميّة الأخرى أن ينفتحوا على مدرسة عاشوراء وعلى خطاب عاشوراء، لأنّ عاشوراء ليس ملكًا لمذهب أو طائفة.

العنصر الخامس: العطاء والتضحية من أجل أهداف عاشوراء:

من أهم مكوّنات الانتماء العاشورائيّ (العطاء والتضحية من أجل أهداف عاشوراء):

- كثيرون استطاعوا أن يفتحوا عقولهم على أهداف عاشوراء...
- وكثيرون استطاعوا أن يفتحوا عواطفهم على مأساة عاشوراء...
- وكثيرون استطاعوا أن يُجسِّدوا طهر عاشوراء...
- وكثيرون استطاعوا أن يكونوا دعاة إلى قِيَم عاشوراء...
- وكثيرون استطاعوا أن يبذلوا المال والجهد والوقت من أجل إحياء مراسيم عاشوراء...

ولكن السؤال:

كم هم أولئك الذين استطاعوا أن يرتفعوا إلى مستوى (بذل الروح والدم من أجل أهداف ومبادئ وقِيَم عاشوراء)؟، وحينما نتحدّث عن (بذل الروح والدم) لا نتحدّث عن عنفٍ وإرهاب وتطرّف.

إنّ عاشوراء الحسين عليه السلام انطلقت من أجل (الإصلاح)، ومن أجل (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ومن أجل (تأكيد خطّ الرسالة الأصيل)، هذا ما أعلن عنه الإمام الحسين عليه السلام في خطابه الصريح:

(لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي.....)[1].

- إنّ عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام انطلقت من أجل إيقاف (العنف) الذي طال الأبرياء والأطفال والنساء...

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٤٤/ ٣٢٩، ب ٣٧، ح٢ فيما رواه المفيد. (ط٢، مؤسّسة الوفاء)

- إنّ عاشـوراء الإمام الحسـين عليه السلام انطلقت من أجل إيقاف (الإرهاب) الذي خلق الرعب بين الناس...
- إنّ عاشـوراء الإمام الحسين عليه السلام انطلقت من أجل إيقاف (التطرّف) الذي أربك كلّ الأمن والاستقرار...

هكذا كانت سياسـة يزيد، عنفًا طال الأبرياء والأطفال والنسـاء، إرهابًا خلق كلّ الرعب بين الناس، تطرّفًا أربك كلّ الأمن والاسـتقرار، فالدم الذي أعطاه الإمام الحسين عليه السلام، والدم الذي أعطاه أنصار الحسين عليه السلام كان دمًا أراد أن يزرع كلّ الخير في الأرض، وكلّ الأمن، وكلّ العدل، وكلّ الطهر، وكلّ التسـامح، وكلّ الحبّ، عاشـوراء علّمتنا أن نبذل الدم من أجل الخير والأمن والطهر والتسامح والحُبّ.

قد يقال:

إنّ لغة الدم لا تناسب مع هذا المعاني الإنسانيّة الكبيرة...

ونقول:

إنّ لغة الدم إذا كانت تُعبّر عن نزوات الإنسان، وظلم الإنسان، وحقد الإنسان، وعبث الإنسـان، ونزق الإنسان، واسـتعلاء الإنسان، وحماقة الإنسان، فهي لغة العنف والإرهاب والتطرّف...

إنّ لغـة الـدم عند التكفيريّين والإرهابيّين، لغة تتناقض مـع كلّ القِيَم والمبادئ الدينيّة والإنسانيّة...

أمّـا لغـة الدّم التـي تُعبّر عن (الشـهادة) مـن أجل المبـادئ الإلهيّـة، والقِيَم الإنسـانيّة، ومـن أجـل الخير والعـدل والأمن، فهي لغـة يُحبّها الله تعـالى، ويباركها الخيّرون في الأرض.

الدمـاء التـي أعطاها الأنبيـاء، والدماء التـي أعطاها الأولياء والصـالحون، والدماء التي أعطاها المجاهدون، والدماء التي أعطاها كلّ الشهداء عبر التاريخ، هي دماء طاهرة زاكية مباركة.

إنّ التكفيريّين والإرهابيّين والمتطرّفين في هذا العصر يحاولون كذبًا وزورًا وبهتانًا أن يرفعوا شعار (الشهادة والموت في سبيل الله).

- هل أنّ ذبح الأطفال جهاد في سبيل الله؟
- هل أنّ السيّارات المفخّخة التي تقتل الأبرياء والآمنين جهاد في سبيل الله؟
- هل أنّ تفجير المراقد المقدّسة جهاد في سبيل الله؟
- هل أنّ هدم المساجد ودور العبادة والحسينيّات جهاد في سبيل الله؟
- هل أنّ استهداف المؤسّسات والمواقع الدينيّة جهاد في سبيل الله؟
- هل أنّ نشر الرعب والخوف في أوساط الناس جهاد في سبيل الله؟
- هل أنّ مصادرة الأمن والاستقرار جهاد في سبيل الله؟

التاريخ يُعيد نفسه...

بالأمس البعيد رفع التكفيريّون الخوارج شعار (الرّواح الرّواح إلى الجنّة) وشعار (لا حكم إلّا لله)، إنّها شعارات حقّ، ولكنّهم أرادوا بها الباطل، خرجوا إلى قتال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهم يتصارخون (الرّواح الرّواح إلى الجنّة)، قتلوا الصحابي الجليل عبد الله بن الخبّاب، وبقروا بطن زوجته (المرأة الصالحة) وهي حامل، وهم يتصارخون (الرّواح الرّواح إلى الجنّة)، أفسدوا في الأرض، وعبثوا بالأعراض والأموال والأرواح وهم يتصارخون (لا حكم إلّا لله)، عبد الرحمن بن ملجم الخارجي هوى بسيفه المشؤوم على رأس عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو ينادي (لا حكم إلّا لله).

وهكذا التكفيريّون الجدد في هذا العصر، يذبحون، يقتلون، يهدّمون، يعبثون بالأرواح والأعراض والأموال، كلّ ذلك تحت شعار (الرّواح إلى الجنّة) و(العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وآله)، وإذا كان هؤلاء التكفيريّون يعتمدون القتل والعنف والإرهاب، ففي السّاحة تكفيريّون لا يقلّون خطرًا يعتمدون (الكلمة المغلوطة)، و(الخطاب المفخّخ)، ومن خلال الكلمة المغلوطة يفجّرون الأوضاع، ومن خلال (الخطاب المفخّخ) يزرعون الفتن الطائفيّة، تارة بشتم من يسمّونهم بـ (الرّوافض)، وتارة بالتحريض على من يسمّونهم بـ (الصفويّين).

إنّ لغــة التكفــير والتحريض التــي يعتمدها هــؤلاء الموتورون هي التي تؤسّــس لمشــروعات العنف والإرهاب والتطرّف، وما دامــت خطابات التحريض الطائفي تجد طريقًــا إلى الصــحافة ومواقع الإعــلام، ومؤسّســات الثقافة، ومناهــج التعليم، فإنّ الأوضاع ستبقى مرشّحة لانفجارات طائفيّة مرعبة وخطيرة ومدمّرة.

فالانتماء الحقيقي إلى عاشــوراء يُعطي اســتعدادًا للتضــحية والشــهادة وبذل الــدّم من أجل أهداف ومبادئ وقِيَم عاشــوراء، وكما قلنــا إنّ هذا الدم ليس دم عنفٍ وإرهــابٍ وتطرّف، وإنّما هو دمٌ من أجل البناء والإصــلاح والتغيّــير، ومن أجل الأمن والاستقرار في الأرض، ومن أجل العطاء والخير وسعادة الإنسان.

٤

ماذا تريد منكم كربلاء
يا شباب الأمّة؟

في ظلّ الظروف الراهنة الصعبة التي تمرّ بها أمّتنا، والحرب المجنونة على العراق قد بدأت، يجب أن تُمارس عاشوراء دورها في استيقاد غضب الأمّة ضدّ المشروع الأمريكي الخطير، وفي تحشيد كلّ القوى والطاقات في الدفاع عن الإسلام ومبادئه وقِيَمه، فمدرسة كربلاء علّمتنا كيف انتظمت كلّ الشرائح لتشكّل «كوادر الثورة الحسينيّة» التي واجهت قوى الظّلم والباطل والفساد، في معركة الطّف جاهدت الشيخوخة، وجاهدت الشبيبة، وجاهدت الطفولة، وجاهدت المرأة...

نتناول بالحديث شريحتين من هذه الشرائح:

- شريحة الشيوخ.
- شريحة الشباب.

الشريحة الأولى: شريحة الشيوخ..

في معركة الطّف - وضمن جبهة الإمام الحسين عليه السلام - جاهدت «الشيخوخة الهرمة»...

حبيب بن مظاهر الأسدي الشيخ الكبير الذي تجاوز التسعين كان أحد أبرز «رموز الثورة»، قاتل بحماس منقطع النظير، تعشّق الموت والشهادة بين يدي الإمام الحسين عليه السلام، جاهد بكلّ صلابة وشموخ وعنفوان دفاعًا عن المبدأ والعقيدة، وحربًا ضدّ الظّلم والباطل والفساد والانحراف إلى أن سقط صريعًا على أرض كربلاء، اهتزّ

لمقتله الحسين عليه السلام،وقف عنده مؤبّنًا: «عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي»[1] واسترجع كثيرًا.

نموذج آخر للشيخوخة التي جاهدت بين يدي الإمام الحسين عليه السلام: مسلم بن عوسجة الأسدي، شيخ كبير أرهقته السّنون، أدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وروى عنه، انضمّ في الدفاع عن الإمام الحسين عليه السلام،كان صُلب الإيمان، وصُلب العقيدة...

تُحدّثنا روايات كربلاء أنّه في اليوم الأخير قبل عاشوراء جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه وأهل بيته، وكان له معهم حديث، ما كان السّبط في لحظة من اللحظات يحمل شكًا في نوايا الأهل والأصحاب، كان الواثق كلّ الوثوق بهؤلاء الصّفوة، إلّا أنّها طبيعة المعركة، المأساة تفرض هذا النّمط من السلوك، يلتقي الإمام الحسين عليه السلام أصحابه وأهل بيته ليحدّثهم قبل المعركة، بماذا يحدّثهم؟

هكذا بدأ الحديث بعد الحمد والثناء على الله تعالى:

«أمّا بعد: فإنّي لا أعلم أصحابًا أولى ولا خيرًا من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعًا خيرًا، ألا وإنّي أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غدًا، ألا وإنّي رأيت [أذنت] لكم فانطلقوا جميعًا في حل، ليس عليكم منّي ذمام...

هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملًا، ثمّ ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي، تفرّقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله، فإنّ القوم إنّما يطلبوني، ولو قد أصابوني لَهوّا عن طلب غيري»[2].

انتفضت أرواحهم وأبَو إلّا الشّهادة، وكان أول من تحدّث من الأصحاب: مسلم بن عوسجة الأسدي الشيخ الكبير قال مخاطبًا الحسين عليه السلام: (أنحن نخلّي عنك، ولمّا نُعذِر [وبما نعتذر] إلى الله في أداء حقّك؟ أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٤٥/ ٢٧، ب٣٧، في وصف القتال وشهادة الشهداء واحدًا بعد واحد. (ط. مؤسسة الوفاء)

(٢) الطبري: تاريخ الطبري ٤/ ٦١٨، سنة إحدى وستين. (ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان)

وأضــربهم [وأختبرهم] بسـيفي ما ثبت قائمه في يـدي ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك)[1].

وهكذا بقي مســلم بن عوسجة مشدودًا إلى عرس الشّهادة فكان أول شهيد من أصحاب الحسين عليه السلام.

وقف عليه الإمام الحســين عليه السلام يؤبّنه وكان به رمق: «رحمك الله يا مســلم بن عوسـجة» ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[2].

كان إلى جانـب الحســين عليه السلام حبيب بن مظاهر الأســدي فالتفت إلى مســلم وقال: «عزّ عليّ مصرعك يا مسلم أبشر بالجنّة»، أجابه مسلم بصوت خافت ضعيف: «بشّرك الله بخير».

- قال حبيب: «لولا أنّي أعلم أنّي في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكلّ ما أهمّك».
- قال مســلم: «بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله - وأهوى بيده إلى الحسين - أن تموت دونه».
- قال حبيب: أفعل وربّ الكعبة[3].

وهنا ونحن نعرض لنموذجين من جهاد الشـيخوخة في معركة الطّف نسـتلهم درسًا كبيرًا، وكم هي دروس كربلاء كبيرة، الدرس الذي نستلهمه هو:

إنّ مسؤوليّة الإنسان في الدفاع عن المبدأ والعقيدة، وفي الدعوة إلى الحقّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه المسؤوليّة لا تتجمّد مهما تقدّم بالإنسان مستوى العمر، وحتى لو بلغ مرحلة الشـيخوخة، هناك الكثيرون يـبرّرون الركود والخمول والتقاعس والتخلّي عن مســؤوليّة العمل في سـبيل الله بمبرّرات السّن والعجز والشيخوخة، وهذه

---

(١) المصدر نفسه: ص ٦١٩.

(٢) الأحزاب: آية ٢٣.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري ٤/ ٦٣٣، سنة إحدى وستين. (ط. مؤسسة الأعلمي)

مـبرّرات أنتجتهـا روح اليأس والتخاذل والاستسـلام، بينما روح المسـؤوليّة تبعث في داخل الإنسان الحيويّة والحركيّة والنشاط، فإلى كلّ الذين يتّخذون من السّن والعجز والشـيخوخة مبرّرًا للكسـل والانهزام نقول: اقرأوا كربلاء، اقرأوا جهاد الشـيخوخة الهرمة، اقرأوا مواقفهم في الصمود والتحدّي والمواجهة...

أيّها الأحبّة في الله:

إنّنـا في مرحلةٍ صـعبة جـدًا تفرض علينـا أن نوظّف كلّ ما نملـك من قدرات وإمكانات من أجل الدفاع عن الإسـلام ومبادئ الإسـلام، وقِيَم الإسـلام، الإسـلام يستصـرخنا، مبادئ - الإسلام، قِيَم الإسلام تستصـرخنا، فلا يجوز أبدًا أن نُعطّل شيئًا من قدراتنا وطاقاتنا، ما دام الإسلام ومبادؤه وقِيَمه في حاجةٍ إلى هذه القدرات والطاقات...

فـإذا كنّا نملك الدم، والإسـلام في حاجة إلى الدم من أجـل أن يبقى ويقوى، فيجب أن نُعطي الدم إذا كان التكليف الشّرعي يفرض ذلك...

وإذا كنّا نملك العلم والفكر والثقافة، والإسـلام في حاجة إلى ذلك، فيجب أن نُعطي العلم والفكر والثقافة...

وإذا كنّا نملك القدرة الماليّة، والقدرة الاجتماعيّة، والقدرة السِّياسـيّة، فيجب أن نُعطي ذلك من أجل الإسلام والمبدأ والعقيدة...

وإذا كنّـا نملك القدرة علـى الكلمة، الموقف، فيجب أن نُعطـي الكلمة والموقف دفاعًا عن إسلامنا وديننا وعقائدنا وأخلاقنا وهويّتنا...

فلا يُعذر أيّ إنسان يملك شيئًا من القدرة أن يعطّلها ما دام الإسلام في حاجة إليها، خاصّـة في هذه الظروف الصعبة التي استنفر فيها أعداء الإسلام كلّ قدراتهم الثقافيّة والسِّياسـيّة والاقتصـاديّة والأمنيّة والعسـكريّة للهيمنة علـى كلّ مقدّراتنا، وثرواتنا، ووجودنا، ولمصادرة كلّ ثقافتنا وسياستنا واقتصادنا وكلّ هويّتنا.

الشريحة الثانية:

في معركة الطّف - وضـمن جبهة الإمام الحسين عليه السلام - جاهد شباب كربلاء، ونطرح عليًّا الأكبر نموذجًا...

- تُحدّثنا روايات كربلاء أنّ الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى أرض الشهادة، خفق برأسه خفقة ثمّ انتبه وهو يقول: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين» فعل ذلك مرتين أو ثلاثًا، وكان إلى جانبه ابنه عليّ [الأكبر]، فالتفت إلى أبيه: «يا أبتِ جعلت فداك، ممّ حمدت الله واسترجعت؟

- قال: «يا بنيّ إنّي خفقت برأسي خفقة فعنّ لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري [تسير] إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا...

- قال عليّ [الأكبر]: يا أبتِ لا أراك الله سوءًا، ألسنا على الحقّ؟

- أجاب الحسين عليه السلام: بلى والذي إليه مرجع العباد.

- قال [الأكبر]: يا أبتِ إذًا لا نبالي [أن] نموت محقّين.

- قال الحسين عليه السلام: جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولدًا عن والده(١).

وبقي الأكبر مشدودًا إلى معركة الحقّ، وفي يوم عاشوراء كان أول الشّهداء من أهل البيت...

نموذجٌ آخر:

القاسم بن الحسن السبط عليه السلام، كان على أعتاب الشباب، في الثالثة عشرة من العمر، امتلأ إيمانًا وبصيرةً وقوةً وثباتًا...

- يخاطبه الحسين عليه السلام: يا بنّي كيف تجد الموت؟

- أجاب القاسم: فيك - يا عم - أحلى من العسل.

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٤/ ٦٠٨، سنة إحدى وستين. (ط. مؤسسة الأعلمي)

وظلّ القاسم ينتظر عرس الشهادة...

وفي ظهيرة عاشوراء وقف أمام عمّه الحسين عليه السلام يستأذن للقتال، نظر إليه الحسين عليه السلام، اعتنقه وبكى، ثمّ أذن له، فبرز كأنّ وجهه شقّة قمر، وبيده السيف وعليه قميص وإزار وفي رجليه نعلان، قاتل قتال الرجال الأبطال إلى أن هوى على رأسه سيف جبان من غادر أفّاك، فسقط القاسم مضرّجًا بدمائه صائحًا «يا عمّاه» فانقض الحسين عليه السلام كالليث الغضبان، والغلام يفحص برجليه فقال الحسين: «بعدًا لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك، عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يُجيبك، أو يجيبك ثمّ لا ينفعك»[1]. ثمّ احتمله إلى الخيام...

ومعركة الطّف شهدت مواقف الكثير من شباب العقيدة.

وهنا نقف مع درس كربلاء - والخطاب إلى الشباب - :

ماذا تريد منكم كربلاء؟

كربلاء تريد منكم أن تكونوا شبابًا مبدئيّين، شبابًا يحملون صلابة المبدأ، وشموخ العقيدة، وعنفوان الإيمان ولا تريد منكم كربلاء أن تكونوا شبابًا بلا هويّة هي هويّة الإيمان، وبلا انتماء هو انتماء العقيدة، وبلا أصالة هي أصالة المبدأ.

كربلاء تريد منكم أن تكونوا شبابًا واعين يملكون البصيرة والرؤية والفهم والوضوح، ولا تريد منكم كربلاء أن تكونوا شبابًا يعيشون الجهل والبلادة والغباء والفراغ الفكريّ والثقافي، شبابًا تخدعهم ثقافات الضّلال والانحراف، وثقافات التغريب والعلمنة، وثقافات الجهل والتخلّف.

كربلاء تريد منكم أن تكونوا الملتزمين الأتقياء الصالحين الطائعين لله تعالى في كلّ مواقع الحركة والسّلوك والانطلاق، ولا تريد منكم كربلاء أن تكونوا شبابًا متمرّدًا على الله وعلى الدين، وعلى قِيَم الدين، وعلى أخلاق القرآن، شبابًا منحرفًا فاسدًا مائعًا مأسورًا لكلّ أجواء الفسق والفجور والعصيان.

---

(١) المفيد: الإرشاد ٢/ ١٠٨.(ط١، ١٤١٣هـ ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم – إيران)

كربلاء تريد منكم أن تكونوا المجاهدين الأقوياء الذين يملكون إرادة التحدّي والصمود، ويواجهون الظّلم والباطل والفساد والانحراف، ولا يعرفون التنازل والمساومة والمداهنة والانهزام، ولا تريد منكم كربلاء شبابًا راكدًا خاملًا كسولًا مسترخيًا، ضعيفًا، مساومًا، مداهنًا، يائسًا، مهزومًا...

أيّها الشباب العاشورائيّ:

كربلاء تريد منكم أن تكونوا «الشباب الحسينيّ» إيمانًا ووعيًا والتزامًا وصلابةً، وصمودًا، وجهادًا وتضحيةً وعطاءً.

كربلاء تريد منكم أن تكونوا عشّاق الشهادة من أجل المبدأ والعقيدة.

أن تكونوا:

- شبابًا يحمل شعار الحسين عليه السلام: «إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برمًا»[1].
- شبابًا يحمل شعار أبي الفضل العباس عليه السلام: «والله إن قطعتم يميني إنّي أحامي أبدًا عن ديني، وعن إمام صادق اليقين»[2].
- شبابًا يحمل شعار الأكبر: «لا نبالي أن نموت محقّين».
- شبابًا يحمل شعار القاسم عندما سأله عمّه الإمام الحسين عليه السلام عن رأيه الموت: « - يا عم - أحلى من العسل»[3].
- شبابًا يحمل شعارات أنصار الحسين عليه السلام الذين تعشّقوا الشهادة من أجل الحقّ والعقيدة...

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٤٤/ ١٩٢، ب٢٦ من تواريخ الإمام الحسين عليه السلام، ح٤. (ط. مؤسسة الوفاء)

(٢) المصدر نفسه: ٤٥/ ٤٠، ب٣٧.

(٣) السيد هاشم البحراني: مدينة المعاجز ٢١٥/٤، ب ١٨٤، ح ١٢٤٢. (ط١، ١٤١٤هـ، مؤسّسة المعارف، قم - إيران)

أيّها المؤمنون:

أمّتنا تمرّ بمرحلةٍ هي الأصعب في تاريخها المعاصر، تزدحم قوى الشّر بزعامة أمريكا لتفرض مشروعها الاستعماري الجديد في الهيمنة على كلّ وجودنا الثقافي والسِّياسيّ والاقتصاديّ والأمنيّ والعسكريّ.

إنَّ إصرار أمريكا على شنّ الحرب الظالمة على العراق متجاوزة كلّ القِيَم الإنسانيّة، والأعراف الدوليّة، يؤكّد السّياسة العدوانيّة التي تنتهجها إدارة بوش من أجل السّيطرة على مقدّرات الشعوب، ومن أجل الهيمنة على كلّ ثروات الشعوب.

ليست العراق، وشعب العراق، ومقدّرات العراق، ومقدّسات العراق هو المستهدف فقط من خلال هذه الحرب المجنونة والمدمّرة والتي قد تُخلّف على مستوى الأرواح وحسب بعض التقارير - ما يقرب من (مليوني قتيل)... مليونان من البشر ضحيّة هذه الحرب.

نعم ليس العراق وحدة هو المستهدف، بل المستهدف كلّ وجودنا العربي والإسلاميّ...

إنَّ مسؤوليّتنا في هذه المرحلة الخطيرة جدًا، هو إعلان الغضب بكلّ الوسائل الممكنة ضدّ الاستهتار الأمريكي، وضدّ العبث الأمريكي، وضدّ الحرب الأمريكيّة...

على أنظمتنا وشعوبنا في الظرف المصيري الراهن أن تعيد كلّ حساباتها مع أمريكا، فمن الخيانة الكبرى أن نقدّم أيّ دعم ومساعدةً لأمريكا في عدوانها على العراق وعلى أمّتنا، ومن الخيانة الكبرى أن نفتّح أراضينا وبحارنا وأجوائنا للقوات المشاركة في ضرب العراق ...

من الخيانة الكبرى أن نساهم في دعم الاقتصاد الأمريكي والبريطاني ولو بشراء أصغر بضاعة فنكون بذلك قد ساهمنا ولو ببضعة دنانير في الحرب الظالمة ضدّ شعبنا المسلم في العراق، وفي قتل إخواننا المؤمنين على أرض العراق...

من المؤسف جدًا أنّنا أنظمة وشعوبًا قد برهنّا على خوائنا وإفلاسنا وتخاذلنا، وضعفنا وانهزامنا في مواجهة حرب الدمار الشّامل على العراق... قد لا نملك إيقاف الحرب ولكن مسؤوليّتنا أن نُعلن الموقف الغاضب الرافض بكلّ أساليب التعبير...

أيّها المؤمنون:

إنّنا في هذا الظرف العصيب مدعوّون أن نوّحد صفّنا، وأن نوّحد مواقفنا، وأن نوّحد كلمتنا، إنّ الذين يعملون على زرع الفرقة وإيقاظ الصراعات بين أبناء الوطن الواحد، وبين أبناء الدّين الواحد، وبين أبناء المذهب الواحد هؤلاء يرتكبون أخطر جريمة في هذه المرحلة التي تفرض الوحدة والتلاحم والتقارب، ورغم أنَّ الوحدة في الإطار الأوسع هي هدفنا وهي خيارنا وهي مشروعنا إلّا أنّني هنا أودّ أن أعطي حديثي بُعدًا خاصًا، فنحن في إطار المذهب الواحد الذي ننتمي إليه نرفض كلّ محاولات التفتيت الداخليّة التي يمارسها بعض الذين لا يحملون شعورًا بمسؤوليّة الموقف، ولا يحملون غَيرة على حماية الكيان، وحماية الصفّ الواحد.

إنَّ الكلمات التي تحرّض على الخلافات في داخل البيت الشيعيّ، وإنَّ الخطابات التي تساهم في إثارة أجواء التوتّر بين أبناء المدرسة الواحدة، وإنَّ المنشورات التي تحاول الإساءة إلى رموز علمائيّة مجاهدة وبارزة في السّاحة المعاصرة، هذه الأمور تمثّل عبثًا مقصودًا لزرع الفتنة، وإيقاظ الصراعات، وإنّها جريمة لا تُغتفر أن نوتّر أجواءنا الداخليّة في هذه المرحلة الصعبة الحسّاسة، وإن كنّا على ثقة تامّة بأنّ وعي الجماهير وإخلاصها سوف يفوّت على هذه المحاولات أغراضها المشبوهة، فإلى مزيد من التلاحم والوحدة يا أبناء الحسين عليه السلام.

ولا أنسى في هذا السّياق والحديث عن الشباب العاشورائيّ أن أعبّر عن اعتزازي وافتخاري بالطاقات الشابّة في هذا البلد، والتي كان لها حضور كبير وواضح في مراسيم عاشوراء ممّا أعطى لهذه المراسيم انطلاقات جديدة، وصياغات متطوّرة في مرحلة تفرض بكلّ متغيّراتها وتحدّياتها أن نُعطي لمراسيم الإحياء العاشورائيّ قدرتها أن تقتحم كلّ مواقع العصر لتبرهن عن أصالتها وديمومتها وحركتها، فالإبداع الشبابي المتمثّل في الكثير من النتاجات العاشورائيّة فيما هو المسرح الحسينيّ، والمرسم الحسينيّ، والمعرض الحسينيّ، وفيما هو مشروع التبرّع بالدم، وفيما هي الفعّاليات الحسينيّة المتجدّدة، كلّ ذلك يؤكّد على دور الكفاءات الشابّة والتي يجب أن تُحتضن من قِبَل الحوزات والعلماء ومن قِبَل المؤسّسات الدينيّة والاجتماعيّة والثقافيّة.

فـإذا أردنـا لمراسـيم عاشـوراء أن تأخـذ مسـارها الأصـيل في الحفاظ على أهـداف وقِيَم كربـلاء فيجب أن نغذّيها بفعّاليات جديـدة، وإبداعات جديدة لمواجهة بعض حالات التمييع العاشـورائيّة والتي تمثّل تعبيرات مختلفة تُسيئ كثيرًا إلى سمعة الأهداف الحسـينيّة، وتحجّم دور عاشـوراء، وإنّ حركة الوعي لدى جماهير عاشوراء قادرة بإذن الله تعالى أن تُعيد لمراسـيم الإحياء العاشـورائيّ كلّ الأصـالة وكلّ النقاء وكلّ الهادفيّة.

٥

ماذا علّمتنا كربلاء؟

الإمام الحسين عليه السلام، وشهداء كربلاء أعطوا الدم ظهيرة عاشوراء عنوانًا كبيرًا للإسلام، وانتصارًا للدّين والمبدأ والعقيدة، وتأصيلًا لقِيَم الرسالة والقرآن، وصرخةً في وجه الطّغاة والمستكبرين، ودفاعًا عن البائسين والمحرومين والمستضعفين.

ماذا علّمتنا كربلاء؟

أولًا:

علّمتنا كربلاء أن نثأر لله، لله وحدهُ وحده، لا لانتسابات الأرض، وانتماءات الأرض، وعصبيات الأرض، وصيحات الأرض، وجاهليّات الأرض.

ثانيًا:

علّمتنا كربلاء أن نُعطي الدّم من أجل أن يبقى الإسلام، الإسلام وحده، لا أن تبقى نظريّات الإنسان، وحزبيّات الإنسان، وشعارات الإنسان، وزيف الإنسان.

ثالثًا:

علّمتنا كربلاء أن ننتصر للدّين، والمبدأ، والعقيدة، لا للعصبيّات، والقوميّات، والعناوين التي صاغتها ضلالات الإنسان، وأهواء الإنسان، وجهالات الإنسان.

رابعًا:

علّمتنا كربلاء أن نحمل شعار القرآن.

خامسًا:

علّمتنا كربلاء أن نرفض الباطل والزّيف، والفساد، والضّلال، أن نرفض كلّ ألوان الانحراف الأخلاقيّ والثقافيّ والاجتماعيّ، والسِّياسيّ.

- لسنا حسينيّين إن جاملنا الباطل بكلّ أشكاله وألوانه.
- ولسنا حسينيّين إن هادَنّا الضّلال بكلّ أطيافه وصياغاته.
- ولسنا حسينيّين إن صمتنا أمام مشروعات الفساد بكلّ أنواعها وتمظهراتها.
- ولسنا حسينيّين إن تعاطينا مع الانحراف بكلّ امتداداته وتشكّلاته.

سادسًا:

علّمتنا كربلاء أن نكون الصّرخة التي تواجه الظّلم والظّالمين، وتواجه البغي والباغين، وتواجه الطغيان والطاغين، وتواجه الاستكبار والمستكبرين.

لسنا حسينيّين إن ماتت في داخلنا صرخة الإيمان، وصرخة الحقّ، وصرخة الصمود، وصرخة التحدّي، وصرخة المواجهة لكلّ المستبدّين في الأرض، ولكلّ العابثين في الأرض، ولكلّ المتلاعبين بمقدّسات الإنسان ودين الإنسان وقِيَم الإنسان، وأخلاق الإنسان، كما أرادها خالق الإنسان.

سابعًا:

علّمتنا كربلاء أن نكون المبدئيّين الأقوياء الذين لا يُساومون، ولا يتنازلون، ولا يسترخون...

- ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].
- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[2].

ولا تعني المبدئيّة والصلابة أن لا نعيش المرونة والانفتاح والشفافيّة في حواراتنا مع الآخرين، الإنسان المؤمن في حالات التصدّي والمواجهة والصراع يجب أن يكون شديدًا حدّيًا صارمًا في موقفه مع أعداء الإسلام، ومع أعداء الحقّ،

---

(١) الفتح: آية ٢٩.

(٢) الكافرون: الآيات ١ – ٥.

وحينما يحاور الآخرين ويدعو ويبلّغ فيجب أن يكون مرنًا منفتحًا شفّافًا.

- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].
- ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].
- ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3].

وهنا نؤكّد أنّ (المرونة والشفافيّة) في حواراتنا مع الآخرين، لا تعني الاسترخاء في طرح الأفكار والقناعات العقيديّة والمذهبيّة والثقافيّة والسّياسيّة، ولا تعني الاسترخاء في طرح الحجج والبراهين، ولا تعني المساومة والتنازل، ولا تعني المجاملة الفكريّة أو المجاملة السّياسيّة أو المجاملة الاجتماعيّة، ولا تعني السكوت عن مواجهة الأفكار التي تتنافى مع المبادئ والقِيَم التي نؤمن بها، (المرونة والشفافيّة) هي منهج في الحوار، في لغة الحوار، في أسلوب الحوار.

ثامنًا:

علّمتنا كربلاء أن نعيش الصمود والثبات في مواجهة كلّ التحدّيات، التحدّيات الفكريّة والثقافيّة، التحدّيات النفسيّة، التحدّيات الاجتماعيّة، التحدّيات السّياسيّة، التحدّيات الإعلاميّة.

الحسينيّون الحقيقيّون لا يعرفون الانهزام، والتراجع، والتخاذل، والضّعف، والخور، إنّهم الثابتون الصّامدون الذين يملكون عنفوان العقيدة وصلابة الإيمان، وإباء المبدأ، وشموخ الموقف.

تاسعًا:

أن نحمل شعار الجهاد والشهادة، أن نكون المجاهدين الصّادقين في سبيل الله، نجاهد بالكلمة، ونجاهد بالمال، ونجاهد بالرّوح.

---

(١) آل عمران: آية ١٥٩.

(٢) النحل: آية ١٢٥.

(٣) العنكبوت: آية ٤٦.

فلسنا حسينيّين إذا كنّا نحمل الكلمة الخرساء الصامتة (الساكت عن الحقّ شيطان أخرس).

لسنا حسينيّين إذا لم نحرّك الكلمة الداعية إلى الله، الكلمة الناطقة بالحقّ، الكلمة الرافضة للباطل، الكلمة التي تواجه المنكر، الكلمة التي لا تداهن ولا تساوم.

- جاء في الحديث عن النبيّ الأكرم ﷺ:

(إنّ الله عزّ وجلّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل له: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟، قال: الذي لا ينهى عن المنكر)(1).

لسنا حسينيّين إذا لم نحرّك المالَ في خطّ الدعوة والخير والجهاد.

ولسنا حسينيّين إذا لم نحمل الأرواح على الأكف، وإذا لم نكن عشّاقا للشهادة، وإذا لم نسترخص الدم من أجل المبدأ والعقيدة.

السائرون في خطّ الحسين عليه السلام:

- هم الذين يحملون شعار الحسين عليه السلام (لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برمًا)(2).
- هم الذين يحملون شعار الأكبر (لا نبالي أن نموت محقين)(3).
- هم الذين يحملون شعار العباس: (والله إن قطعتم يميني إنّي أحامي أبدًا عن ديني وعن إمام صادق اليقين)(4).
- ويحملون شعارَ القاسم: (الموت فيك يا عم أحلى من العسل).

---

(1) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ١٢٢، كتاب الأمر والنهي، أبواب الأمر والنهي، ب١، ح١٣. (ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام).

(2) ابن شعبة الحرّاني: تحف العقول، ص ٢٤٥، وعن الإمام الحسين عليه السلام في قصار هذه المعاني. (ط٢، ١٤٠٤هـ، جماعة المدرسين، قم – إيران).

(3) الفتال النيسابوري: روضة الواعظين، ص ١٨٠، مجلس في مقتل مسلم بن عقيل. (ط. الشريف الرضي، قم – إيران).

(4) المجلسي: بحار الأنوار ٤٥/ ٤٠، ب٣٧. (ط. مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان).

عاشرًا:

علّمتنا كربلاء أن نكون: المتديّنين الحقيقيّين، أن نكون الذين يملكون بصيرة الدّين والعقيدة، وبصيرة الإيمان والمبدأ، ونقاوة الانتماء والالتزام، وأن لا نكون من أولئك الذين يحملون بلادة الدّين والعقيدة، وغباء الإيمان والمبدأ، وأنّ لا نكون النفعيّين المصلحيّين المتاجرين بالدّين والمساومين على حساب المبدأ.

- قال إمامنا الحسين عليه السلام:

(الناس عبيد الدّنيا، والدّين لعقٌ على ألسنتهم يحُوطونه ما درّت معائشهم فإذا محِّصوا بالبلاء قلّ الديّانون)[1].

الإمام الحسين عليه السلام أوقف حجّه وأعلن الثورة على يزيد ليقول للمسلمين: أيّ قيمةٍ لطواف حول بيت الله ما دام النّاس يطوفون حول قصور الطّغاة والظالمين، وأيّ قيمةٍ لمصافحة وتقبيل الحجر الأسود ما دام الناس يصافحون ويلثمون الأيدي الملوّثة بالجرائم، وأيّ قيمةٍ لركوع وسجود عند مقام إبراهيم ما دام الناس يركعون ويسجدون عند أقدام السلاطين، وأيّ قيمةٍ لسعي وحركة بين الصّفا والمروة ما دام الناس يعيشون الخنوع والركود والجمود والاستسلام والخَوَر والضعف، وأيّ قيمةٍ لتلبيةٍ إذا كان الناس مأسورين لنداءات الطواغيت والمستكبرين، وأيّ قيمةٍ لذكرٍ وتلاوةٍ وعبادةٍ إذا كان الناس يُمجّدون ويُعظّمون ويُؤلّهون الجبابرة والفراعنة.

الحادي عشر:

علّمتنا كربلاء إمّا أن نكون الحسينيّين الذي يُعطون الدّم من أجل المبدأ، أو نكون الزينبيّين الذين يحملون صوت الحسين عليه السلام.

الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء فجّروا الثورة في يوم عاشوراء وكان وقود هذه الثورة دماءهم الطاهرة، وبهذا انتهت المرحلة الأولى من مراحل الثورة وجاء دور المرحلة الثانية، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام وعمّته زينب عليها السلام بطلة

---

(١) ابن شعبة الحرّاني: تحف العقول، ص ٢٤٥، (وعن الإمام الحسين عليه السلام في قصار هذه المعاني). (ط. جماعة المدرسين، قم – إيران)

كربلاء هما المسؤولان عن القيام بمهامّ هذه المرحلة.

ما هي أهم مهامّ المرحلة الثانية لثورة الحسين عليه السلام؟

المهمّة الأولى:

تصدير الثورة من كربلاء إلى كلّ بقعة يمكن أن يصل إليها صوت الثورة الحسينيّة: فالحسين عليه السلام لم يفجّر ثورته لتبقى في كربلاء، لا بدّ من امتداد الثورة، وقد حاول الجهاز الأموي بكلّ الوسائل أن يُطوّق الثورة وأن يحجّمها خوفًا من الامتداد، وخوفًا من يقظة الشعوب، إلّا أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام وعمّته زينب عليها السلام بطلة كربلاء مارسا مهمّة إيصال صوت الثورة، مارسا هذه المهمّة بكلّ كفاءةٍ ونجاحٍ من خلال:

١- التعريف بهويّة الثورة وأهدافها وأبطالها.

٢- التحدّث عن مواقف البطولة لرجال الثورة.

٣- حمل الصورة الأليمة لمجزرة كربلاء.

هكذا كان دور الإمام زين العابدين عليه السلام وعمّته زينب عليها السلام والأسارى، فحملوا صوت الثورة من كربلاء إلى الكوفة، والى الشام، وإلى المدينة، وإلى كلّ مكان رغم محاولات التطويق المفروضة.

المهمّة الثانية:

- استثمار عطاءات الثورة في تحريك الجماهير.
- إثارة مشاعر الجماهير ضدّ الجهاز الأموي المستبد.
- تأنيب المتخاذلين والمنهزمين.

بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام كان أسلوبًا جهاديًّا، وقد ساهم هذا البكاء في:

- شدّ الأمّة عاطفيًّا إلى قضيّة الحسين عليه السلام.
- ربط الأمّة فكريًّا بأهداف الحسين عليه السلام.
- تعميق روح الغضب عند الجماهير ضدّ صانعي جريمة كربلاء.

المهمّة الثالثة:

مواجهة الإعلام الأموي المضادّ لثورة كربلاء:

الإعلام الأموي مارس دورًا كبيرًا ضدّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام..

تشويه هويّة الثورة (حركة تمرّد قام بها فئة من الخوارج، الأسارى خوارج)، هكذا يُضلّل الرأي العام من خلال إعلام أجهزة الأنظمة الحاكمة، هذا الأسلوب من التضليل الإعلامي يمارس في كلّ زمان ضدّ (الثورات الخيّرة) وضدّ (الحركات الإصلاحيّة) وضدّ (الشخصيّات النشطة المجاهدة).

الإعلام الأموي ودوره في تشويه صورة الثورة الحسينيّة:

إعلام الجهاز الأموي ودوره في محاولة تشويه صورة الثورة الحسينيّة، وفي تشويه صورة ثوّار كربلاء وقد تصدّى الإمام زين العابدين عليه السلام، وعمّته زينب بطلة كربلاء عليها السلام، والأسارى، لهذا الإعلام وأيقظوا وعي الجماهير المضلّلة، وكشفوا ألاعيب وزيف الإعلام الأموي.

قصّة الإمام زين العابدين عليه السلام مع الشيخ الكبير:

يُحدّثنا التاريخ أنّ قافلة الأسارى من آل الرسول صلى الله عليه وآله، وفي هذه القافلة الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وزينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام، ونساء وأطفال من آل البيت وهم بقيّة مذبحة كربلاء، هذه القافلة من الأسارى لمّا وصلت إلى الشّام وعند باب دمشق، كانت الجماهير قد ازدحمت في الطرقات، مشدودة بأنظارها إلى القافلة من أسارى الخوارج -هكذا قال الإعلام- وفي نشوة هذا الفرح والابتهاج بانتصارات خليفة المسلمين، في هذا الجو من الاحتفال بالنصر، ووصول هؤلاء الأسارى من الخوارج، يشاهد شيخ كبير طاعن في السن يقترب من قافلة الأسارى وهو يرفع صوته بالدعاء:

(الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد عن رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم)...

وصلت هذه الكلمات إلى سمع الإمام زين العابدين عليه السلام وإلى سمع الحوراء زينب عليها السلام، وإلى أسماع النساء الأسيرات واليتامى من آل محمد عليهم السلام، تصل هذه الكلمات إلى أسماعهم، فتجرح قلوبهم وتتندّى في عيونهم دموع خرسى صامتة لا تملك أن تُعبّر عن آهاتها وتوجّعاتها، فتنخنق في داخل الصدور، لا يُسمح لهم أن يبكوا، وإلّا فالسّياط تلتهب على ظهورهم ووجوههم، كما أنّهم لا يريدون أن يتعرّضوا لذلّ الشماتة، هذا الشيخ الشّامي واحدٌ من ضحايا الإعلام الأموي.

فلمّا سمع الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الكلمات الجارحة الصادرة من هذا الشيخ المسكين الضحيّة توجّه إليه بكلمات تقطر حبًّا وشفقة ورحمة:

- وقال: (يا شيخ هل قرأت القرآن؟)...

وهنا تكون المفاجأة المذهلة لهذا الشيخ هؤلاء خوارج فكيف يعرفون القرآن؟!

- فأجاب الشيخ بكلمات ذاهلة: (وما أنتم والقرآن!).

نعم هكذا قال لهم الإعلام الأموي، أنّ هؤلاء خوارج لا صلة لهم بالقرآن، وإنّما الممثّلون الحقيقيّون للقرآن هم الأمويّون، يزيد بن معاوية هو الممثّل الحقيقي للقرآن! يزيد قاتل الحسين عليه السلام، هادم الكعبة، مبيح المدينة، اللاعب بالقرود، الشارب للخمور، الغارق في المجون والشّهوات، هو ممثّل القرآن -كما يقول الإعلام!

قال بولس سلامه في ملحمته [1] يخاطب المؤذّن:

رافع الصوت داعيًا للفلاح	اخفض الصوت في أذان الصباح
وترفّق بصاحب العرش	مشغولًا عن الله بالقِيان المِلاح
ألف الله أكبر لا تساوي	بين كفّي يزيد نهلة راح

أعاد الإمام زين العابدين عليه السلام السؤال على هذا الشيخ المذهول:

- يا شيخ هل قرأت القرآن؟.
- نعم قرأت القرآن.

---

(١) الأميني: الغدير ١٠/٣٢. (ط٤، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان).

- فقال الإمام: فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [1]؟.
- نعم قد قرأت ذلك...
- قال الإمام: فنحن القربى يا شيخ.

فتندّت دمعة خفيفة في عيني الشيخ المخدوع.

- واصل الإمام أسئلته:

فهل قرأت في بني إسرائيل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [2]؟.

- قد قرأت.
- فنحن القربى يا شيخ.

بدأت الدموع تزدحم في عيني الشيخ المسكين.

- قال الإمام عليه السلام: فهل قرأت هذه الآية:

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ [3]؟.

- قال : نعم.
- فقال له عليّ عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ.
- قال الإمام: فهل قرأت هذه الآية:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [4]؟.

- قد قرأت ذلك.
- قال الإمام عليه السلام: فنحن أهل البيت الذي خصّصنا الله بآية الطهارة يا شيخ.
- [فصرخ الشيخ باكيًا]: بالله إنّكم هم؟ [وظلّ يصرخ وهو يكرّر: أنتم هم أنتم هم].

---

(١) الشورى: آية ٢٣.

(٢) الإسراء: آية ٢٦.

(٣) الأنفال: آية ٤١.

(٤) الأحزاب: آية ٣٣.

■ أجاب الإمام عليه السلام: تالله إنّا لنحن هم من غير شكٍ وحقّ جدّنا صلى الله عليه وآله.

فانفجر الشيخ باكيًا صارخًا: الله أكبر، أبناء رسول الله أسارى، أبناء رسول الله أسارى، واستمرّ يصرخ وهو يردّد هذه الكلمات ويقول: اللهمّ إنّا نبرأ إليك من عدو آل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم من جنٍ وإنس...

■ إلى أن هدأت فورته، فالتفت إلى الإمام زين العابدين عليه السلام بعينٍ مملوءةٍ بالدّموع، والحياء والخجل والانكسار..

- قائلًا: يا ابن رسول الله هل لي من توبة؟

■ نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا.

- فصاح الشيخ: اللهمّ إنّي تائب، اللهمّ إنّي تائب.

وما إن أتمّ هذه الكلمات حتى تلقّفتها أجهزة المخابرات وأجهزة القمع التي لا تستطيع أن ترى إنسانًا واعيًا في صفوف الشعب، فصدر القرار بإعدامه فورًا، وسقط رأس الشيخ ثمنًا لموقفه الجريئ وكلماته الشجاعة[1].

---

(١) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ص ١٠٢. (ط١، ١٤١٢هـ، أنوار الهدى، قم – إيران).

والرواية كما جاءت في المصدر كالتالي: (قال الراوي: وجاء شيخ ودنا من نساء الحسين عليه السلام وعياله وهم في ذلك الموضع فقال الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد عن رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟، قال الشيخ: نعم قد قرأت ذلك. فقال عليّ عليه السلام له: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت في بني إسرائيل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾؟ فقال الشيخ قد قرأت، فقال عليّ بن الحسين فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾؟. قال: نعم، فقال له عليّ عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟. قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال عليّ عليه السلام: فنحن أهل البيت الذي خصّصنا الله بآية الطهارة يا شيخ. قال الراوي: فبقي الشيخ ساكتًا نادمًا على ما تكلّم به وقال: بالله إنّكم هم، فقال عليّ بن الحسين ١: تالله إنّا لنحن هم من غير شكٍّ وحقّ جدّنا ٤. فبكى الشيخ ورمى عمامته ثمّ رفع رأسه إلى السّماء وقال: اللهمّ إنّا نبرأ إليك من عدو آل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم من جن وإنس، ثمّ قال هل لي توبة؟، فقال له: نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال: أنا تائب. فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل.

٦

علمنا الإمام الحسين أن نقول: لا للظّلم، لا للباطل

لقد علّمنا الإمام الحسين عليه السلام أن نقول: لا للظّلم، لا للباطل، لا للانحراف، لا للفساد....

(لا) كلمة تتكوّن من حرفين (اللام والألف) إلّا أنّها تحمل مضمونًا ضخمًا... مضمونًا من الصمود والشموخ والعنفوان...

(لا) التي هزّت عروش الطواغيت هي (لا) التي تحمل الصّفات التالية:

الصفة الأولى:

(لا) التي تنطلق من إيمان وعقيدة ومبدأ... هذه هي (لا المبدئيّة).

كثيرون يقولون (لا) للاستهلاك السِّياسيّ...

كثيرون يقولون (لا) للتضليل والدعاية...

كثيرون يقولون (لا) لأهداف ذاتيّة نفعيّة...

كثيرون يقولون (لا) لخداع الجماهير...

كثيرون يقولون (لا) من منطلقات ضالّة أو من منطلقات منحرفة...

إنّنا نتحدّث هنا عن (لا) المبدئيّة، (لا) الرّبانيّة...

(لا) التي قالها الأنبياء والأولياء، والصلحاء والمجاهدون...

الصفة الثانية:

(لا) التي تحمل وعيًا وبصيرة...

(لا) التي لا تحمل الوعي والبصيرة (لا) غبيّة، ساذجة...

لا قيمة للشّعار إذا حمله أغبياء، لا يفهمون معنى الشّعار، ولا يفهمون أهداف الشّعار...

وعندها ينحرف الشّعار عن معناه، وعندها ينحرف الشّعار عن أهدافه...

وكثيرًا ما استغلت الأنظمة الحاكمة غباء الجماهير، لتمرير أهدافها وأغراضها، وربّما وظّفت الأنظمة لذلك (شعارات دينيّة) أو (شعارات وطنيّة)...

وكثيرًا ما استغلت بعض القوى السِّياسيّة غباء الجماهير، لتحرّكها في اتّجاه أهدافها...

إذا قلنا (لا) فيجب أن نكون على درجةٍ كبيرة من الوعي والبصيرة، وأن لا نكون من الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كلّ ناعق.

الصفة الثالثة:

(لا) التي تجسّد (الالتزام والاستقامة)...

الذين يحملون الشعارات صنفان:

صنف يجسّدون الشّعار عمليًّا، وهم الذين عبّر عنهم القرآن ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١].

وصنفٌ آخر لا يجسّدون الشّعار عمليًّا وهم الذين عنتهم الآية الكريمة ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٢].

فحينما نقول (لا للظّلم) فيجب أن لا نُمارس أيّ شكلٍ من أشكال الظّلم في حياتنا..

---

(١) فصّلت: آية ٣٠.

(٢) الصّف: الآيتان ٢ - ٣.

وحينما نقول (لا للباطل) فيجب أن لا نُمارس أيّ شكلٍ من أشكال الباطل في حياتنا...

وحينما نقول (لا للانحراف) فيجب أن لا نُمارس أيّ شكلٍ من أشكال الانحراف في حياتنا...

وحينما نقول (لا للفساد) فيجب أن لا نُمارس أيّ شكلٍ من أشكال الفساد في حياتنا...

الصفة الرابعة:

(لا) التي تحمل الثّبات والصمود...
كثيرون يقولون (لا) ولكنّهم ينهزمون عند أول مواجهة...
وآخرون ينهزمون في منتصف الطريق...
وصنف ثالث ينهزمون في آخر الطريق...
هؤلاء قالوا (لا) ولكنّهم لا يملكون الثّبات والصمود...
إنّهم يحملون روح الانهزام...
يسقطون أمام حرب الدعايات الكاذبة...
يسقطون أمام الإغراءات والمساومات...
يسقطون أمام المحاصرات الأمنيّة والسّياسيّة...
يسقطون أمام أساليب الشدّة والعنف...

الصفة الخامسة:

(لا) التي تحمل روح الشّهادة...
وهنا قمّة العطاء والتضحية...

التاريخ حافلٌ بالكثير الكثير من الشواهد لأولئك الذين أعطَوا دماءهم من أجل كلمة (لا)، وكانوا يملكون كلّ البصيرة حينما أعطوا الدّماء، ربّما يُعطي البعض دمه ولكن على غير بصيرة، وعلى غير بيّنة من دينه، إنّه دمٌ يذهب هدرًا...

فعلى المؤمن حينما يعطي الدم، حينما يتحمّل العناء أن يكون على بصيرةٍ من دينه...

هذه أمثلة من تاريخنا الولائي تُعطي نماذج رائعة لأولئك الذين أعطوا دماءهم من أجل كلمة (لا) المبدئيّة:

- **رشيد الهَجَري:**

■ قال له جلاوزة النظام الأموي: تخلّى عن خطّ عليّ بن أبي طالب...

- قال لهم بكلّ شموخ: لا لن أتخلّى..

■ قالوا له: نقتلك شرّ قتلة..

- قال لهم: لا لن أتخلّى افعلوا ما تشاؤون..

■ قطعوا يديه ورجليه...

- وبقي يقول: لا لن أتخلّى...

قطعوا لسانه، صلبوه، شنقوه، وهو يردّد في قلبه: لا لن أتخلّى عن ولاء أمير المؤمنين...

- **ميثم التمّار:**

■ قال له أمير المؤمنين: كيف بك إذا دعاك بنو أميّة للبراءة منّي؟

- قال ميثم: لا والله لا أبرأ منك.

■ قال له أمير المؤمنين: إذًا والله يقتلوك ويصلبوك.

- قال: أصبر فذاك في الله قليل.

وكان ينتظر ذلك اليوم بلهفةٍ وشوق... وجاء ذلك اليوم فأحضره جلاوزة النظام

■ قالوا له: تبرّأ من عليّ بن أبي طالب...

- قال بكلّ صمود: لا لن أتبرّأ...

أمروا بقطع يديه ورجليه...

ثمّ صلبوه على جذع نخلة... فتجمهر الناس لرؤيته، فأخذ يصرخ ويتحدّث بفضائل أمير المؤمنين وهو مصلوب، حاولوا إسكاته ولكن ظلّ يواصل جهاده وهو يقول: لا لن أتبرّأ...

فطعنوه بحربةٍ، وسقط شهيد الولاء.

- **صيفي بن فسيل:**

أحضروه عند زياد بن أبيه..

- ■ قال له: ما قولك في عليّ؟.
- - قال صيفي: أحسن قولٍ أنا قائله في عبدٍ من عباد الله المؤمنين.
- ■ قال زياد: اضربوه حتى يلصق بالأرض، فضربوه حتى لزم الأرض.
- - وعندها قال له زياد: ما تقول في عليّ؟.
- ■ قال صيفي: والله لو شرّحتني بالموسى والمدى ما قلت إلّا ما سمعت مني.
- - قال زياد: لتلعنه أو لأضربنّ عنقك.
- ■ قال: إذًا والله تضربها قبل ذلك.

وضربت عنقه...



ثورة الإمام الحسين عليه السلام والامتحان الصعب لمواقف الأمّة

ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت الامتحان الصعب لمواقف الأمّة:

١- فكيف وقفت الأمّة من ثورة الإمام الحسين عليه السلام؟

٢- هل وقفت مع الثورة؟

٣- هل وقفت ضدّ الثورة؟

الأمّة التي كانت تصلّي وتصوم وتحجّ وتحمل شعار الإسلام، وشعار القرآن، هل نجحت وهي تقف أمام الامتحان الصعب؟

- قال الله تعالى: ﴿الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾[1].

ليس المهمّ أن نحمل الشّعارات شعارات الدين، وشعارات السّياسة، وشعارات الثقافة، المهمّ كيف نكون صادقين مع هذه الشّعارات؟ وكيف نحوّل الشعارات إلى واقع؟، فما أكثر المتاجرين بالشّعارات من أجل خداع الجماهير، فيجب على الجماهير أن تملك الوعي والبصيرة، وهي تتعامل مع الشّعارات المطروحة في الساحة؟

نعم كانت الأمّة في عصر الإمام الحسين عليه السلام في حاجةٍ إلى امتحان، فكانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي الامتحان الصعب، وهي الاختبار العسير...

---

(١) العنكبوت: الآيات ١ – ٣.

فكيف اجتازت الأمّة هذا الامتحان الصعب وهذا الاختبار العسير؟

الأمّة كانت بين خيارين:

أ -الخيار الأول: الوقوف مع الإمام الحسين عليه السلام:

وماذا يعني هذا الخيار؟

إنّه خيار الثورة والجهاد والمقاومة، وخيار الموت والشّهادة.

وما هي نتيجة هذا الخيار؟

نتيجة هذا الخيار الفوز بالجنّة والنعيم الأبدي.

ب -الخيار الثاني: الوقوف مع يزيد بن معاوية:

وماذا يعني هذا الخيار؟

خيار المشاركة في قتل الإمام الحسين عليه السلام، وخيار الدنيا، والسّلامة، والأموال والمناصب.

وما هي نتيجة هذا الخيار؟

نتيجة هذا الخيار العار ودخول النّار والعذاب الأبدي.

هكذا عاشت الأمّة صراع الخيارين: خيار الجنّة، وخيار النّار، وفي كلّ عصر وزمان يوجد هذا الصراع بين الخيارين خيار الجنّة، وخيار النّار.

خيار الانتماء إلى خطّ الله تعالى، وخطّ أولياء الله تعالى، وخطّ القيادات الربّانيّة الداعية إلى الله تعالى.

وخيار الانتماء إلى خطّ الشيطان، وخطّ أولياء الشيطان، وخطّ القيادات التي تدعو إلى الشيطان.

فعلى الإنسان في زحمة صراع الخيارات أن يملك الوعي والبصيرة والشجاعة والإرادة في تحديد الخيار الذي يقوده إلى الجنّة، ورفض الخيار الذي يقوده إلى النّار.

فأيّ قيمة لدنيا وأموال ومناصب إذا كان المآل إلى النّار والعذاب والخسران الأبدي.

وما خسر من فقد الدنيا كلّ الدنيا إذا كان المآل الجنّة والنعيم والفوز الأبدي.

كيف تعاملت الأمّة في عصر الإمام الحسين عليه السلام مع هذين الخيارين؟

أ- أمّا الخيار الأول: خيار الحسين عليه السلام والثورة والشهادة والجنّة:

فكان نصيبه عددًا قليلًا جدًا من الأمّة، ورغم أنّ أصحاب الخيار الأول كانوا يشكّلون رقمًا صغيرًا جدًّا، إلّا أنّهم استطاعوا أن يكونوا (الرقم الأصعب) في كلّ مسار التاريخ، واستطاعوا أن يكونوا (الرقم الأقوى) في كلّ مواقف التاريخ.

إنهّ الدرس الكبير لهذه الأمّة، فإذا أرادت أن تستعيد عزّتها وقوّتها وأصالتها، في هذا العصر الذي نواجه فيه مؤامرات الاستكبار العالمي، وغطرسة الصهاينة المجرمين، فعليها أن تعتمد خيار الإمام الحسين عليه السلام، وخيار أنصار الحسين عليه السلام، خيار الجهاد، خيار الشّهادة.

المسلمون اليوم يربو عددهم على المليار، فلماذا يعيشون الصَّغار والذّل أمام غطرسة الصهاينة الحاقدين؟

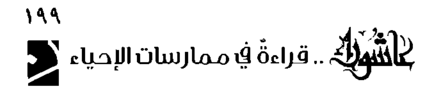
لأنّهم تركوا خيار الحسين عليه السلام وخيار الجهاد وخيار الشّهادة.

- جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

(يوشِك أن تداعى عليكم الأمم من كلِّ أفقٍ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يارسول الله صلى الله عليه وآله فمِن قلّة بنا يؤمئذٍ؟. قال: لا، ولكنّكم غُثاء كغُثاء السيل، يُجعل الوهن في قلوبكم، ويُنزع من قلوب أعدائكم لحبّكم الدنيا وكراهتِكم الموت)[1].

نعم الذين يُعيدون لهذه الأمّة أصالتها وعزّها هم أبطال الجهاد والمقاومة، وأبطال الشهادة والاستشهاد في فلسطين، وفي جنوب لبنان، الذين أسقطوا كبرياء

(١) المتّقي الهندي: كنز العمّال ١١/ ١٣٢، ح ٣٠٩١٦.



اليهـود، وأسـقطوا أسـطورة الجيش الـذي لا يُقهر، هـذا هو الخيـار وكلّ الخيارات الأخـرى فهي خيارات زائفة، فيجـب أن تقف أنظمة الحكم العربيّة والإسـلاميّة إلى جانـب هذا الخيار، ويجب أن تقف شـعوب الأمّة العربيّة والإسـلاميّة إلى جانب هذا الخيـار، واهمون الذين يفكّرون بأنّ الصـهاينة يمكن أن يفهمـوا لغةً غير لغة الجهاد والمقاومة، وغير لغة الدم والشّهادة والاستشهاد.

إذن الخيـار الأول للأمّـة في عصـر الإمام الحسـين عليه السلام كان خيار القلّـة التي آمنت بأهداف الثورة الحسـينيّة وأعطت الدم عنوانًا من أجل أن يبقى الإسـلام، ومن أجل أن يبقى القرآن.

ب - وأمّا الخيـار الثـاني: خيار يزيد بـن معاوية، خيار الدنيـا والسلطة، وخيار النّار:

فقد تورّطت فيه الكثرة الكاثرة من الأمّة.

ويمكن أن نصنّف أصحاب الخيار الثاني إلى عدّة أصناف:

١ - الصنف الأول: النظام وعناصر النظام:

لا شكّ أنّ المسؤول الأول عن مجزرة كربلاء هو رأس النظام يزيد بن معاوية، وإن كانت هناك محاولات للدفاع عن يزيد بن معاوية.

وهذه المحاولات تتّجه اتجاهين:

الاتّجاه الأول:

إعطـاء المبرّر الشـرعي لقتل الإمام الحسـين عليه السلام، باعتباره خـرج على خليفة المسلمين، وخرج على جماعة المسلمين، وقد زعموا أن النبيّ صلى الله عليه وآله أمر بقتل من يخرج علـى الجماعـة كائنًا من كان، هكذا ضـلّلوا الأمّـة بأحاديث مكذوبـة وبفتاوى مزوّرة خدمة لأنظمة الحكم والسلطة.

الاتّجاه الثاني:

محاولة تبرئة يزيد بن معاوية من دم الإمام الحسين عليه السلام، وساقوا أدلّة واهية جدًا في هذا الاتّجاه، إنّ الواقع التاريخي يُثبت بشكل قاطع أنّ يزيد بن معاوية هو المسؤول الأول عن هذه الجريمة الكبرى في التاريخ.

وقد شارك في هذه الجريمة عددٌ كبير من عناصر النظام، أمثال عبيد الله بن زياد والي الأمويّين في الكوفة، وعمر بن سعد قائد الجيش الذي خرج لحرب الإمام الحسين عليه السلام وجميع أركان الجيش.

وهكذا تتورّط عناصر أنظمة الحكم في أكثر الجرائم التي تُنفّذ ضدّ الشعوب، من الممكن أن تمارس عناصر في هذا النظام أو ذاك جرائم في حقّ الناس بعيدًا عن معرفة رأس النظام في هذا البلد أو ذاك، إلّا أنّ مسؤوليّة الحاكم العادل تفرض عليه أن يُلاحق هذه العناصر العابثة، وأن يُحاسب كلّ ممارسات الظّلم والفساد في جميع الأجهزة التنفيذيّة للسّلطة.

٢- الصنف الثاني: عملاء النظام من عبّاد المال والمناصب:

أمثال (شمر بن ذي الجوشن الضبابي) الذي قطع رأس الإمام الحسين عليه السلام، وقام بأخسّ الأدوار في كربلاء، و(شبث بن ربعي) الذي ساهم بدورٍ قذرٍ في يوم عاشوراء، و(مرّة بن منقذ العبدي) الذي قتل عليًّا الأكبر، و(عمر بن سعد الأزدي) الذي قتل القاسم بن الحسن عليه السلام، و(حرملة بن كاهل الأسدي) وهو الذي رمى عبد الله بن الحسين الطفل الرضيع بسهم فذبحه في حجر أبيه، و(بحر بن كعب التميمي) الذي سلب سراويل الإمام الحسين عليه السلام، و(حصين بن تميم) وقد جاء في الرواية أنّ الحسين عليه السلام لما اشتدّ به العطش دنا من الماء ليشرب منه، فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه، فجعل الإمام الحسين عليه السلام يتلقّى الدم من فمه، ويرمي به إلى الماء، ثمّ حمد الله وأثنى عليه ثمّ جمع يديه فقال: (اللهمّ أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تذر على الأرض منهم أحدًا)[١].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٦٤٥، أحداث السنة ٦١هجريّة. (ط. مؤسسة الأعلمي)

وضمن هذه المجموعة من المجرمين القتلة (سنان بن أنس) الذي طعن الإمام الحسين عليه السلام بالرمح فوقع على ثرى كربلاء، وكانوا لا يدنو أحد من الحسين عليه السلام إلّا شدّ عليه مخافة أن يسبقه أحد إلى ذبح الحسين عليه السلام ...

والقائمة بأسماء هؤلاء العملاء الذين باعوا دينهم وضمائرهم الممسوخة للنظام الحاكم طمعًا في الجاه والمال والمناصب كبيرة وكبيرة، وهذه النماذج من عبّاد المال والمناصب ومن أعوان الظلمة تتكرّر في كلّ عصر.

وقد شدّدت النصوص الدينيّة على حرمة التعاون مع الظالمين:

- وجاء في حديث آخر أنّ الإمام الكاظم عليه السلام قال لصفوان الجمّال:

«يا صفوان كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئًا واحدًا، قلت: جعلت فداك أيّ شيء؟ قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل – يعني هارون – قلت: والله ما أكريته أشرًا ولا بطرًا ولا للصيد ولا للهو، ولكنّي أكريته لهذا الطريق –يعني طريق مكة –ولا أتولّاه بنفسي، ولكنّي أبعث معه غلماني.

فقال لي: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: فقال لي: أتحبّ بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم، قال: من أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النّار»[1].

- وجاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«تُحشر عشرة أصناف من أمّتي أشتاتًا قد ميّزهم الله تعالى من المسلمين وبدّل صورهم، فبعضهم على صورة القردة، و بعضهم على صورة الخنازير، ... ، وبعضهم مصلّبون على جذوع من نار،... فأمّا الذين على صورة القردة فالقتات[2] من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت،....،

---

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٧/ ١٨٢، كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب به، ب٤٢، ح١٧. (ط. مؤسسة آل البيت عليهم السلام)

(٢) القتّات: النمّام المزوّر، من قتّ الحديث: نمّه وأشاعه بين الناس، ومنه (يقتّ الأحاديث) أي ينمّها. وفيه: من بلغ بعض الناس ما سمع من بعض آخر منهم فهو القتّات. وقيل: القتّات هو الذي يتسمّع على القوم وهم لا يعلمون فينمّ حديثهم. مجمع البحرين : ج ٢، ص ٢١٤، مادة (قتت).

والمصلّبون على جذوع من نار فالسّعاة بالنّاس إلى السّلطان...»[1].

- ونقل عن بعض الأكابر أن رجلًا جاءه فقال:

«إنّي رجل أخيط للسلطان ثيابه، فهل تراني داخلًا بذلك في أعوان الظلمة؟ فقال له: المعين لهم من يبيعك الإبر والخيوط، أمّا أنت فمن الظلمة أنفسهم»[2].

وفي الوقت الذي تُشدّد النصوص على حرمة التعاون مع الظالمين، نجد الأئمّة عليهم السلام يسمحون لأمثال عليّ بن يقطين أن يبقى في داخل جهاز الحكم من أجل حماية قضايا المؤمنين، فالمسألة خاضعة لرؤيةٍ دقيقة جدًا، في ما هو الشخص المؤهّل لهذا التواجد، وما هي الظروف التي تفرض هذا التواجد، وعلى كلّ حال فيُشترط في هذا الإنسان المؤهّل للتواجد في داخل النظام أن يملك مستوى إيمانيًّا قويًّا يحميه من السقوط أمام إغراءات النظام وإرهاباته، وأن يملك القدرة لممارسة الدور الحقيقيّ في خدمة قضايا الناس، وإلّا فهو محسوب من أعوان الظّلمة.

٣-الصنف الثالث: علماء البلاط المستأجرون من قبل النظام الحاكم:

وكانوا يبرّرون للنظام مواقفه وانحرافاته أمثال (شريح القاضي) الذي أصدر الفتوى بمشروعيّة قتل الإمام الحسين عليه السلام.

وهذا الصنف من الناس هم أخطر النماذج لأنّهم يوظّفون الدين توظيفًا مزوّرًا في خدمة الحكّام والسلاطين، ويمارسون دورًا خطيرًا في تضليل الجماهير.

من هم علماء البلاط؟

علماء البلاط مجموعة من شيوخ الدّين والحديث والوعظ، يستأجرهم النظام الحاكم من أجل خدمة أهدافه:

١- إعطاء الشرعيّة للسلطة ونظام الحكم.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٧/ ٨٩، أبواب المعاد، ب٥. (ط. مؤسسة الوفاء)

(٢) الأنصاري: المكاسب المحرّمة ١/ ١٣٥، (ط١، ١٤١٥هـ ، المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئويّة الثانيّة لميلاد الشيخ الأنصاري، قم – إيران)

٢-تخدير الجماهير وشلّ روح الثورة.

٣-إسقاط القوى المعارضة للنظام.

٤-التبرير لانحرافات الحكّام.

ونستعين هنا ببعض الشواهد لهذا النمط من علماء البلاط في العهد الأمويّ والعهد العباسي:

الشاهد الأول:

تُحدّثنا مصادر التاريخ أنّ معاوية بن أبي سفيان بذل للصحابي (سمرة بن جندب) أربعمائة ألف درهم على أن يروي أنّ هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[1]، قد نزلت في عليّ بن أبي طالب.

وأنّ الآية الثانية قد نزلت في ابن ملجم وهي قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ﴾[2]، فروى ذلك.

(اقرأ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٦٣).

الشاهد الثاني:

(شُريح القاضي) الذي أصدر فتواه المعروفة بمشروعيّة قتل الإمام الحسين عليه السلام، باعتباره خرج على الجماعة وشقّ عصا المسلمين، وقد جاءت الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله بقتل من يخرج على الجماعة كائنًا من كان، وهكذا تُوظّف النصوص الدينيّة توظيفًا منحرفًا، ومن أجل إرضاء السلطان.

الشاهد الثالث:

جاء في تاريخ بغداد أنّ (غياث بن إبراهيم) دخل على المهديّ العباسي، وكان

---

(١) البقرة: الآيتان ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٢) البقرة: آية ٢٠٧.

المهـديّ يحـبّ الحمام فطلب منه المهـديّ أن يحدّثه، فروى حديثًا عـن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: (لا سبق إلّا في حافر أو نصل أو جناح)، فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم، فلمّا قام غياث، قال المهديّ: أشـهد أنّ قفاك قفا كذّاب على رسـول الله (صـلّى الله عليه [وآله] وسـلّم)، ما قال رسول الله (صـلّى الله عليه [وآله] وسلّم) جناح، ولكنّه أراد أن يتقرّب إليّ)(١).

الحـكّام يعلمون تمامًا بكذب هؤلاء المتزلّفـين إلى البلاطات الحاكمة رغبة في الحصول على المكاسب الماديّة، ولكنّهم يستفيدون منهم للدعاية وتضليل الجماهير.

الشاهد الرابع:

دخل أبو البختري (وهب بن وهب) قاضي بغداد على هارون الرشيد، وهارون يطيّر الحمام، فقال: هل تحفظ في هذا شيئًا؟، فقال: نعم حدّثني هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة أنّ النبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) كان يطيّر الحمام(٢).

الشاهد الخامس:

روى شاه بن شير -كان معروفًا بالوضع في الدولة العباسيّة- عن جابر بن عبد الله مرفوعًا: (أتاني جبرئيل وعليه قباء أسود، ومنطقة، وخنجر، فقلت: ما هذا؟

فقال: يأتي زمان يكون لباسهم كهذا، قلت: يا جبرئيل من يكون رئيسهم؟، قال من ولد العباس)(٣).

إنّ ظاهـرة (علمـاء البـلاط) تتكـرّر في كلّ زمان، فمـن أقوى الوسـائل التي تعتمدها الأنظمة الحاكمة هو توظيف الدّين وعلماء الدّين في خدمة أهداف السّلطة، وما أكثر أولئك الذين اشتروا مرضاة الحكّام بغضب الله تعالى، وهؤلاء سوف يتبوؤون مقاعدهم من النّار.

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢/ ٣٢١، باب الغين (غياث بن إبراهيم)، رقم ٦٧٦٧. (ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان).

(٢) المصدر نفسه: ج١٣، ص٤٥٨، باب الواو (وهب بن وهب).

(٣) ابن حجر: لسان الميزان ١/ ١٩٦. (ط٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان).

أنـا لا أريـد أن أقول لا يجوز لعلماء الدّين أن يتواصـلوا مـع الأنظمة الحاكمة، وإنّما أريد أن أقول أن لا توظّفهم الأنظمة في خدمة أهدافها غير المشروعة.

أما إذا كان التواصـل من أجل إصــلاح الأنظمة، ونصيحة الحكّام، وقول كلمة الحقّ، والدفاع عن حقوق الشعوب، وإيصال أصوات المحرومين، وخدمة قضايا الأمّة، فهذا من مسـؤوليّات العلماء الصـادقين المخلصين، وسوف يُحاسَبون أمام الله تعالى لو تخلّوا عنها.

فما أحوج الأمّة إلى العلماء الصّـادقين الذين يملكون الجرأة والشجاعة في أن يقولوا الكلمة في مواجهة الظّلم والباطل والفساد.

إننّا في هذا المناخ السِّياسيّ المنفتح الذي تعيشه مملكة البحرين، ندعو بقوّة أن يكون لعلماء الدين دورهم الواضـح والجريئ على كلّ المسـتويات الروحيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والسِّياسيّة.

إنّ الأصـوات النشاز التي ترتفع هنا أو هناك تطالب بتجميد دور الدّين، ودور علماء الدّين في الشّـأن الثقافي والشّـأن الاجتماعي والشّـأن السِّياسـيّ، هي أصـوات مشبوهة لا تريد لهذا البلد أو لهذا الشعب الخير والصلاح.

أثاروها ضـجّة لأنّ علماء الدّين قالوا كلمتهـم في انتخابات البلديّات، من حقّ كلّ القـوى، ومن حقّ كلّ الناس أن يقولوا كلمتهم في الانتخابات، وأمّا إذا كانت الكلمة لعلماء الدّين، فهذا تدخل خطير جدًا يهدّد مسار الديمقراطيّة في هذا البلد، ويستثير الطائفيّة والمذهبيّة.

لهذه الأقلام أن تقول ما تشاء ما دامت تملك المساحات المفتوحة على صفحات الجرائد المحليّة، إلّا أنّ جماهير هذا الشعب المؤمن بدينة، وبإسلامه، وبقيَمه وبعلمائه، سوف تُصرّ على التعاطي مع الدّين، ومع علماء الدّين المخلصين، في كلّ القضايا وعلى كلّ المستويات.

وسـوف يُصـرّ علماء الدّين على أن يمارسوا مسـؤوليّاتهم الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّـة والسِّياسـيّة، وهم واثقـون كلّ الثقة أنّ الجماهـير المؤمنة، هي القاعدة الصلبة التي يعتمدها العلماء في كلّ تحركاتهم وفي كلّ مواقفهم.

الصنف الرابع: المتديّنون الأغبياء:

هذا النمط من الناس لم يقفوا مع يزيد، لكنّهم خذلوا الإمام الحسين عليه السلام،ولهذا كان موقفهم في صالح الخيار الثاني خيار الوقوف ضدّ الإمام الحسين عليه السلام.

في عصر الإمام الحسين عليه السلام وجدت بعض الشخصيّات التي كانت تحمل هذا الشعار: (أمّا أنا فعليّ بلزوم المحراب وقراءة القرآن)، وليعبث يزيد بن معاوية بكلّ الحرمات والمقدّسات، وليصادر كلّ الحقوق والكرامات، وليرتكب كلّ الجرائم والموبقات، يهدم الكعبة، يستبيح مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، يقتل الحسين بن عليّ عليه السلام.

المهم أنّني أحتفظ بمحرابي وقرآني، نعم ليمارس الظالمون ما يشاؤون ما داموا لا يتعرّضون لمحرابي وقرآني، حتى لو هدموا كلّ المحاريب، وحتى لو مزّقوا كلّ المصاحف.

المحراب والقرآن اللذان لا يشكّلان خطرًا على الأنظمة الجائرة:

هذا المحراب تباركه الأنظمة، وهذا القرآن تحميه الأنظمة، آلاف المساجد والمحاريب يُشيّدها ويبنيها السلاطين ويؤيدونها ويباركونها، لأنّها لا تواجه ظلمهم وانحرافاتهم، بل تبقى صامتة، إن لم تكن تبرّر للأنظمة جورها وظلمها وانحرافها.

القرآن يُتلى في الإذاعات والمحطّات ذلك تباركه الأنظمة، لأنّ هذه التلاوة راكدة وجامدة وفارغة لا تغيّر شيئًا.

أمّا إذا تحوّل المحراب والقرآن إلى قوّة ترهب الظالمين فإنّه محراب يجب أن يُحاصر، وقرآن يجب أن يُحاصر، يجب أن يوضع في قائمة الإرهاب، المحراب الذي يرتفع منه شعار (الله أكبر) بصدقٍ ووعي يجب أن يُوضع في قائمة العنف والإرهاب والتطرّف، والقرآن الذي يُتلى بصدقٍ ووعي يجب أن يُوضع في قائمة العنف والإرهاب والتطرّف.

المحراب الواعي والتلاوة الواعية:

المحـراب الواعـي والتـلاوة الواعية، حاضـران في كلّ قضـايا الأمّـة الثقافيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والثوريّة، المحراب كان منطلق الثورة في إيران، ومن هنا نفهم لمـاذا الرعب والهلع عند هؤلاء الذيـن لا يريدون للمحراب أن يقول كلمته، ولا يريدون للقرآن أن يقول كلمته.

إنّنـا نؤكّـد أنّه يجب أن يمارس المحـراب رسـالته، وإلّا كان القابع في المحراب شيطانًا أخرسًا:

- (الساكت عن الحقّ شيطان أخرس)[1].
- ورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال:

(إنّ الله عزّ وجلّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل له: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟، قال: الذي لا ينهى عن المنكر)[2].

- قـال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[3].

- وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

(أوحى الله عزّ وجلّ إلى شـعيب النبيّ عليه السلام: أنّي معذّب من قومك مائة ألف، أربعين ألفًا من شـرارهم، وسـتّين ألفًا من خيارهم، فقال عليه السلام: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي)[4].

---

(١) سيد سابق: فقه السنّة ٢/ ٦١١. (ط٣، ١٩٧٧م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان)

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ١٢٢، كتاب الأمر والنهي، أبواب الأمر والنهي، ب١، ح١٣. (ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام)

(٣) المائدة: الآيتان ٧٨ — ٧٩.

(٤) الكليني: الكافي ٥/ ٥٨، كتاب الجهاد، ب٢٨ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ح١. (ط. دار الأضواء)

الصنف الخامس: الهمج الرعاع:

من هم الهمج الرعاع؟

هم الذين لا يملكون الوعي والبصيرة، ولذلك تتقاذفهم الاتّجاهات والتيّارات، وينساقون وراء كلّ شعار.

وحسب ما قال عنهم أمير المؤمنين عليه السلام: (وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق)[1].

وحسب ما وصفهم النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّهم (الإمّعات) حيث قال في حديث له: (لا تكونوا إمّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنّا وإن أساءوا أسأنا)[2].

وأما القرآن فقد عبّر عنهم بأنّهم الذين يخوضون مع الخائضين.

- قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ، فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ، عَنِ الْمُجْرِمِينَ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ، فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[3].

غياب البصيرة:

إنّ غياب البصيرة يقود إلى التيه والانحراف والضّلال..

- جاء في الحديث: (العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير إلّا بعدًا)[4].

والتاريخ حافل بشواهد كثيرة، الخوارج كانوا يعبدون الله على غير بصيرة، عُرفوا بأصحاب الجباه السّود، كانوا يُحيون الليل بالعبادة وتلاوة القرآن ولكنّهم ما كانوا يملكون البصيرة.

---

(١) الصّدوق: الخصال، ص١٨٦، ح٢٥٧. (ط، ١٤٠٣هـ، جماعة المدرسين، قم – إيران)

(٢) المتّقي الهندي: كنز العمّال ١٥/ ٧٢٢، ح ٤٣٠٤٥. (ط ١٩٨٩، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان)

(٣) المدّثر: الآيات ٣٨ – ٤٨.

(٤) الكليني: الكافي ١/ ٩٤، كتاب فضل العلم، ب١٢، ح١. (ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، دار الأضواء، بيروت – لبنان).

- تصوّروا كانوا يستشكلون من تناول (تمرة) اقتطفها أحدهم من بستان وهم في طريقهم إلى النّهروان.
- كانوا يستشكلون في قتل خنزير، صادفوه في الطريق فضربه أحدهم بسيفه.
- ولكنّهم يمرّ بهم (عبد الله بن الخبّاب) الصحابيّ الجليل، ومعه زوجته وكانت حامل فيقتلونه ويبقرون بطن زوجته.
- ولكنّهم يخرجون لحرب عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله: (حربك حربي وسلمك سلمي)[1]، وقال عنه: (أنت منّي بمنزلة هارون من موسى)[2]، وقال... وقال...، هكذا يصنع غياب البصيرة.

يأتي إنسانٌ من أهل القرآن يسأل ابن عباس عن دم البعوضة، فيقول له ابن عباس: تقتلون الحسين عليه السلام وتسألون عن دم البعوضة.

فما أكثر هذا النّمط من الناس في كلّ عصر وفي كلّ زمان.

إنّ ظاهرة الهمج الرعاع موجودة في كلّ الأعصر والأزمنة، وفي كلّ المجتمعات.

الأنظمة السياسيّة تستغّل غباء الجمهور:

إنّ الجماهير الغبيّة تُشكّل -دائمًا- السند للأنظمة الجائرة، فغالبًا ما تستغلّ هذه الأنظمة غباء الجمهور وتقوده في الاتّجاه الذي يخدم أهداف السّلطة، ومصالح النظام، وكثيرًا ما تكون هذه الجماهير ضحيّة الإعلام المُضلّل.

أذكر لكم أمثلة من التاريخ، وأمثلة التاريخ تتكرّر في كلّ عصر:

- السلطة الأمويّة أصدرت أمرًا بلزوم لعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام على المنابر..

أ- فانطلقوا يلعنون عليًّا عليه السلام على المنابر حتى بلغت المنابر التي لُعن عليها الإمام عليّ عليه السلام أكثر من سبعين ألف منبر.

---

(١) الصّدوق: الأمالي، ص ١٥٦، المجلس ٢١، ح١. (ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة البعثة)

(٢) الكليني: الكافي ٨/ ٧٥، روضة الكافي، ح٨٠.

ب- كان بعضهم يلعن الإمام في الغداة (٧٠ مرة) وفي العشي (٧٠ مرة).

ج- بعضهم يضيف إلى سبّ عليّ عليه السلام، سبّ الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وأمّهما فاطمة عليها السلام.

- قال عبد الله بن هاني الكلبي وهو يُعدّد مناقب قبيلته أمام الحجّاج:

الكلبي: لنا مناقب ليست لأحدٍ من العرب.

الحجّاج: ما هي؟

الكلبي: ما سُبّ أمير المؤمنين عبد الملك في نادٍ لنا قطّ.

الحجّاج: منقبة والله..

الكلبي: وشهد منّا صفّين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلًا، وما شهد منّا مع أبي تراب إلّا رجل واحد.

لحجّاج: منقبة والله..

الكلبي: ومنّا نسوة نذرن إن قتل الحسين بن عليّ أن تنحر كلّ واحدة عشر قلائص، ففعلن.

الحجّاج: منقبة والله..

الكلبي: وما منّا رجل عُرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلّا فعل، وزاد ابنيه حسنًا وحسينًا، وأمُّهما فاطمة.

الحجّاج: منقبة والله[1].

أ- وقد أجمع أهل حمص في زمن مّا أنّ الجمعة لا تصحّ بغير لعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ب- وحينما أبطل عمر بن عبد العزيز هذه البدعة وجاء إلى المسجد تصايح الناس من كلّ جانب: السُّنة السُّنة يا أمير المؤمنين.

هكذا أصبح لعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام سُنة دينيّة عند هؤلاء الهمج الرعاع، الذين يطيعون ويُنفّذون أوامر الحاكم بكلّ غباء.

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤/ ٦١، فصل فيما روي من سب معاوية وحزبه لعلي. (ط٢. ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان)

- ويحدّثنا التاريخ[1] أنّ معاوية صلّى بالناس عند سيرهم إلى صفّين، صلاة الجمعة في يوم الأربعاء ولم يتفوّه أحدٌ من أهل الشّام بحرفٍ واحد هكذا الطاعة العمياء.

- ويحدّثنا التاريخ[2] أنّ رجلًا من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق، فتعلّق به رجل من أهل الشّام فقال: هذه ناقتي أُخذت منّي بصفّين، فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الشّامي خمسين رجلًا بيّنة يشهدون أنّها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إلى الشّامي، فقال الكوفي: أصلحك الله إنّه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، وبعد تفرّقهم دسّ إلى الكوفي وأحضره وسأله عن بعيره، فدفع إليه ضعفه وبرّه وأحسن إليه وقال له: أبلغ عليًّا أنّي أقابله بمائة ألف ما فيهم من يُفرّق بين النّاقة والجمل.

هذا هو الجمهور الغبيّ التي تحرّكه الأنظمة وتقوده كما تريد، ولذلك تُصرّ الكثير من الأنظمة السّياسيّة على تغييب الوعي الأصيل عند الجماهير، وأن تبقى هذه الجماهير مأسورة لوعي مزيّف.

من الضّروري أن تكون الجماهير المؤمنة واعية بصيرة ناضجة، حتى لا تُستغفل ولا تُخدع ولا تُضلّل.

نعود إلى قضيّة كربلاء..

إنّ الكتل البشريّة العمياء قد خرجت إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام، وكان الإمام عليه السلام في يوم عاشوراء يتألّم لهؤلاء ويبكي، وهو يقف أمام هذه الحشود التائهة المضلّلة التي ازدحمت لقتاله.

قيل له: ممّا بكاؤك؟ قال عليه السلام أبكي لهؤلاء القوم يدخلون النّار بسببي[3].

---

(١) الأميني: الغدير ١٠/ ١٩٦، صلاة معاوية الجمعة يوم الأربعاء.

(٢) الأميني: الغدير ١٠/ ١٩٥.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٩٦.

وقد حاول أن يستنقذهم من النّار، بكلّ الوسائل، حاول أن يستثير ضمائرهم، ولكنّ الشيطان قد طبع على قلوبهم.

- أنشدُكم الله هل تعرفونني؟
- نعم أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه:
- أنشدُّكم الله هل تعلمون أنّ أمّي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله
- اللهمّ نعم.
- أنشدُّكم الله هل تعلمون أنّ أبى عليّ ابن أبى طالب عليه السلام؟
- اللهمّ نعم.
- أنشدُّكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله أنا متقلّدة؟
- اللهمّ نعم.
- أنشدُّكم الله هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لابسها؟
- اللهمّ نعم.
- فبم تستحلّون دمي؟
- قد علمنا ذلك ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشا[1].

هكذا يصنع العمى والضّلال.

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٤٤/ ٣١٨، ب٣٧، قصة العطش وما قاله عليه السلام للعسكر. (ط. مؤسسة الوفاء)



ذكرى عاشوراء
وصياغة المشروع التغييريّ

في كلّ عام نجدّد التعاطي مع الذكرى الفاجعة، ذكرى عاشوراء (الحسين عليه السلام)..

إنّه الولاء لله وللرّسول صلى الله عليه وآله وللأئمّة من آل الرّسول عليهم السلام، فرض أن نجدّد هذا التعاطي مع ذكرى الحسين عليه السلام.

وفي كلّ عام يعيش الشيعة في ذكرى عاشوراء قمّة الفوران في العواطف الحسينيّة، وذروة الهيجان في المشاعر البكائيّة، وأقصى درجات الاستنفار في الحماس الثوري، ويشهد الموسم العاشورائيّ رقمًا قياسيًّا في كثافة المجالس العزائيّة، وفي الحضور الجماهيريّ الكبير، وفي المواكب والمسيرات الحسينيّة.

هذه هي الملامح البارزة الواضحة في إحياء ذكرى عاشوراء الحسين عليه السلام.

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه بإلحاح، ويبحث عن جواب صريح وجريء:

هل استطاعت هذه الحصيلة المتميّزة من المعطيات العاشورائيّة، أن تصوغ الأمّة بكلّ فصائلها في خطّ الحسين عليه السلام؟

وكما قلت إنَّ هذا السؤال يبحث عن إجابة صريحة وجريئة.

إنَّ ضغط الأجواء العاشورائيّة؛ جعل الكثيرين يجاملون كلّ الأوضاع القائمة، ولا يملكون الجرأة في أن ينتقدوا بعض الظواهر الخاطئة المتحكّمة في ممارسات الجماهير العاشورائيّة، والتي ربّما تساهم في مصادرة الدور الحقيقي لذكرى كربلاء.

وحتى نستطيع أن نتعرّف على الإجابة الواضحة الصريحة عن السؤال المطروح، لا بدّ أن نحدّد الرؤية الواضحةَ عن طبيعة الممارسات العاشورائيّة، ومدى قدرتها على صياغة الأمّة بكلّ فصائلها في خطّ الأهداف الحقيقيّة لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

وما دمنا نجامل الأوضاع القائمة خوفًا من غضب الجماهير، فإنّنا لن نستطيع أن نؤصّل الدور الفاعل لذكرى عاشوراء في حركة الأمّة.

وستبقى عاشوراء موسمًا زمنيًّا محدودًا نجد فيه الفرصة للتنفيس عن فورة العواطف وغليان المشاعر، وحماس الكلمات والشعارات وضجيج الأجواء، وتكتفي الجماهير والقيادات بهذا التنفيس المؤقّت، وتموت التطلّعات الواعية والجادّة في التغيير والتصدّي الحقيقيّ لمشروع البناء والإنقاذ، فمن الخطورة جدًا أن تتحوّل عاشوراء إلى ذكرى استهلاكيّة فقط.

قد يقال:

إنّ هذا الكلّام غير واقعيّ، لأنّنا نلمس بوضوح أنَّ أجواء عاشوراء تستنفر إرادة الجماهير، لا أن تجمّدها وتخدّرها، وتصلّب مواقف الجماهير لا أن تميّعها وتدجّنها.

صحيح أنّ أجواء عاشوراء تستنفر إرادة الجماهير بقوّة، وتؤجّج حماسها وتصلّب مواقفها، وتستنهض هممها، ولكنّ السؤال، هل أنّ هذه الحالات من الاستنفار والتأجيج، والتصليب، والاستنهاض، قد تمّت صياغتها لتشكّل عناصر الصنع والتكوّن الدائمة في حركة الأمّة الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة؟ أم أنّها حالات مؤقّتة محكومة لتأثيرات الذكرى وأجوائها المحدودة؟!

إنّنا لا ننكر ما للذكرى العاشورائيّة من دور كبير جدًا في تصعيد نبض الجماهير الشيعيّة، وفي خلق الوهج والفوران في العواطف والمشاعر، وفي حرارة الشحن والتعبئة.

ويبقى السؤال الملحّ:

هل استطاعت أساليب التعاطي مع الذكرى العاشورائيّة أن تصوغ المشروع التغييريّ في حركة الأمّة؟

إنني أصرّ على أنَّ هذه الأساليب لا زالت عاجزة عن صياغة المشروع التغييريّ في حركة الأمّة، ولا أقول إنّ قضيّة كربلاء عاجزة عن صياغة مشروع التغيير، وإنّما أساليبنا في التعاطي والتعامل مع هذه القضيّة هي العاجزة والقاصرة.

ولماذا هذه الأساليب عاجزة عن صياغة المشروع التغييريّ؟

هناك عدّة أسباب:

السبب الأول:

إنَّ ثقافة عاشوراء المطروحة من خلال المنبر الحسينيّ على الرغم من التطوّر الكبير الذي شهدته على يد بعض روّاد المنبر، إلّا أنّها لا زالت قاصرة عن صياغة (المشروع التغييريّ في حركة الأمّة).

كان لهذه الثقافة الدور الكبير في تحصين أجيال الأمّة عقيديًّا وفكريًّا وروحيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، وفي خلق حالة الوعي التاريخي، وفي التعبئة الرساليّة والجهاديّة، غير أنّها لم تتوفّر على صياغة خطاب المشروع التغييريّ للنهوض بواقع الأمّة بشكل شمولي متكامل.

إذا كانت هذه الثقافة قد عالجت الكثير من قضايا التاريخ، وقضايا العقيدة، وقضايا الفكر، وقضايا الأخلاق، وقضايا السّياسة، وربّما كانت بعض هذه المعالجات واعية وناضجة إلّا أنّها تبقى معالجات تجزيئيّة لا نشكّ في أهميّتها وقيمتها وضرورتها، غير أنّ المشروع التغييريّ يحتاج إلى مفردات متكاملة ينظّمها خطاب واحد يهدف أولًا

إلى تكويـن (الوعي التغييريّ) عنـد الأمّة، ويهدف ثانيًا إلى تأسـيس (برنامج عملي تغييري) تتحرّك من خلاله الأمّة لإعطاء الإسلام حضوره الثقافي وحضوره الأخلاقيّ وحضوره الروحيّ وحضوره الاجتماعيّ وحضوره السِّياسيّ.

ومـا دام خطاب المنبر الحسـينيّ غير قادر على تفعيـل الوعي التغييريّ، وغير قادر على إنجاز البرنامج التغييريّ، فسوف يبقى قاصرًا عن أداء مهامّه الكبيرة التي تفرضها أهداف الثورة الحسينيّة.

وإذا كان خطـاب المنـبر الحسـينيّ في أنضـج صـيغه الفعليّة لم يـرق بعد إلى مسـتوى المشـروع التغييريّ؛ فكيف بالمسـتويات المتخلّفة والمتدنّية لهذا الخطاب، وهي الأكثر شيوعًا وانتشارًا في المرحلة المعاصرة.

إنّنا ندعو بقوّة إلى ضرورة الارتقاء بمستوى خطاب المنبر الحسينيّ، وبمستوى مضامين الخطاب، وبمستوى أسـاليب الخطاب، وبمستوى لغة الخطاب، وما لم يرتق مسـتوى الخطاب المنبري فسوف يتخلّف عن أداء رسالته كما حدّدتها معطيات الثورة الحسينيّة.

إنّ المنبر الحسـينيّ في واقعه المعاصـر يحتـاج إلى جهود كبيرة جـدًا لتطويره والارتقـاء بمسـتواه، ولإنتاج كفاءات مؤهّلة بدرجاتٍ عاليةٍ تكونُ قادرةً على ممارسـة الخطاب الحسـينيّ بما يتناسـبُ وحاجاتِ المرحلةِ، وضروراتِ العصـر، ومستجداتِ الواقع.

إذا كان المنـبر الحسينـيّ في حاجـة إلى تطويـر وإلى تأهيـل، فمـنْ الذي يتحمّل هذه المسؤوليّة؟

يتحمّل هذه المسؤوليّة عدّة مواقع:

١- القيادات الدينيّة:

القيادات الدينيّة المسـؤولة عن رعاية وحماية أوضـاع الأمّة الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة:

وينتظم في هذا الموقع:

- المراجع العظام حفظهم الله تعالى.
- وكلاء المرجعيّة.
- العلماء العاملون.

٢-خطباء المنبر الحسينيّ أنفسهم:

وبالأخصّ الروّاد الكبار والذين يملكون تاريخًا طويلًا من الخبرة والعطاء والأداء الحسينيّ.

٣-الكفاءات العلميّة والفكريّة والفنيّة في الأمّة:

والتي يمكن أن تساهم في تطوير مهامّ وأداء المنبر الحسينيّ.

٤- القائمون على شؤون المجالس الحسينيّة (الرؤساء المسؤولون عن المآتم):

هؤلاء لهم دور فاعل في تطوير قدرات المنبر الحسينيّ، فإذا كان القائمون والمسؤولون يملكون الوعي والبصيرة، ويعيشون الإخلاص والصدق، فإنّهم سوف يفرضون الحالة المنبريّة الواعية.

وإذا كان هؤلاء يملكون التخلّف والسذاجة ولا يحملون همّ المسؤوليّة، فسوف يفرضون الحالة المنبريّة المتخلّفة.

فدور القائمين على المجالس الحسينيّة ورؤساء المآتم له تأثيراته الإيجابيّة والسلبيّة على مستوى تطوير ثقافة المنبر، ومستوى تطوير أداء الخطباء.

٥-جمهور المنبر الحسينيّ:

لا شكّ أنّ هذا الجمهور هو القاعدة التي يعتمدها خطاب المنبر، وكلّما كان مستوى هذا الجمهور أكثر وعيًا ونضجًا، استطاع أن ينمّي وعي الخطاب المنبري، وأن يدفع بالقدرات الخطابيّة في اتجاه النضج والارتقاء.

والعكس هو الصـحيح فإنَّ الجمهور المتخلّف في وعيه يحاول أن يفرض مستوى متخلّفًا على الخطاب المنبري.

وإذا كانت ثقافة المنبر الحسينيّ لا زالت قاصرة عن صياغة المشروع التغييريّ في حركة الأمّة، فهذا لا يعني غياب المشـروع في واقع الأمّة،فإنّ التاريخ المعاصر يحمل أمثلـة من التجـارب الكبيرة التي انطلقت من خلال الوعي الأصـيل بالإسـلام، ومن خـلال اسـتلهام معطيات ثورة الإمام الحسـين عليه السلام، فصـاغت مشـروعها التغييريّ الهادف للنهوض بواقع الأمّة.

المثال الأول:

فالشـهيد السـيد محمد باقر الصـدر قدس سره كان له مشـروعه التغييريّ الكبير الهـادف إلى صـياغة واقع الأمّـة وفق منظور الإسـلام وقِيَمه، وقد تجسّـدت في هذا المشـروع استلهامات الثورة الحسـينيّة وتأثيراتها الواضحة، وكما الإمام الحسين عليه السلام أعطـى دمـه عنوانًـا كبيرًا للتغيير ولإصـلاح حركـة الواقع بـكلّ امتداداتـه الروحيّة والفكريّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة، فكذلك الشهيد الصدر أعطى دمه من أجل التغيير والإصـلاح، ومـن أجل إيقاظ ضـمير الأمّة الذي كلّسـته سياسـات الأنظمة الجائرة المتحكّمة والتي خدّرت إرادة الأمّة وأسقطت عنفوانها.

والمثال الثاني:

الإمام الخميني قدس سره، حيث اسـتطاع أن يصـوغ مشـروعًا تغييريًّا كبيرًا اعتمد الإسلام أساسًا، وحركة الإمام الحسين عليه السلام منهاجًا.

وقد عبّر هذا المشروع:

أولًا:

عن قدرة الإسلام أن يؤسّس للحكم والدولة في هذا العصر.

ثانيًا:

عـن قدرة الإسـلام وحركة الإمام الحسـين عليه السلام على اسـتنهاض الشـعوب

المستضعفة في مواجهة تحدّيات الاستكبار، وسياسات الأنظمة.

وثالثًا:

عن قدرة وكفاءة القيادة المرجعيّة في التصدّي السِّياسيّ ومواجهة المشروع الثقافي المناهض للإسلام.

والمثال الثالث:

المجاهدون والاستشهاديّون في جنوب لبنان وعلى أرض فلسطين، هؤلاء كانوا التعبير الحقيقي لثورة الإمام الحسين عليه السلام، وكانوا التجسيد الصّادق لمعطيات هذه الثورة الخالدة، ولخطاباتها الأصيلة.

السبب الثاني:

من أسباب القصور في أساليب التعاطي مع ذكرى عاشوراء، وعجز هذه الأساليب عن صياغة المشروع التغييريّ في حركة الأمّة، هذا السبب يتمثّل في غياب الحركة التصحيحيّة التي تستهدف الارتقاء بأساليب الأداء في التعاطي مع الذكرى العاشورائيّة وتطويرها، وكذلك التصدّي للأساليب الخاطئة والتي فرضت نفسها عبر تاريخ طويل.

إنَّ أساليب التعبير عن المشاعر الحسينيّة والتي يمارسها الشيعة -ومنذ زمن طويل - في حاجة إلى المراجعة باستمرار.

ربّما تشكّل المراجعة والمحاسبة -عند البعض أمرًا خطيرًا -لذلك يرفض هذا البعض بقوّة السماح بالنقد والتقويم لأساليب التعبير العاشورائيّة خوفًا من محاولات الإلغاء والمصادرة للشعائر الحسينيّة.

إنّنا نؤكّد لهؤلاء المتخوّفين أنّ التعبير الأصيل عن مشاعر الولاء والحزن والمواساة في ذكرى عاشوراء لن يقوى أحد على إلغائها أو مصادرتها.

إنّ قضيّة الحسين عليه السلام قد تجذّرت وتأصّلت في وجدان الأجيال بالمستوى الذي لن تتمكّن قوة في الأرض – أيّ قوة – من أن تنال شيئًا من هذا التجذّر والتأصل.

وكم حاولت أنظمة السّياسة في التاريخ ولا زالت تحاول وبأقسى وسائل القمع والإرهاب أن تصادر وتجمدّ حالة التعاطي الشيعيّ مع قضيّة كربلاء، إلّا أنّ هذا التعاطي ازداد صلابةً وقوةً وعنفوانًا، انظروا إلى عراق الحسين ﷺ، رغم إرهاب النظام وتجميد المواكب والمجالس غير أنّ فوران المشاعر الحسينيّة لا زال في أقصى درجاته لم تخفّف منه كلّ وسائل الضغط والمحاصرة، وهذا واضح من الحشود المليونيّة الزاحفة بكلّ شموخ وعنفوان إلى زيارة قبر الإمام الحسين ﷺ.

إنّ الولاء الشيعيّ لعاشوراء الحسين ﷺ، أعطى الدّم وسوف يبقى يعطي الدم من أجل أن تبقى كربلاء حيّة نابضة في ضمير الأجيال.

إنّ الدعوة إلى المراجعة والمحاسبة ليست مصادرة للشعائر والمشاعر -كما يتخوّف المتخوّفون- وإنّما هو الحماية والحفاظ على هذه الشعائر والمشاعر.

إذا أردنا لعاشوراء أن تعبّر عن حضورها الحقيقيّ في حركة الواقع بكلّ إمتداداته الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة فيجب أن نمارس المراجعة والمحاسبة باستمرار، شريطة أن يتصدّى لهذه المّارسة من تتوفّر فيه مجموعة كفاءات ومؤهّلات فكريّة وفقهيّة وروحيّة وعمليّة، وبعبارة أخرى أن يملك هذا المتصدّي المستوى المتقدّم من ثقافة الإسلام وفقه الدين، وروحيّة الإيمان، واستقامة السلوك، وصدق الانتماء، وأصالة الولاء.

وأكثر من هذا أن لا تُترك عمليّة المراجعة والنقد والمحاسبة إلى الممارسات الفرديّة بل يجب أن تتشكّل (لجان تخصّصيّة) ومعترف بها من قبل (المرجعيّة الدينيّة) لأداء هذه المهمّة، وهذا يوفّر الضمانة الشرعيّة لسلامة المراجعة والمحاسبة، وسوف نُعطي توضيحًا أكثر لهذه المسألة من خلال تناول السبب الثالث من أسباب القصور في أساليب التعاطي مع ذكرى عاشوراء وعجزها عن صياغة المشروع التغييريّ في حركة الأمّة.

السبب الثالث:

يتمثّل هذا السبب في غياب الإشراف المركزيّ على شؤون المنبر الحسينيّ،

والمجالس والمواكب والشعائر العاشورائيّة.

إنّنا ندعو إلى وجود حالة مؤسّسة مركزيّة خاضعة لتوجيهات المرجعيّة الدينيّة تُعنى بشؤون المنبر والمجالس والمواكب والشعائر، وأن لا تُترك هذه الشؤون الخطيرة في الواقع الشيعيّ إلى أمزجة الأفراد المتصدّين لإدارة المآتم والمواكب أو غير المتصدّين، وربّما تحكم هذه الأمزجة أهواء ونزوات ذاتيّة أو تحكمها رؤى ساذجة وغير واعية، الأمر الذي يؤدّي إلى التفريط بأهداف الذكرى والإساءة إلى خطّها، بل ولا تُترك هذه الشؤون إلى (العقل الفردي) مهما توفّر على الوعي والنزاهة.

نحن نصرّ على وجود (العقل المؤسّسي المركزي) المرتبط بالكيان المرجعي للإشراف على الشّأن الحسينيّ في كلّ تمظهراته وصياغاته وأساليبه.

إنّ تسرّب بعض الممارسات الخاطئة في مراسيم الإحياء العاشورائيّة كان نتيجة طبيعيّة لغياب الإشراف المركزيّ الموصول بالكيان المرجعي، ممّا أعطى لهذه الممارسات حضورها وامتدادها وتجذّرها حتى أصبحت جزءًا متأصّلًا في البنية الشعائريّة ممّا يُشكّل خطرًا كبيرًا على أصالةِ ونقاوةِ هذه الشعائر.

من المؤسف جدًا أن يصبح التأسيس للشعائر العاشورائيّة بيد كلّ إنسان مهما كان مستوى ذهنيّته ووعيه ونضجه ما دام يريد أن يعبّر عن مشاعره الولائيّة في ذكرى عاشوراء، وليكن الأسلوب ما يكون حتى لو أعطى صورة مشوّهة لخطّ الثورة الحسينيّة وصادر أهدافها، وأربك معطياتها، وحتى لو أساء إلى سمعة المذهب وأثار حوله الطعون والشّكوك والاتهامات، المهم أنّ هذا الإنسان البريئ الصّادق في ولائه يرغب أن يُشارك في إظهار المواساة بأيّ أسلوب مهما كانت نتائجه وأثاره.

أنا لا أريد أن أشكّك في الدوافع فأدّعي أنّ بعض هذه الممارسات المغلوطة ربّما تُحرّكها عناصر مدسوسة تهدف إلى تشويه الصورة الحقيقيّة لتلك الشعائر، بل أريد أن أفترض في الدوافع النظافة والبراءة، ولكن هذا لا يبرّر أن يُسمح لأيّ تعبير -مهما كان بريئًا- أن ينطلق ما دام تترتب عليه نتائج سلبيّة تضرّ بأهداف الذكرى وتُسيئ إلى سمعة هذا الخطّ المبارك.

أنا لا أشكّ أنّ الذين أوجدوا عادة (التطبير) في مراسيم العزاء -ومنذ زمن لم يكن طويلًا -لم يكونوا يقصدون الإساءة إلى أهداف عاشوراء.

إلّا أنّ هذه العادة -وبغضّ النظر عن الإشكالات الشرعيّة -أصبحت في هذا الزّمان تشكّل مظهرًا يُسيئُ إلى سمعة المذهب، ويعرّضه إلى الاستهزاء والسخرية.

ولذا وجدنا كبير مراجع الشيعة في عصره السيد الخوئي ﷺ يفتي بحرمة التطبير اعتمادًا على هذه الحيثيّة -حيثيّة الإساءة إلى سمعة المذهب -.

أنا لا أريد هنا أن أتناول مسألة التطبير وإنّما سقته كمثال لبعض الممارسات التي يترتّب عليها نتائج لها انعكاسات سلبيّة.

قبل يومين سمعت أن بعض المؤمنين صنعوا مجسّمًا لمشهد الإمام الحسين عليه السلام، إلى هنا الأمر طبيعي، إلّا أنّهم أخذوا يجوبون به المناطق والقرى في البحرين، والناس -وبالأخصّ النساء -يتجمّعون حول هذا المجسّم يتبرّكون به ويتمسّحون ويقذفون عليه الأموال والنقود، وربّما يصل التفكير عند هذا البعض فيجعل مكانًا خاصًا لهذا المجسّم يتحوّل مزارًا يؤمّه الناس ويقدّسونه، أليس في هذا إساءة إلى قداسة المشاهد المشرفة الحقيقيّة للأئمّة والأولياء...؟

أليس في هذا إساءة إلى سمعة المذهب...؟

أكرّر القول أنّ هذه التصرّفات كانت نتيجة غياب التوجيه المركزي الواعي، وغياب الحضور العلمائيّ الهادف، ممّا يفتح المجال لكلّ ممّارسة تصدر من هنا أو هناك بلا ضوابط ولا حسابات.

القسم الخامس

شعارات عاشوراء

- ياليتنا كنّا معكم فنفوز والله فوزًا عظيمًا .
- ماذا يحمل شعار «فمعكم معكم لا مع عدوكم» من دلالات كبيرة؟

١

يا ليتنا كنّا معكم فنفوز والله فوزًا عظيمًا

كلّما استعادت ذاكرتنا قصّة وجهاد، وبطولات، وتضحيات كربلاء اعتدنا أن نردّد هذه العبارة «يا ليتنا كنّا معكم فنفوز والله فوزًا عظيمًا»، خطباؤنا على المنابر يردّدون هذه العبارة، والمستمعون وحضّار المجالس الحسينيّة يردّدون هذه العبارة.

أيّها الأحبّة:

هل حاولنا أن نحاسب مصداقيّة هذه العبارة عندما نردّدها؟

دعونا نكون صرحاء مع أنفسنا، ولنحاسب الكلمات التي تتحرّك في حياتنا، هذه الكلمات التي أصبحت شعارات كبيرة ولكنّها لا تحمل أيّ مصداقيّة في الواقع.

مشكلتنا أنّنا نجيد طرح الشّعارات إلّا أنّنا لا نملك القدرة على تفعيل الشّعارات، ولا نملك القدرة على أن نحوّل الكلمات إلى واقع يتحرّك على الأرض...

فماذا عن شعارنا الحسينيّ «يا ليتنا كنّا معكم»؟

ما هو مستوى مصداقيّته في حياتنا، في ثقافتنا، في أخلاقنا، في سلوكنا، في كلّ واقعنا؟ ولكي نحاسب هذه المصداقيّة يجب أن نطرح على أنفسنا هذين السؤالين:

- السؤال الأول: هل نملك فعلًا وعي عبارة «يا ليتنا كنّا معكم»؟
- السؤال الثاني: هل نحن صادقون عندما نردّد هذا الشعار؟

لنبدأ بالسؤال الأول: هل نملك فعلا وعي عبارة «ياليتنا كنّا معكم»؟.

لا أشكّ أنّ مستوى من الفهم لهذه العبارة موجود عند الكثيرين، وهذا لا يمنع أن يكون هناك نسبة كبيرة من الناس يردّدون هذه العبارة بلا وعي، وعلى كلّ حال فهذه العبارة المكوّنة من كلمات قليلة تحمل دلالات كبيرة وخطيرة، إنّها وبكلّ بساطة في الطرح تحمل الدلالات الثلاث التالية:

الدلالة الأولى:

إنّها تعني أنّنا نتمنّى لو كنّا حاضرين في عصر الإمام الحسين عليه السلام، وما أجمله من تمنّي، وما أجملها من رغبة أن نتشرف بحضرة مولانا الإمام الحسين عليه السلام، وأن نكحل نواظرنا برؤيته، ومن ذا لا يتمنّى أن يكون قد حضر في عصر الإمام الحسين عليه السلام، وفي عصر أمير المؤمنين عليه السلام وفي عصر رسول الله صلى الله عليه وآله.

إلّا أنّ هذا الحضور له استحقاقاته الخطيرة، فيجب أن تكون واضحة في أذهاننا حينما نعيش الرغبة والتمنّي، هذه هي الدلالة الأولى لعبارة «ياليتنا كنّا معكم».

وأمّا الدلالة الثانية:

فهي تعني أنّنا نتمنّى لو كنّا قد شهدنا معركة كربلاء، وأحداث عاشوراء، نتمنّى لو كنّا قد شهدنا إمامنا الحسين عليه السلام والقلّة من أهل بيته وأنصاره وهم يقفون يوم عاشوراء في مواجهة عشرات الآلاف من جيوش الضّلال التي تجمّعت لقتل الحسين عليه السلام، نتمنّى لو كنّا قد شهدنا نداءات الحسين عليه السلام واستغاثات الحسين عليه السلام، وخطابات الحسين عليه السلام، وكم لهذا التمنّي من ثمنٍ صعب، هل وضعناه في وعينا ونحن نردّد عبارة «ياليتنا كنّا معكم»؟.

وأمّا الدلالة الثالثة:

فالعبارة تعني أنّنا نؤكّد لو كنّا في ذلك العصر، وشهدنا معركة كربلاء، فإنّنا على استعداد تامّ أن نقف إلى صفّ الإمام الحسين عليه السلام، وأن نقاتل مع الحسين عليه السلام وأن ننصر الحسين عليه السلام، إنّنا نؤكّد من خلال هذا التمنّي استعدادنا التام لمواجهة

الآلاف الزاحفة لقتال الحسين عليه السلام.

إنّنا نؤكّد من خلال هذا التمنّي استعدادنا التامّ للموت والشهادة لنحظى بالفوز العظيم في الدنيا والآخرة...

هذه هي دلالات هذا الشّعار فكم هي حاضرة في وعينا ونحن نردّده؟ وإذا تمّ استيعابنا لهذه الدلالات...

فلنطرح السؤال الثاني: هل نحن صادقون حينما نردّد هذا الشّعار؟

لا شكّ أنّ في الأمّة صادقين كلّ الصدق، ولكن هل كلّ الذين يردّدون هذا الشّعار هم صادقون؟

أنا أترك لكلّ واحد منّا أن يحاسب نفسه، ليكتشف فيما إذا كان صادقًا أم هي مجرّد كلمات يقولها للتيمّن والبركة، ومجرّد كلمات يقولها في حالة غيبوبة واسترخاء؟

قد يسأل بعضكم:

وكيف نستطيع أن نكتشف أنّنا صادقون ونحن نردّد هذا الشّعار خاصّة وأنّ معركة كربلاء قد حدثت في التاريخ، وليس أمامنا أيّ فرصةٍ لكي نمتحن أنفسنا، ولكي نكتشف مصداقيّة موقفنا؟

هذا سؤال وجيه، ومن أجل الإجابة عنه نقول:

معركة كربلاء لم تكن حدثًا أراد له الإمام الحسين عليه السلام أن يتجمّد في التاريخ، ونداء الحسين عليه السلام «هل من ناصر» لا زال يبحث عن جواب...

أراد الإمام الحسين عليه السلام لهذا النداء أن يتحرّك في كلّ زمان، وفي كلّ مكان، وأن يخاطب كلّ الأجيال...

نداء الإمام الحسين عليه السلام «هل من ناصر» حاضرٌ في كلّ عصر...

نداء الإمام الحسين عليه السلام يخاطبنا في هذا العصر...

فكيف نتعامل مع هذا النداء؟

الإمام الحسين عليه السلام حينما يخاطبنا بهذا النداء لا يريد فقط أن ينقلنا إلى أحداث كربلاء في التاريخ، وإن كان هذا الانتقال أمرٌ مهمّ جدًا، إنّه يريد أن يقول إنّ معركة كربلاء تتحرّك في كلّ عصر، وإنّ ندائي يتحرّك في كلّ عصر.

فما هو موقفنا من هذا النداء؟

إنّ تجربة كربلاء تتكرّر في كلّ عصر، الإمام الحسين عليه السلام نفسه لا يتكرّر، ولكنّ الذين يحملون روح الحسين عليه السلام، وأهداف الحسين عليه السلام، وقِيَم الحسين عليه السلام يتكرّرون.

في كلّ عصر هناك من يحملون روح الحسين عليه السلام، وأهداف الحسين عليه السلام، وقِيَم الحسين عليه السلام.

في عصرنا: الإمام الخميني قدس سره حمل روح الإمام الحسين عليه السلام، وأهداف الإمام الحسين عليه السلام، وقِيَم الإمام الحسين عليه السلام...

الشهيد الصدر حمل روح الحسين عليه السلام، وأهداف الحسين عليه السلام، وقِيَم الحسين عليه السلام...

السيد حسن نصر الله يحمل روح الحسين عليه السلام، وأهداف الحسين عليه السلام، وقِيَم الحسين عليه السلام...

كلّ الأبطال والمجاهدين من أجل الإسلام ومبادئ الإسلام يحملون روح الحسين عليه السلام، وأهداف الحسين عليه السلام، وقِيَم الحسين عليه السلام...

فالإمام الحسين عليه السلام حاضر في كلّ عصر...

وكذلك يزيد بن معاوية نفسه لا يتكرّر ولكن الذين يحملون روح يزيد، وأهداف يزيد، وقِيَم يزيد يتكرّرون في كلّ عصر، فيزيد حاضرٌ في كلّ عصر...

والمعركة بين الإمام الحسين عليه السلام ويزيد معركة تتجّدد، معركة دائمة، ومستمرة، ما دام هناك إيمان وكفر، وما دام هناك حق وباطل، وما دام هناك هدًى وضلال، وما

دام هناك صلاح وفساد، وما دام هناك معروفٌ ومنكر، وما دام هناك تقوى وفجور، ومـا دام هناك عـدل وظلم، وما دام هناك خير وشـر، فالمعركة قائمة، والمعسكران قائمان، معسكر الإمام الحسين عليه السلام وينتظم قيم الإيمان والحقّ والهدى والصلاح والمعروف والتقوى والعدل والخير، ومعسكر يزيد وينتظم قيم الكفر والباطل والضّلال والفساد والمنكر والفجور والظّلم والشّر...

ونداء الإمام الحسين عليه السلام، «هل من ناصر» لا زال قائمًا...

فأين موقعنا من هذه المعركة؟ وأين موقفنا من نداء الإمام الحسين عليه السلام؟

لا أريد أن أصنّف الناس، ولكنّ الاحتمالات هنا أربعة:

- أن نلبّي النداء صادقين.
- أن نلبّي النداء كاذبين.
- أن نواجه النداء.
- أن نصمت أمام النداء.

هنـاك مـن يصـمت أمـام نداءات الحـقّ، وهنـاك من يدّعـي أنّـه يقف على الحياد...

في معركـة الحـقّ والباطل، وفي معركـة الهدى والضّـلال، وفي معركة المعروف والمنكـر، وفي معركة التقوى والفجور، وفي معركة العدل والظّلم - لا يُشـترط أن تكون المعركة معركة سلاح ومعركة دم - لا حياد في هذه المعركة، فهذا الحياد خذلان للحقّ والهدى والمعروف والتقوى والعدل، وتقوية للباطل والضّـلال والمنكر والفجور والظّلم، والوقوف على التّل في هذه المعركة جناية كبيرة ومعصية خطيرة.

يحدّثنا التـاريخ أنّه في معركة صـفّين حينما التقى الجيشان، جيش الإمام عليّ عليه السلام وجيش معاوية، كان أحد الصحابة حاضرًا، فماذا صنع الصحابي؟

كان إذا حضـر وقت الصـلاة انحاز إلى معسـكر عليّ عليه السلام، ليقتدي بعليّ عليه السلام في الصّـلاة، وإذا حضـر وقت الطعام انحاز إلى معسـكر معاوية ليُشـارك معاوية في مائدتـه، ولمّا دارت المعركة واشـتدّ القتال جلـس على التّل يتفرّج، وعندما سُـئل قال:

الصّلاة مع عليّ عليه السلام أتمّ، والأكلّ مع معاوية أدسم، والجلوس على التّل أسلم.

كم من الناس عبر التاريخ يصلّون مع عليّ عليه السلام، ويأكلون مع معاوية، ويجلسون على التّل، ويا ليت هؤلاء بقوا جالسين على التّل لكانت المصيبة أهون، إنّ طعام معاوية استطاع أن يغيّر المعايير والمقاييس والقِيَم عندهم فتحوّل الحقّ باطلًا، والباطل حقًّا، وتحوّل المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، وتحوّل الصّلاح فسادًا والفساد صلاحًا، وتحوّل الهدى ضلالًا والضّلال هدًى، وتحوّل العدل ظلمًا والظّلم عدلًا.

أيّها الأحبّة:

أعود من جديد لأطرح السؤال الأساس:

هل نحن صادقون حينما نردّد شعار «يا ليتنا كنّا معكم فنفوز والله فوزًا عظيمًا»؟

أم أنّ هذا الشّعار أصبح من المألوفات التي فقدت الكثير من دلالاتها ومضامينها الكبيرة، وفي حياتنا كلمات وكلمات، شعارات وشعارات تفرّغت من معانيها ودلالاتها ومعطياتها...

كم لعبارة «الله أكبر» من دلالات خطيرة وكبيرة جدًا؟ ولكنّها تحوّلت في مألوفنا إلى كلمة لا تصنع شيئًا في حياة الكثيرين منّا.

لو كان أحدنا يردّد هذه الكلمة بوعي وصدق لتغيّر كلّ شيء في حياته، ولو كان المسلمون يردّدون هذه الكلمة بوعي وصدق لتغيّر كلّ شيء في حياتهم...

كم مرة يُردّد أحدنا «الله أكبر» في اليوم والليلة؟

وكمْ مرّة يردّد المسلمون هذه الكلمة؟

لو كانت حقيقةً كلمةً واعيةً لأصبح العرب والمسلمون قوّة لها هيبتها في العالم، ولتغيّرت كلّ المعادلات والحسابات، إنّنا اليوم ألعوبة بيد القوى المتحكّمة، بيد المشروع الأمريكي الذي يحاول أن يهيمن على كلّ واقعنا الثقافي والاجتماعيّ والسّياسيّ والعسكريّ، بل ويحاول أن يصادر كلّ مقدّراتنا الدينيّة والأخلاقيّة، في حديث الجمعة الماضية أشرت إلى مذكّرة أمريكيّة موجّهة إلى الأنظمة العربية -حسب ما نشرت

بعض الصحف -هذه المذكّرة عبارة عن مقترحات تَقدّم بها ثلاثون عضوًا بالكونغرس الأمريكي تقضي بإعداد دستور أو قانون أساسي أمريكي تلتزم به الأنظمة العربيّة كمرجع نهائي للإصلاح والتطوير.

- وتؤكّد المذكرة: إنّ كافة الشّعارات الدينيّة يجب أن تختفي في المؤسّسات الرسميّة العربيّة.
- وتقول المذكّرة: بأنّه لا يجوز افتتاح المجالس النيابيّة بأيّ آية قرآنيّة.
- ودعت المذكرة إلى إلغاء «بسم الله الرحمن الرحيم» في الخطابات الرسميّة لأنّها تُعدّ رمزًا دينيًّا.
- وطالبت بوقف ما أسمته بـ «تسييس الدّين وتديين السّياسة»...

أمّة المليار مسلم ألعوبة بيد بوش وشارون...

لماذا لم تصنع كلمة «الله أكبر» التي تُردَّد في كلّ يوم مليارات المرّات شيئًا في حياة المسلمين؟

ماذا صنعت «الله أكبر» حينما قالها المجاهدون الأوائل في معاركهم ضدّ الكفّار والمشركين؟

لنترك التاريخ، فالكثيرون لا يملكون القدرة على استرجاع ذاكرة التاريخ، لنتّجه إلى الحاضر...

ماذا صنعت «الله أكبر» حينما قالها الشعب المسلم في إيران ضدّ نظام الشّاه المتمرتس بأعتى وأفتك الأسلحة.

ماذا كانت تملك الجماهير المؤمنة في إيران؟

إنّها كانت تملك الإيمان، وإرادة الإيمان وعنفوان الإيمان، إنّها كانت تملك الصدق والولاء والتضحية، إنّها كانت تملك الشّهادة، إنّها كانت تملك قيادة زاهدة في الدنيا ترتدي عمّة سوداء وتحرّك في يدها سبحة ليست كملايين السبح الصمّاء، إنّها سبحة تحرّكها شفة ربّانيّة تردّد كلمة «الله أكبر»، هذه الكلمة التي أرعبت أمريكا،

وأفزعت كلّ القوى في العالم، وانتصرت الكلمة المباركة وسقط النظام الطاغوتي المتغطرس...

ماذا صنعت «الله أكبر» حينما قالها مجاهدو حزب الله في لبنان؟

أسقطت غطرسة الصهاينة، أبطلت أكذوبة التفوّق الإسرائيلي، مسحت عار الهزائم العربيّة، حوّلت اليهود الغاصبين إلى جرذان يلوذون بالجحور...

ماذا صنعت «الله أكبر» حينما قالها أطفال الحجارة في فلسطين، وحينما قالها أبطال الجهاد في داخل الأرض المحتلة، وحينما قالها الاستشهاديّون الصّادقون؟

لقد غيّرت كلّ الحسابات، وأسقطت كلّ الرهانات وأفشلت كلّ المساومات...

استقلاليّة الخطاب الدينيّ عن السلطة:

ما أحوج هذه المرحلة وأمّتنا تواجه كلّ التحدّيات الصعبة، أن يُعاد صياغة الواقع العربي والإسلاميّ من خلال المكوّنات الإيمانيّة لهذه الأمّة، وليس من خلال مكوّنات المشروع الأمريكي، واهمةٌ أنظمتنا السِّياسيّة في بلداننا العربيّة والإسلاميّة إذا أدارت ظهرها للإسلام، واتّجهت نحو المشروعات المفروضة من الخارج والتي تحاول أن تُهيمن على كلّ المفاصل في جسم هذه الأمّة.

من هنا كان إصرار الغيارى والمخلصين من أبناء هذه الأمّة أن يبقى الشعار الدينيّ والخطاب الدينيّ والقرار الدينيّ بعيدًا عن كلّ أشكال الهيمنة السِّياسيّة، وبعيدًا عن كلّ أشكال الوصاية الرسميّة.

إنّنا حينما نطالب أن تبقى مساجدنا، حسينيّاتنا، حوزاتنا بعيدة عن أيّ وصاية رسميّة، وحينما نطالب باستقلاليّة أحوالنا الشخصيّة، وباستقلاليّة أوقافنا، لا ننطلق من هوس مذهبي ولا من رغبة في التنافي مع المشروع الرسميّ...

إنّ من أهمّ ما يُكرّس حالة التعاطي مع هذا المشروع أن يجد المواطن نفسه قادرًا أن يتحرّك في مساحاته الدينيّة بلا وصاية وبلا هيمنة، لا مانع أن تخضع كلّ

المساحات الدينيّة للرقابة الرسميّة ما دام ذلك يصبّ في حماية أوضاع الأمن والهدوء والاستقرار، ولكن أن تُفرض وصاية وهيمنة مهما كانت العناوين والمبرّرات فأمر يضرّ بمشروع الإصلاح.

الإشراف على دائرة الأوقاف واستقلاليّتها:

إنّ إحساسنا بأنّنا نملك حقّنا في الإشراف على أوقافنا ومساجدنا وحوزاتنا وحسينيّاتنا مسألة تعزّز ثقتنا بالمشروع السِّياسيّ.

وإنّ هذه المرحلة التي تحمل شعار الانفتاح والشفافيّة والحريّة والديمقراطيّة يُفترض فيها لكي يكون هذا الشعار صادقًا أن تمنحنا الحقّ في أن نُمارس شأننا الدينيّ وفق قناعتنا الفقهيّة والشرعيّة، لماذا لا يكون لنا الحقّ أن نستقلّ في أمور أوقافنا؟ لماذا لا يكون لنا الحقّ في أن نختار من يتصدّى لإدارة شؤون أوقافنا؟ لماذا لا يكون لنا الحقّ في أن نمارس إشرافنا الفقهيّ على كلّ أوقافنا، إنّ هذا مطلبٌ مشروعٌ وطبيعيّ ويُعطي مصداقيّة واضحة لمشروع الإصلاح السِّياسيّ، إذا أُريد لهذا المشروع أن يتحرّك بنجاح.

إنّنا نؤمن كلّ الإيمان بضرورة إنجاح مشروع الإصلاح السِّياسيّ وإنقاذه من كلّ المآزق والأزمات من خلال حوارٍ جادٍ وصادقٍ بين السّلطة السِّياسيّة والقوى الفاعلة في السّاحة، وإنّ التوتّرات والإثارات المتبادلة أمرٌ لا يصبّ في حماية هذا المشروع، ولا في مصلحة هذا الشعب...

فما لم تنفتح السلطة السِّياسيّة بكلّ حبّ وصدقٍ وشفافيّة على قوى السّاحة الفاعلة، وما لم تنفتح هذه القوى بكلّ جدّ ورغبة على السّلطة السِّياسيّة، فإنّ النتائج ليست في صالح هذا البلد.

إنّنا ندعو إلى تفعيلٍ جادٍّ وصادقٍ لشعارات المرحلة، حتى لا تتحوّل هذه الشّعارات إلى كلماتٍ استهلاكيّة باردة...

إعادة صياغة الخطاب السِّياسي:

إنّنا ندعو إلى إعادة صياغة الخطاب السِّياسيّ في هذه المرحلة، إنّ لغة الخطاب، وبعض مضامين الخطاب في حاجةٍ إلى إعادة صياغة، وهذه دعوة شاملة لكلّ من خطاب السّلطة، وخطاب القوى الفاعلة في السّاحة.

إنّ خطاب السّلطة الذي لا يعترف بوجود أزمات ومآزق تواجه المشروع السِّياسيّ، ويُحاول أن يلوّح بلغة الاتهام والتهديد؛ هذا الخطاب لا يخدم هذه المرحلة، كذلك خطاب القوى المعارضة حينما يعتمد لغة الشّك دائمًا أو لغة التحريض فإنّه الآخر لا يخدم هذه المرحلة، إنّ خطاب التصحيح والمحاسبة والترشيد، والانفتاح، والثّقة هو الخطاب الذي يخدم هذه المرحلة، فعلى السّلطة السِّياسيّة أن لا تضيق بخطاب المصارحة، وخطاب المراجعة والمحاسبة ما دام هذا الخطاب صادقًا ومخلصًا، وما دام هذا الخطاب يعتمد الأساليب المشروعة، وعلى قوى السّاحة أن لا تصرّ على خطاب الرفض والمواجهة ما دامت الخيارات الأخرى متوفّرة وقائمة.



ماذا يحمل شعار «فمعكم معكم لا مع عدوكم» من دلالات كبيرة؟

جاء في زيارة الأربعين هذا المقطع:

«فمعكم معكم لا مع عدوكم صلوات الله عليكم...»[1].

شعارٌ هامٌّ وخطير جدًا...

كيف يجب أن نتعامل مع هذا الشعار؟

التعامل الحقيقي مع هذا الشّعار يفرض علينا خمسة التزامات:

- أن نملك وعي هذا الشّعار.
- أن نملك قوة الإيمان بهذا الشعار.
- أن نملك جرأة الانتماء إلى هذا الشّعار.
- أن نملك صدق التجسيد لهذا الشّعار.
- أن نملك حرارة الدفاع عن هذا الشّعار.

نحاول أن نلقي بعض الضّوء على هذه المكوّنات الخمسة.

---

(١) ابن طاووس: الإقبال بالأعمال الحسنة ٣/ ١٠٣، ب٣ (فيما يتعلق بشهر صفر)، فصل٥. (ط١، ١٤١٦هـ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم – إيران)

المكوّن الأول: أن نملك وعي هذا الشّعار:

ماذا يحمل شعار «فمعكم معكم لا مع عدوكم» من دلالات كبيرة؟
يحمل الكثير من الدلالات هذه بعضها:

الدلالة الأولى:

نحن نؤكّد من خلال هذا الشعار أنّنا معكم معكم يا آل محمد عليهم السلام، وأنتم تمثّلون الإسلام في كلّ أصالته، وأنتم تمثّلون الدّين في نقائه وصفائه، وأنتم تمثّلون القرآن في معانيه ومضامينه، وأنتم تمثّلون رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ وجوده وامتداده...

فنحن من خلال هذا الشّعار نؤكّد انتماءنا للإسلام، للدّين، للقرآن، للنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله...

نحن من خلال هذا الشّعار نؤكّد هويّتنا، أصالتنا، كياننا، مدرستنا...

نحن من خلال هذا الشعار نؤكّد نهجنا الفكريّ، العقائديّ، الروحيّ، الفقهيّ والسِّياسيّ.

الدلالة الثانية:

نؤكّد من خلال هذا الشّعار أنّنا معكم معكم يا آل محمد عليهم السلام في أخلاقكم، في سلوككم، في ممارساتكم، في تطبيقكم للإسلام وقِيَم القرآن، في كلّ التزاماتكم العمليّة...

فنحن من خلال هذا الشّعار نؤكّد الاقتداء بخطّ آل محمد عليهم السلام، الذي هو خطّ الإسلام، وخطّ القرآن، وخطّ الرسول صلى الله عليه وآله.

الدلالة الثالثة:

نؤكّد من خلال هذا الشّعار أنّنا معكم يا آل محمد عليهم السلام في جهادكم من أجل الإسلام، في دفاعكم عن الدّين، في حمايتكم للشريعة، في تضحياتكم الكبيرة في سبيل المبدأ والعقيدة، في إعطائكم دماءكم رخيصة في سبيل الله...

فنحــن من خلال هــذا الشّــعار نؤكّد اســتعدادنا للجهاد، للعطاء، للتضــحية، للشّهادة، من أجل الإسلام والدّين والعقيدة.

المكوّن الثاني: أن نملك قوّة الإيمان بهذا الشّعار:

في النقطة الســابقة تناولنا ما يحمله هذا الشّعار من دلالات وتأكيدات، إلّا أنّه لا يكفــي أن نفهــم الدلالات فما مســتوى إيماننا بهذه الــدلالات، التعامل الحقيقي مع الشّــعار يفرض علينــا أن نتوفّر على درجة عالية من الإيمان بهذا الشّــعار، وبحســب هذا المســتوى من الإيمان تتحدّد قدرة الشّــعار على الصــمود في مواجهة التحدّيات، فمــا لم نملك قوة إيمانيّة كبيرة بالشّــعار فإنّه يســقط ويتراجع وينهزم، فمســؤوليّتنا أن نُقوّي درجة الإيمان بهذا الشّــعار، ليكون صُــلبًا في مواجهة الهزّات والإرهاصــات والتحدّيات.

المكوّن الثالث: أن نملك جرأة الانتماء إلى الشّعار:

لا يكفي أن يعيش الشّــعار في داخل عقولنا، وفي داخل قلوبنا، لا بدّ من الجرأة في الإعلان عن هذا الشّعار.

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾(1).
- ﴿وَمَــنْ أَحْسَــنُ قَــوْلاً مِّمَّــن دَعَــا إِلَى اللهِ وَعَمِــلَ صَــالِحًا وَقَــالَ إِنَّنِــي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(2).

إطلاق الشّــعار يؤكّد الانتماء ويعبّر عن الهويّة، كثيرون يملكون القناعة ببعض الشــعارات ولكنهــم لا يملكون الجرأة في طرحهــا، أو أنّهم يطرحونها بشــكلٍ خجول، وحينمــا نؤكّد على مســألة الإعــلان والطرح لا يعنــي أن ينطلق الإنســان بلا وعي ولا بصــيرة ليطلق الشّعارات بلا حساب ولا دراســة لكلّ الحيثيّات والظروف الموضوعيّة، ولكلّ الأجواء التي يُراد تحريك الشّعار من خلالها، ليكن تعاملنا مع الشّعارات تعاملًا واعيًا وناضجًا حتى لا يفشل الشّعار في تحقيق أهدافه، ولا بدّ لنا حينما نريد أن نطلق

---

(1) فصّلت: آية ٣٠.

(2) فصّلت: آية ٢٣.

الشّعار أن ندرس كلّ النتائج والمعطيات، وكلّ الأرباح والخسائر على مستوى أهداف الشّعار.

المكوّن الرابع: أن نملك صدق التجسيد لشعار«معكم معكم لا مع عدوّكم»:

فهنا من خلال المكوّن الأول ثلاث دلالات هامّة: الانتماء الفكريّ والثقافيّ، الانتماء الروحيّ والأخلاقيّ والعمليّ، الانتماء الرساليّ والجهاديّ.

وفي هذا المكوّن الرابع نحاول أن نكتشف صدق التجسيد لتلك الدلالات، فهل نحن نملك تجسيدًا عمليًّا صادقًا لشعار «معكم معكم لا مع عدوكم»؟، أم هو مجرّد شعار نظريّ نطلقه في الفضاء؟، المهمّ كيف نحرّك الشّعار في واقعنا؟.

ومن أجل أن نكتشف مستوى التجسيد العمليّ لشّعار «معكم معكم لا مع عدوكم» يجب أن نطرح على أنفسنا الأسئلة التالية:

السؤال الأول:

ما هو مستوى التزامنا العمليّ بالنهج الفكريّ والثقافيّ للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، ونهج الأئمّة يعني نهج الإسلام الأصيل؟.

- هل الأفكار التي نحملها تُجسّد هذا النهج؟
- هل الأفكار التي نؤمن بها خاضعة لمعيار هذا النهج؟
- هل نمارس عمليّة التصدّي والمواجهة لكلّ الأفكار التي تعادي هذا النهج؟

السؤال الثاني:

ما هو مستوى التزامنا العمليّ بالنهج الروحيّ والأخلاقيّ والسّلوكي للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام؟

- جاء في وصية الإمام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي:

«يا جابر أيكتفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟، فو الله ما شيعتنا إلَّا من اتقى الله وأطاعه... من كان لله مطيعًا فهو لنا ولي، ومن كان

لله عاصيًا فهو لنا عدو، ولا تنال ولايتنا إلّا بالورع والعمل»[1].

- وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«من أحبّنا فليعمل بعملنا ويستعن بالورع»[2].

- وقال الإمام الصّادق عليه السلام:

«ليس من شيعتنا من قال [وافقنا] بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه، واتّبع آثارنا وعمل بأعمالنا أولئك شيعتنا»[3].

- وقال عليه السلام لابن جندب:

«يا ابن جندب بلّغ معاشر شيعتنا وقل لهم: لا تذهبنَّ بكم المذاهب، فو الله لا تُنال ولايتُنا إلّا بالورع والاجتهاد في الدّنيا، ومواساة الإخوان في الله، وليس من شيعتنا من يظلم الناس»[4].

- وقال عليه السلام:

«ليس منّا -ولا كرامة- من كان في مصرٍ فيه مائة ألفٍ أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحدٌ أورع منه»[5].

- جاء رجل إلى الإمام الصّادق عليه السلام وقال: جعلت فداك إنّ الشيعة عندنا كثيرٌ، قال له الإمام:

«هل يعطف الغني على الفقير؟ وهل يتجاوز المحسن على المُسيئ ويتواسون؟،

---

(١) الصّدوق: الأمالي، ص ٧٢٥، مجلس ٩١، ح٣. (ط١، ١٤١٧هـ، مؤسّسة البعثة)

(٢) الصّدوق: الخصال، ص ٦١٤، حديث الأربعمائة. (ط، ١٤٠٣هـ، جماعة المدرسين، قم – إيران).

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٥/ ٢٤٧، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، ب٢١، ح١٩. (ط. مؤسسة آل البيت عليهم السلام)

وما بين المعقوفين ورد في كتاب (أهل البيت في الكتاب والسنّة للريشهري، ص ٥٣٧، ح ١٢٨٢).

(٤) ابن شعبة الحرّاني: تحف العقول، ص ٣٠٣، (وصية أبي عبد الله عليه السلام لابن جندب. (ط٢، ١٤٠٤هـ، جماعة المدرسين)

(٥) الكليني: الكافي ٢/ ٨٢، كتاب الإيمان والكفر، ب٣٧ (الورع)، ح١٠. (ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار الأضواء)

قال: لا، قال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا»[1].

السؤال الثالث:

ما هو مستوى التزامنا العمليّ بالنهج الرساليّ والجهاديّ للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام؟

- هل نرفض الظّلم والباطل والفساد والانحراف؟
- هل ندافع عن الإسلام؟
- هل نواجه المشروعات التي تحارب الدّين وقِيَم الدين؟
- هل نعيش الصّمود والثبات على المبدأ في مواجهة كلّ التحدّيات؟
- هل نعيش الاستعداد للموت والشّهادة من أجل العقيدة الحقّة؟
- إنَّ نهج الأئمّة عليهم السلام نهج الجهاد والعمل والعطاء والتضحية والشّهادة، وليس نهج الاسترخاء والضّعف والنوم والانهزام.

رحم الله السيد داوود العطّار حيث قال:

واليت آل محمد وأخذت عنهم كلّ عادة.
أنا لم أر منهم إمامًا مات وهو على الوسادة.
حتى الذي قد جاوز الستين لم يترك جهاده.
حتى العقائل منهمُ قارعن من غصبوا السيادة.
أنا لا أرى في الموت دون عقيدتي إلّا سعادة.

المكوّن الخامس: أن نملك حرارة الدفاع عن شعار «معكم معكم لا مع عدوكم»:

- هل نواجه كلّ محاولات المصادرة لهذا الشّعار؟
- هل نضحّي من أجل شعار «معكم معكم لا مع عدوكم»؟

إذا كنّا كذلك فنحن صادقون حينما نردّد هذا الشعار.

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٨١، ب٧٥ (حقّ المؤمن على أخيه)، ح١١.

ميثم التمّار رضوان الله عليه **: جسّد بكلّ صدقٍ هذا الشّعار، شعار «معكم معكم لا مع عدوكم» وضحّى من أجله.**

- قال له أمير المؤمنين عليه السلام : كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعيّ بني أميّة – عبيد الله بن زياد– إلى البراءة منّي؟
- ميثم: يا أمير المؤمنين أنا والله لا أبرأ منك.
- أمير المؤمنين عليه السلام: إذًا والله يقتلك ويصلبك.
- ميثم: أصبر، فذاك في الله قليل.
- أمير المؤمنين عليه السلام: يا ميثم إذًا تكون معي في درجتي[1].

وكان ينتظر ذلك اليوم بلهفة وشوق.

وجاء اليوم الموعود، أحضروه وطلبوا منه التخلّي عن خطّ آل محمد صلى الله عليه وآله، طلبوا منه البراءة من عليّ بن أبي طالب، رفض ميثم بكلّ شموخ وعنفوان وصلابة، وهو يعلم كلّ العلم ثمن هذا الموقف، أمروا بأن تقطع يداه ورجلاه وأن يصلب، ولمّا صُلب على جذع نخلة وهو مقطوع اليدين والرجلين، والدماء تنزف منه، تجمهر الناس لرؤيته، وجدها فرصة مناسبة جدًا أن يواصل جهاده المبدئي، وأن يؤكّد ولاءه، وأن يعبّر بصدق عن شعار «معكم معكم لا مع عدوكم» فأخذ يخطب في الناس الذين تجمهروا حوله وراح يحدّثهم بفضائل أمير المؤمنين وفضائل أهل البيت عليهم السلام ، حاولوا إسكاته إلّا أنّه أصرّ أن يواصل جهاده، فطعنوه بحربة ظالمة، أودت به شهيدًا في خطّ الولاء والعقيدة.

ابن السكّيت: جسّد بكلّ صدق هذا الشّعار، وضحّى من أجله...

- قال له المتوكّل (وكان ابن السكّيت معلمًا لأولاده): أيّهما أحبّ إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين [ابنا عليّ بن أبي طالب]؟

كانت دنيا المتوكّل أمام عينيه، وكان الذّهب بكلّ بريقه يخاطبه، وكان السيف والجلّاد والنطع في انتظار الكلمة التي تخرج من فم ابن السكّيت...

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ٢٢٧، كتاب الأمر والنهي، أبواب الأمر والنهي، ب٢٩، ح٧. (ط. مؤسسة آل البيت عليهم السلام)

مرّت في داخله الأسئلة والخواطر:

ما قيمة دنيا المتوكلّ؟

ما قيمة ذهب المتوكلّ؟

ما قيمة السيف، الجلّاد، كلّ وسائل القمع والإرهاب؟

- وقالها كلمة صامدة شامخة عملاقة تتحدّى كلّ الإغراءات والمساومات، وتتحدّى كلّ الطغيان والجبروت، قالها ابن السكّيت كلمة جريئة: «والله إنّ قنبرًا خادم علي عليه السلام خير منك ومن ابنيك»[1] صدر الأمر بقطع لسانه، وامتد السيف الظالم ليقطع رأسه، وسقط شهيدًا في خطّ الولاء والعقيدة.

الشهيد السَّيد محمد باقر الصدر قدس سره جسّد بكلّ صدق شعار «معكم معكم لا مع عدوكم» وضحى من أجله.

- قال كلمته الجريئة في وجه طاغية هذا العصر صدّام المجرم، وهو رضوان الله عليه يعلم بكلّ وضوح ماذا تعني الكلمة في وجه هذا الطاغية، وهو يعلم كلّ العلم ماذا يعني الثّمن لهذا الموقف، لقد أصدر فتواه بحرمة الانتماء لحزب البعث وهو يعلم ماذا تكلّفه هذه الفتوى.

- وأعلن موقفه بكلّ شموخ وصلابة في دعم الثورة الإسلاميّة في إيران وهو يعلم أنّ ذلك يكلّفه حياته ولم تثنه كلمات المخذّلين والمجبّنين والمخدّرين، كان يقول في ردّ هذه الكلمات: «إنَّ هؤلاء الذين يطلبون منّي أن أتريّث وأن اتخذ موقفًا من الثورة الإسلاميّة لا يُثير السّلطة الحاكمة في العراق حفاظًا على حياتي ومرجعيّتي لا يعرفون من الأمور إلّا ظواهرها، إنّ الواجب على هذه المرجعيّة وعلى النجف كلّها أن تتّخذ الموقف المناسب والمطلوب تجاه الثورة الإسلاميّة في إيران، ما هو هدف المرجعيّات على طول التاريخ؟ أليس هو إقامة حكم الله عزّ وجلّ على الأرض؟ وها هي مرجعيّة الإمام الخميني قدس سره قد حقّقت ذلك،

(١) التستري: قاموس الرجال ١١/١٢٨، رقم ٨٤٨٣ ترجمة ابن السكّيت يعقوب ابن إسحاق. (ط١، ١٤٢٢هـ، جماعة المدرسين، قم -- إيران)

فهل من المنطقي أن أقف موقف المتفرّج، ولا اتّخذ الموقف الصحيح والمناسب حتّى لو كلّفني ذلك حياتي وكلّ ما أملك؟!».

- وقال قولته الشهيرة التي طالب فيها طلابه الذين هاجروا إلى إيران أن يذوبوا في الإمام الخميني وفي مرجعيّته كما ذاب هو في الإسلام وفي أهداف الإسلام، واستمرّ السيد الصدر يتحدّى النظام الغاشم، واستمر يوجّه نداءاته إلى الشّعب العراقي المظلوم، وهو يخاطبه: «أيّها الشعب العراقي المسلم، إنّي أود أن أؤكّد لك -يا شعب آبائي وأجدادي - أنّي معك وفي أعماقك، ولن أتخلّى عنك في محنتك،وسأبذل آخر قطرة من دمي في سبيل الله من أجلك».

أيّها الشهيد الصدر العظيم...

هذا هو شعب آبائك وأجدادك في العراق بعد أن تحرّر من قبضة الطاغية صدّام، أصبح أسيرًا تحت رحمة الغطرسة الأمريكيّة الطائشة...

هذا هو شعب آبائك وأجدادك في العراق يتساقط أبناؤه، رجاله، نساؤه، أطفاله ضحايا قصف الطيران الأمريكي، وضحايا نيران قوات الاحتلال الجاثم على صدر العراق...

هذا هو شعب آبائك وأجدادك في العراق يعيش المحنة العمياء، احتلال كافر، بقايا النظام البائد تعبث بالأمن، قوى الشّر الحاقدة تنشر الرعب، صنّاع الفتنة يتحرّكون، أصحاب الأطماع يسرقون كلّ شيء على أرض العراق...

أيّها الشهيد الصدر...

هذا هو شعب آبائك وأجدادك يحترق بكلّ هذا الواقع المأزوم الذي يعيشه، والعالم صامت، ومنظّمة الأمم صامته، ومجلس الأمن صامت، والمؤسّسات الدوليّة صامتة، وأنظمة الدول العربيّة والإسلاميّة صامتة، والشارع العربي والإسلاميّ صامت...

أيّها الشهيد الصدر،

وهذه ذكرى استشهادك تطلّ على شعب العراق، وهذه ذكرى دمك الطاهرة، ودم شقيقتك العلويّة التي شاركتك مشوار الجهاد والشهادة، تطلّ على أبناء أمّتك والقلوب المؤمنة ضارعة إلى الله سبحانه، متوسّلة بجهادك، بصبرك، بعطائك، بتضحياتك، بدمك الزكي، وبدم الطاهرة أختك بنت الهدى، وبكلّ الدماء التي سالت على أرض العراق من أجل المبدأ والعقيدة...

بدءًا من الدم المقدّس الذي تروّى منه محراب الكوفة يوم هوى السيف الغادر على مفرق أمير المؤمنين عليه السلام... ومن الدم المقدّس الذي تروّت منه رمال كربلاء دم الشهيد السبط الحسين عليه السلام، ودم الصفوة من أهل بيته وأصحابه...

وانتهاءً بآخر قطرة دم حرام تسقط على أرض العراق، وعلى أرض فلسطين، وعلى كلّ أرض تحتضن الشهداء والمجاهدين...

بهذه الدماء نتوسّل إلى الله عزّ وجلّ أن يحمي شعبنا في العراق، وشعبنا في فلسطين، وكلّ شعوبنا في كلّ مكان، من كلّ المحن والفتن والمكائد والمؤامرات، ومن كلّ العبث والمفاسد والضّلالات، ومن ظلم الظالمين، وكيد الطغاة والمجرمين، وجور الجائرين، وبغي الأعداء المتربّصين، ومن كلّ الذين يريدون بهذه الأمّة سوءًا، وبهذا الدّين كيدًا، وبهذه الشريعة شرًّا، إنّه تعالى سميع مجيب، متفضّل منّان.

القسم السادس

دور الإمام السجّاد عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام في عاشوراء وما بعدها

- دور العقيلة زينب في ثورة الإمام الحسين عليه السلام.
- دور الإمام السجاد عليه السلام والحوراء زينب عليها السلام ما بعد عاشوراء.
- في ذكرى الأربعين ماذا أراد الإمام الحسين عليه السلام لعاشوراء؟

١

دور العقيلة زينب عليها السلام
في ثورة الإمام الحسين عليه السلام [١]

لا يسعنا ونحن نتحدّث عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام أن نغفل دور العقيلة زينب ابنة أمير المؤمنين عليها السلام، إنّها كانت حقًّا بطلة كربلاء.

إنّ خطاب المنبر الحسينيّ يُحاول دائمًا أن يُكرّس شخصيّة زينب المأساويّة، زينب النّادبة المفجوعة الثّاكلة، ونحن لا نشكّ في أهميّة هذا الجانب وضرورة التأكيد عليه، فالمأساة هي نبض القضيّة الحسينيّة، وعنوانها المتحرّك الذي أعطاها القدرة في اقتحام القلوب والأرواح والمشاعر، وأعطاها القدرة في البقاء والديمومة والاستمرار.

إنّ الذين يحاولون أن يُجمّدوا العاطفة والمأساة والحزن والبكاء في قضيّة عاشوراء يريدون أن يُصادروا نبض القضيّة، ووهج القضيّة، وحركة القضيّة.

فنحن نصرّ أن يؤكّد خطاب عاشوراء عنصر المأساة في شخصيّة زينب، ولكن بشرط أن يُحافظ هذا الخطاب على شخصيّة زينب العالمة، وشخصيّة زينب الصابرة، وشخصيّة زينب الصامدة، وشخصيّة زينب المجاهدة، وشخصيّة زينب التي تحمل العزّة والشّموخ والعنفوان.

إنّنا نرفض أن يُقدّم الخطابُ العاشورائيّ زينبَ ابنةَ أميرِ المؤمنين عليها السلام شخصيّةً ذليلةً، ضعيفةً، حائرةً، لا تملك وعي الموقف، ولا تملك صلابة الموقف، قد أربكها المصاب، وأذهلها الخطب، ممّا أفقدها القدرة على مواجهة مسؤوليّة الموقف...

---

(١) حديث ليلة الجمعة ٢٠ محرم ١٤٢٥هـ، في مسجد الصادق عليه السلام - القفول.

هذه الصـورة التي تعرضـها بعض خطابات المنبر الحسـينيّ للسـيّدة العقيلة زينب ابنة أمير المؤمنين عليها السلام وبعض خيالات الشّعر الرثائي، ولا تنسجم مع شخصيّة زينب بطلة كربلاء، صورة فيها الكثير من الاهتزاز والضعف.

وإنّ الرغبة في اسـتدرار الدّموع والعبرات لا تبرّر أبدًا أن نجور على شخصـيّة زينب المجاهدة الصّامدة الصابرة.

إنّ الحوراء زينب ابنة أمير المؤمنين عليها السلام كانت تحمل مسـؤوليّةً كبيرة وخطيرة في حركة الثورة الحسـينيّة، وقد تمثّلت هذه المسؤوليّة في أدوار كثيرة مارستها السيّدة زينب عبر مراحل الثورة الحسينيّة...

ويمكن أن نعرض بإيجازٍ إلى بعض هذه الأدوار:

الدور الأول:

العقيلـة زينب ابنة أمـير المؤمنين عليها السلام وقفت مع أخيها الحسـين منذ بدايات الثورة:

كانـت تحمل معه أهداف الثورة، وهمـوم الثورة، وأعباء الثورة، وحركة الثورة، منذ البداية الأولى لانطلاق النهضة الحسينيّة...

إذا فشـل الكثير من الرجال الكبار في ذلك العصـر أن يستوعبوا حركة الإمام الحسـين عليه السلام، وأن يفهموا أهداف ثورته؛ فإنّ السـيّدة زينب ابنة أمير المؤمنين كانت واعيةً كلَّ الوعي وهي تقف مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام.

صـحيحٌ أنّ زينـب عليها السلام خرجـت مـع أخيهـا الحسـين امتثـالًا لأمـر القيادة المعصـومة، وطاعةً للتكليف الإلهي إلّا أنّها كانت على بصـيرة من أمرها، كانت تملك رؤيـة واعيـة بكلّ منطلقات الثورة، وبـكلّ أهداف الثورة، وبكلّ مسـارات الثورة، وبكلّ تضحيات الثورة، لم تفاجئها الأحداث والنتائج، كانت على علم ومعرفة بكلّ المجريات والحسـابات كونهـا القريبة جدًا من أخيها الحسـين عليه السلام فأعطاهـا عقلًا من عقله، ورؤيةً من رؤيته، وبصيرةً من بصيرته، وصمودًا من صموده، وصبرًا من صبره.

هكذا كانت الحوراء زينب عليها السلام وهي تُشكّل مفصلًا هامًّا في مفاصل الثورة الحسينيّة، وهي تنتمي بوعي وبصيرة إلى حركة الثورة الحسينيّة، وهي تُشاطر بصدقٍ أخاها الحسين أعباء ثورته المباركة.

وعند هذا المقطع في حديثنا عن بطلة كربلاء نقف قليلًا لنتمثّل درسًا كبيرًا من حياة هذه البطلة العظيمة إنّه درس الوعي والبصيرة في الانتماء.

أيّها الرجال، وأيّتها النساء، أيّها الشبّان، وأيّتها الشابّات في هذا العصر المملوء بالتجاذبات والصراعات، والمملوء بالخطوط والانتماءات، تعلّموا من زينب كربلاء معنى الانتماء، ووعي الانتماء، وقرار الانتماء، حينما تقفون أمام الخيارات الثقافيّة أو السِّياسيّة أو الاجتماعيّة، حينما تقفون أمام المشروعات المتعدّدة، فيجب أن يكون انتماؤكم واعيًا، وأن يكون قراركم واعيًا.

وماذا يعني وعي الانتماء؟ وماذا يعني وعي الاختيار؟ وماذا يعني وعي القرار؟

كونكم مسلمين تؤمنون بالإسلام، ومبادئه، وأحكامه، وقِيَمه، فانتماؤكم لأيٍّ خطٍّ ثقافيٍّ أو سياسيٍّ أو اجتماعيٍّ وانحيازكم أمام الخيارات، وإعطاؤكم الكلمة والموقف في كلّ القرارات يجب أن يكون كلّ ذلك خاضعًا لمعايير الإسلام، معايير الإسلام فقط، وإلّا كنتم تتناقضون مع إسلامكم ومبادئكم وقِيَمكم.

هل المطلوب منا كمسلمين نؤمن بالإسلام ومبادئه وقِيَمه أن نستعير (معايير) من الغرب أو الشرق لنحدّد من خلالها انتماءاتِنا واختياراتِنا، وقراراتِنا؟

الناس الذين لا يؤمنون بحاكميّة الإسلام، ولا بحاكميّة الشريعة، يجدون لأنفسهم مبرّرًا حينما يستعيرون معايير أخرى لا تلتقي مع معايير الدّين، ويجدون لأنفسهم مبرّرًا حينما يقبلون ويرفضون وِفْق هذه المعايير المستعارة، أما الذين يؤمنون بالإسلام ومبادئه وقِيَمه وحاكميّته، فلا يسعهم أن يتجاوزوا معايير الإسلام، ولا يملكون أيّ خيارٍ في ذلك.

إنّها ليست وصاية على الأفكار، وعلى الآراء، كما تُروّج لذلك مقولات العلمنة والتغريب الثقافي والسّياسيّ والأخلاقيّ، إنّه الانتماء القائم على أساس الوعي والبصيرة.

حينما نرفض مشروعًا يتنافى مع معاييرنا الإسلاميّة، ومع قيَمنا الدينيّة، يرتفع الضّجيج من قِبَل أولئك المصبوغين بصبغة العلمنة والتغريب أنّ هذا وصاية على أفكار الناس، وتدخل في اختيارات الناس، وهيمنة على المزاجات الشخصيّة، فالإنسان حرٌّ في أن يذهب إلى المسجد أو أن يذهب إلى الملهى، والإنسان حرٌّ أن يحضر ندوة ثقافيّة أو تربويّة أو أن يحضر حفلًا غنائيًّا راقصًا، والإنسان حرٌّ أن يُشاهد برنامجًا دينيًّا أو أن يُشاهد برنامجًا لا دينيًّا، فلم تمنعون الناس أن يُمارسوا حريّتهم، وهل الدّين قائمٌ على أساس الإكراه والإجبار؟

هذا منطقٌ خاطئٌ ويحمل مغالطة واضحة، صحيحٌ أنّ القناعة الإيمانيّة لا تُفرض بالقهر والإكراه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1]، فالإنسان يتحمّل مسؤوليّة قناعاته واختياراته، ويتحمّل مسؤوليّة أعماله وممارساته ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2].

هذا لا يعني أن يتجمّد الموقف من ظواهر الفساد والانحراف، ومن مشروعات الفسوق والفجور، إنّ مسؤوليّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسؤوليّة التصدّي لكلّ المشروعات التي تهدّد قِيَم المجتمع وأخلاق الناس، ومسؤوليّة الرقابة الثقافيّة والروحيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة، هذه مسؤوليّات تفرضها طبيعة الانتماء إلى الإسلام، وطبيعة الانتماء إلى الدّين، إنّها الحصانة التي تحمي المجتمع وتحمي الناس، وتحمي العلاقات، كما هي الحصانة الصحيّة ضدّ الأمراض البدنيّة، ثمّ نقول لهؤلاء:

- هل تُعطون الإنسان الحقّ في أن يُصادم (الثوابت الوطنيّة) بأيّ معنى فسرتم الثوابت الوطنيّة؟
- هل تُعطون الإنسان الحقّ في أن يُصادم (القِيَم السِّياسيّة) التي تُشكّل قناعات

---

(١) البقرة: آية ٢٥٦.

(٢) الزلزلة: الآيتان ٧ – ٨.

لكلّ الشعب؟

- هل تُعطون الإنسان الحقّ في أن يُصادم (الدستور والميثاق)؟
- هل تُعطون الإنسان الحقّ في أن يُصادم (القوانين والأنظمة)؟
- من الواضح أن جوابكم سيكون (لا) وبكلّ تأكيد...
- فلماذا يكون للإنسان الحقّ في أن يُصادم (القيم الدينيّة)؟
- ولماذا يكون للإنسان الحقّ في أن يُصادم (القرآن والسّنة)؟
- ولماذا يكون للإنسان الحقّ في أن يُصادم (أحكام الله وشريعته)؟

الدور الثاني:

من الأدوار الكبيرة التي مارستها بطلة كربلاء في حركة الثورة الحسينيّة:

الحضور الفاعل في يوم عاشوراء:

كان للسيّدة زينب ابنة أمير المؤمنين عليه السلام حضورها الكبير في يوم عاشوراء، اليوم الذي شهد أحداث المأساة الكبرى، وشهد أروع الأمثلة في البطولة والجهاد.

ماذا كان دور الحوراء في معركة الطّف وفي يوم عاشوراء؟

يمكن أن نُشير إلى بعض المقاطع من هذا الدور:

- شاركت أخاها الإمام الحسين عليه السلام هموم المعركة، وآلام المأساة...
- كانت تقف إلى جانبه تبارك صموده، تخفّف أتعابه، تشاطره الآهات والزفرات، تتابع معه أحداث القتال، تواسيه وهو يؤبن شهيدًا تلو شهيد...
- وأخيرًا قدّمت له بيدها جواد المنيّة حينما صمّم الإمام الحسين على الموت...
- وبقيت معه بقلبها، بمشاعرها، ببصرها، وهو يقاتل وحيدًا فريدًا إلى أن توسّد تراب كربلاء مضرّجًا بالدّماء...

وفي لحظةٍ هي الأعظم شموخًا وصلابة وعنفوانًا في جهاد الحوراء زينب،

حينما جلست عند الجسد المقدّس، وجدته مبضّعًا بالسّيوف والرّماح، مهشّم الصدر والأضلاع، مقطوع الرأس، وضعت يديها بكلّ ثباتٍ وصبر وإيمان تحت الجسد الطاهر، وشدّت طرفها إلى السماء، وكلماتها الضّارعة إلى الله عزّ وجلّ تقول: «اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان»(١).

١- ومن المهام الصعبة التي تحمّلت مسؤوليّتها الحوراء زينب عليها السلام في يوم عاشوراء رعاية وحماية النساء والأطفال...

وكانت مهمّة قاسية جدًا، حاولت الحوراء عليها السلام بقلبها الكبير، وصبرها العظيم أن ترعى عددًا كبيرًا من النساء الثكالى، وعددًا كبيرًا من الأطفال اليتامى في أحرج الظروف وأصعبها، ولعلّ الأوضاع بعد انتهاء المعركة أشدّ وأقسى حيث تعرضت الخيام إلى الحرق والهجوم وتعرّضت النساء والأطفال، إلى السلب والنهب وضرب السّياط.

٢- ومهمّة أخرى من مهامّ الحوراء عليها السلام، حماية بقيّة الذريّة الطاهرة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وامتداد الإمامة، عليّ بن الحسين زين العابدين...

وكان مثقلاً بالعلل والأمراض ممّا ضاعف العبأ والمسؤوليّة على زينب ابنة أمير المؤمنين عليها السلام، فهي معنيّة أن تحافظ على الإمام السّجاد عليه السلام وهي معنيّة أن تشاركه مسؤوليّة المرحلة الصعبة، وقد استطاعت ابنة الزّهراء أن تؤدّي مهمّتها بكلّ كفاءةٍ وجدارة وبكلّ ثباتٍ وصبرٍ وصمود.

هذه بعضُ مهامٍّ تحمّلت مسؤوليّتها بطلة كربلاء في يوم عاشوراء...

وهنا لا بدّ من وقفة استلهام...

فزينب الصمود والصبر والجهاد مدرسة لكلِّ الأجيال...

وهنا نخاطب المرأة في هذا العصر أن تتمثّل صمود، وصبر، وجهاد، وعبادة، وتقوى، وعفة، وأخلاق زينب ابنة أمير المؤمنين عليها السلام ...

---

(١) القرشي: حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢/ ٣٠١. (ط١، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، دار الآداب، النجف – العراق)

فيجب أن تكون زينب ابنة أمير المؤمنين عليه السلام حاضرة في حركة هذا الجيل المعاصر من نساء الأمّة، من شابّات الأمّة، من فتيات الأمّة.

أليس من المؤسف جدًا أن تبحث المرأة المسلمة في هذا العصر عن نماذج من الغرب ومن الشرق، وأن تستعير تجارب من هنا وهناك، وأن تستدعي قوانين تتنافى مع أحكام دينها، وأن تنبهر بشعارات خادعة زائفة، وأن تلهث وراء السّرابات الكاذبة، في الوقت الذي تملك أمتُنا دينًا هو الأرقى في أحكامه وتشريعاته، والأرقى في أفكاره ومبادئه، والأرقى في قِيَمه وأخلاقه، والأرقى في أصالته وحداثته.

في هذا الأسبوع احتفل العالم بيوم المرأة العالميّ، واحتفلت بلداننا العربيّة والإسلاميّة بيوم المرأة العالميّ، وامتلأت صحافتنا وقنوات إعلامنا بالحديث عن يوم المرأة العالميّ، وعن حقوق المرأة، وعن قضايا المرأة، وعن نضال المرأة، وعن انتصارات المرأة، وعن انجازات المرأة.

ولكن أخبروني هل قرأتم في مقالات الصّحف، وهل سمعتم في أحاديث الإعلام، وفي الملتقيات والمنتديات إشارة من قريب أو بعيد عن الإسلام، وإلى رموز الإسلام في دنيا المرأة، وهذا التهميش لم يكن عفويًّا، إنّه المشروع التغريبيّ الذي يحاول أن يصوغ وعي المرأة في مجتمعاتنا بعيدًا عن الإسلام، وأن يصوغ ثقافة المرأة بعيدًا عن الإسلام، و أن يصوغ أخلاق المرأة، وسلوك المرأة، وطموحات المرأة، وقوانين المرأة، وفعّاليّات المرأة، ومؤسّسات المرأة، وجمعيّات المرأة، أن يصوغ كلّ ذلك بعيدًا عن الإسلام، ومبادئ الإسلام، وقِيَم الإسلام.

إنّنا نسأل جمعيّات المرأة في بلدنا، ومؤسّسات المرأة، والناشطات باسم المرأة، وكلّ الذين يدّعون أنّهم يُناصرون قضايا المرأة:

إذا كان اليوم العالمي للمرأة هو المناسبة التي يُكرّس فيها الحديث عن المرأة، فلماذا يغيب الإسلام في خطاب هذه المناسبة؟

ولماذا يغيب جهاد المرأة المسلمة في خطاب هذه المناسبة؟

ولماذا تغيب رموز الإسلام النسائيّة في خطاب هذه المناسبة؟

أمـا كان مناسـبًا والأمّة تعيش ذكرى عاشـوراء أن نجد في كلمـات ومقالات وأحاديث هؤلاء الذين استنفروا أقلامهم وخطابهم في يوم المرأة العالميّ شيئًا من الكلام عن بطلة كربلاء زينب ابنة أمير المؤمنين عليه السلام، بطلة الجهاد والصّمود والعطاء والتضحية؟

أما كان مناسبًا أن نذكّر أجيالنا ونسائنا وبناتنا في اليوم العالميّ الذي خصّصوه للمرأة، بالمجاهدات الكبيرات في تاريخ أمّتنا؟

هذه تساؤلات نضعها بين يديّ هذه المناسبة؟



دور الإمام السجاد عليه السلام والحوراء زينب عليها السلام ما بعد عاشوراء

انتهت معركة الطّف، وسقط الإمام الحسين عليه السلام شهيدًا على أرض كربلاء، مسجلًا أروعَ ملحمةٍ في تاريخِ الجهادِ والشّهادةِ، وأعطى أبطال الطّف دماءَهم ثمنًا للمبدأ والعقيدة.

وماذا بعد يوم الطّف؟

جاء دور الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وجاء دور الحوراء زينب عليها السلام ابنة أمير المؤمنين عليه السلام ...

ما هو هذا الدور؟

تمثّل دور الإمام السَّجّاد عليه السلام ودور الحوراء زينب عليها السلام في الأهداف التالية -والحديث عن قضيّة الثورة الحسينيّة-:

الهدف الأول: تصدير الثورة من كربلاء:

من خلال:

١- التعريف بهويّة الثورة الحسينيّة: أهداف الثورة، منطلقات الثورة، مبرّرات الثورة، نتائج الثورة.

٢- التعريف برموز الثورة الحسينيّة، جهادِهم، مواقِفهم، بطولاتِهم،

تضحياتِهم.

٣- إبـراز الجانب المأسـاويّ في أحداث كربلاء، وما صـدر عـن جيش النظام الأمويّ من مجازر رهيبة، وجرائم فظيعة يندى لها جبين الإنسانيّة.

٤- ربط الأمّة فكريًّا وعاطفيًّا بالثورة الحسينيّة وبأهدافها ومنطلقاتها.

الهدف الثاني: تحريك الغضب الجماهيريّ ضدّ النّظام وأعوان النّظام الأمويّ الذي ارتكب جريمة كربلاء:

ولعلّ بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام أحد أساليب تحريك الغضب عند صانعي مأساة كربلاء، وهكذا كان بكاء الإمام زين العابدين أسلوبًا جهاديًّا استهدف:

أ- شدّ الأمّة عاطفيًّا إلى قضيّة الحسين عليه السلام.

ب- ربط الأمّة فكريًّا بأهداف الحسين عليه السلام.

ج- تأجيج الرّوح الناقمة عند الجماهير.

وهنا نؤكّد على أهميّة توظيف الغضب الجماهيريّ ضدّ صنّاع الجريمة، وصنّاع الحروب الظالمة، وصنّاع المآسي الإنسانيّة، في كلّ الأعصر والأزمان.

وفي هـذه الأيام حيث تقود أمريكا حربًا ظالمة مدمّرة ضـدّ شـعبنا المسـلم في العـراق، متجـاوزة كلّ القِيَـم والموازين الدينيّـة والأخلاقيّة، وكلّ الأعـراف والمبادئ الإنسـانيّة والدوليّة، ومن أجل أن تفرض هيمنتها وأن تفرض مشـروعها الاستعماريّ على المنطقة وشعوب المنطقة، لتصـادر هويّتنا الروحيّة والأخلاقيّة والثقافيّة، وتُجذّر وجودها الاقتصاديّ والسّياسيّ والأمنيّ والعسكريّ.

في هـذه المرحلة الخطيرة وأمام هذا المشـروع الخطير يجب أن تتعبّأ شـعوبنا وجماهير أمّتنا ضـدّ أمريكا، ويجب أن يتحرّك الغضـب والرفض ضـدّ أمريكا وضدّ العدوان الأمريكي وضدّ المشروع الأمريكيّ.

ومن الخيانة لأهدافنا وقِيَمنا ومبادئنا أن نعمل على مصادرة هذا الغضب... وحينما نؤكّد على مسـؤوليّتنا في اسـتنفار الغضـب الجماهيريّ فإنّنا في الوقت نفسه نؤكّد على أمرين هامّين:

الأمر الأول:

أن يكون الغضــب الجماهيري محكومًا بضــوابط الدّين، وقِيَم الإســلام، ممّا يُعطي لهذا الغضب مشروعيّته وقدسيّته، وروحيّته الإيمانيّة، فيجب أن يتحرّك الغضب ضمن أســاليب الدّين والشّرع، وهنا تأتي خطورة أن تتحرّك الجماهير مستجيبة لأيّ قيادة دون أن تحدّد هويّتها وشرعيّتها...

الأمر الثاني:

الوعي والعقلانيّة حتى يحقّق الغضــب الجماهيريّ أهدافه، وغاياته المشروعة، وإلّا أصبح الغضب انفعالًا منفلتًا يُسيئ إلى الأهداف والغايات والمنطلقات المشروعة.

وفي ضــوء هذين الأمريــن جاء تأكيد الخطــاب العلمائيّ أن يلتــزم جماهيرنا في مســيراتهم الغاضــبة ضــدّ العدوان الأمريكي البريطاني أن تلتزم هذه الجماهير الضــوابط الشــرعيّة وقِيَم الأخلاق بعيدًا عن التســبّب في إرباك الاســتقرار والهدوء والأمن، والاعتداء على الممتلكات العامّة والخاصّة...

وإذا كنّا نطلب من الجماهير أن تُمارس التعبير عن غضــبها بأســاليب سلميّة واعية، فإنّنا في الوقت ذاته نطالب السّلطة أن تكون أكثر عقلانيّة ومرونة في التعامل مع التظاهرات الاحتجاجيّة والتي ربّما يقودها الحماس والانفعال إلى بعض التصرّفات، فاعتماد أساليب العنف في التصدّي والمواجهة ممّا يُعرِّض الأرواح والأنفس للخطر له آثاره ونتائجه الصــعبة، كما أن معالجة أسباب الإحباط والمعانات لدى هؤلاء الشباب مــن أبنــاء هذا الوطــن يُســاهم في التخفيف من حــالات التوتّــر والتشــنّج والانفعال والانفلات.

أنــا لســت مع لغة التحريض ضــدّ هؤلاء الشــباب مــن أبنائنا، ولســت مع لغة الاتهامات والإدانات، بل يجب أن نتعامل معهم بلغة الحبّ والتوجيه بأسلوب التوظيف الهادف لغضبهم المشروع.

الهدف الثالث: مواجهة الإعلام الأموي المضّاد لثورة كربلاء:

وللدور الذي مارسه الإمام زين العابدين عليه السلام ومارسته الحوراء زينب عليها السلام هدفٌ ثالثٌ كبير وهو مواجهة الإعلام الأمويّ المضادّ لثورة كربلاء، فقد مارس هذا الإعلام تشويهًا كبيرًا للثورة الحسينيّة، ولرموز الثورة الحسينيّة، ممّا فرض على الإمام زين العابدين عليه السلام والحوراء زينب عليها السلام التصدّي لهذا الإعلام المضلّل وتعرية أكاذيبه.

أنقل لكم هذا المقطع التاريخيّ والذي يُعبّر بوضوح عن حجم التضليل الإعلاميّ الذي مارسه الأمويون ضدّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

تُحدّثنا روايات التاريخ[1] أن قافلة الأُسارى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم حينما وصلت إلى الشّام، كانت الجماهير قد احتشدت وتجمهرت ابتهاجًا بالنصر الكبير الذي حقّقه أمير المؤمنين يزيد بن معاوية على المتمرّدين الخارجين عن الدّين وعن جماعة المسلمين، وضمن هذا الحشد الكبير يقف شيخ كبير، فما إن أبصر قافلة الأسرى حتى تحرّكت شفتاه بالدّعاء قائلًا: (الحمد لله الذي خذلكم وقتل رجالكم ونصر أمير المؤمنين يزيد عليكم).

هكذا صنع الإعلام المضلّل...

تصل الكلمات إلى سمع الإمام زين العابدين عليه السلام فالتفت إلى الشيخ المسكين وهو أحد ضحايا التضليل وخاطبه:

- ■ يا شيخ هل قرأت القرآن؟
- - فيجيب الشيخ بكلّ استغراب: وما أنتم والقرآن؟

تصوّروا الإعلام قال للناس أنّ هؤلاء الأسرى لا علاقة لهم بالدّين..

- ■ يكرّر الإمام السّجاد سؤاله: يا شيخ هل قرأت القرآن؟
- - نعم قرأت القرآن.
- ■ يا شيخ هل قرأت قوله تعالى «قل لا أسألكم عليه أجرًا إلّا المودة في القربى»

---

(١) راجع ص (١٨٧ - ١٩٠) من هذا الكتاب.

- نعم قرأتها..
- ■ فنحن القربى يا شيخ..
- صرخ الشيخ: بالله عليك أنتم هم؟ وأخذ يردّد بالله عليك أنتم هم؟
- ■ والإمام يقول: وحقّ جدّنا رسول الله إنّا لنحن هم.
- فانفجر الشيخ باكيًا: الله أكبر آل رسول الله أسارى، ثمّ التفت بعينٍ مملوءة بالدّموع والانكسار إلى الإمام زين العابدين: يا ابن رسول الله هل لي من توبة؟.
- ■ نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا.
- صاح الشيخ اللهمّ إنّي تائب اللهمّ إنّي تائب.

وما إن أنهى الشيخ كلماته حتى تلقّتها أجهزة المخابرات الأمويّة وصدر القرار بإعدامه فسقط رأسه ثمنًا لوعيه وجرأته.

الحرب على العراق والتضليل الإعلاميّ:

وعند هذا المنعطف من الحديث، حديث التضليل الإعلاميّ نجد أنفسنا وفي هذا الظرف الراهن، والحرب المجنونة على العراق يتصاعد أوارها نجد أنفسنا مضطّرين أن نتناول «المبرّرات» التي تطرحها أمريكا في حربها ضدّ العراق...
فماذا يقول بوش، وماذا يقول إعلام أمريكا عن هذه المبرّرات؟

المبرّرات - وفق الإعلام الأمريكي - هي:

- إسقاط النظام من أجل إنقاذ شعب العراق من تاريخ الظّلم والقهر والعذاب.
- نزع أسلحة الدّمار الشامل.
- مكافحة الإرهاب.

هذه مبرّرات ثلاث طرحها إعلام الحرب الأمريكيّة فما هي رؤيتنا حول هذه المبرّرات؟

إنّها مبرّرات لا مصداقيّة لها، وإنّها مبرّرات كاذبة، لماذا؟

أولًا:

كلّ الأنظمة السِّياسيّة الفاسدة التي حكمت العراق كانت مدعومة من قبل الإدارة الأمريكيّة.

إنّ تاريخ العذاب والظّلم والقهر والحرمان الذي عاشه شعب العراق كان بعين وسمع الإدارة الأمريكيّة، فما رفّ لها جفن ولا خفق لها قلب يومًا على مآسي الشعب العراقي وظلاماته وعذاباته..

فماذا جرى حتى تفكّر أمريكا في إنقاذ أبناء العراق من تاريخ الظّلم والقهر والعذاب، فهل استيقظ ضمير بوش بين عشيّة وضحاها فقرّر إنقاذ شعب العراق؟

قُتِلَ العلماءُ والفقهاء والمفكرون والمجاهدون وامتلأت السجون، وشُرّد الملايين من أبناء العراق، فهل حرّكت أمريكا ساكنًا، وهل أقلقتها عذابات الشعب العراقي وآلامه ومعاناته؟

ثمّ لماذا لم تساند أمريكا الشعب العراقي في محاولاته المتكرّرة للخلاص من نظام الظّلم والاستبداد؟

ألم تكن الفرصة سانحة وأكثر من انتفاضة كادت أن تنهي النظام لو تدخّلت الإدارة الأمريكيّة، وتدخّل الوجود الأمريكي في حفظ النظام وإنقاذه.

وإذا كانت أمريكا حقًّا تفكّر في آلام الشعب العراقي وجراحاته فلماذا هذا الحصار الاقتصاديّ طيلة سنوات وآلاف الأطفال يموتون، وآلاف تفتك بهم الأمراض؟

وإذا كانت أمريكا حقًا تفكر في آلام الشعب العراقي وجراحاته فلماذا هذه الحرب المدمّرة التي تهدّد الملايين من أبناء العراق؟

الشعب العراقي لا يعني شيئًا أبدًا في نظر بوش وفي نظر الإدارة الأمريكيّة، معاناة الشعوب ومآسي الشعوب لا تعني شيئًا في نظر بوش وفي نظر الإدارة الأمريكيّة..

فالحرب من أجل إنقاذ العراق وخلاص شعب العراق، ومن أجل الديمقراطيّة في العراق أكذوبة فاضحة لا يمكن أن يصدّقها أحد.

ثانيًا:

أمّا نزع أسلحة الدّمار الشّامل فهي أكذوبة أخرى.

نتساءل:

من الذي زوّد النّظام في العراق ببعض أسلحة الدّمار الشّامل، أليست أمريكا نفسها؟!

أين كانت أمريكا حينما استخدم النظام أسلحة كيماويّة وأباد المناطق بأكملها من خارطة العراق؟

أين كانت أمريكا حينما حدثت جريمة حلبجة في العراق؟

أين كان ضمير أمريكا في ذلك الوقت؟

ثمّ نتساءل: هل أنّ الإدارة الأمريكيّة صادقة في إخلاء المنطقة من أسلحة الدّمار الشّامل؟

هذه إسرائيل تملك أسلحة الدّمار الشّامل، فلماذا لا يتحدّث بوش عن أسلحة الدّمار الشّامل في إسرائيل؟

ثمّ من الذي زوّد إسرائيل بأسلحة الدّمار الشّامل؟ الإدارة الأمريكيّة تريد لإسرائيل أن تملك أسلحة الدّمار الشّامل.

لماذا هذا الكيل بمكيالين العرب والمسلمون لا يُسمح لهم أن يملكوا أسلحة دمار، بل لا يُسمح لهم أن يملكوا أسلحة متطوّرة، ولا يُسمح لهم أن يتحكّموا فيما لديهم من أسلحة، ويجب أن يكونوا مرهونين لأمريكا في كلّ ما يملكونه من سلاح.

أمّا إسرائيل فيجب أن تملك أسلحة الدّمار الشّامل، ويجب أن تملك الأسلحة المتطوّرة ويجب أن تملك حريّتها في التحكّم في كلّ ما لديها من أسلحة.

العرب والمسلمون يُهدّدون أمن العالم، حينما يملكون مفاعلًا نوويًّا، حينما يملكون قنبلة ذرية، وأما إسرائيل فلتملك ما تشاء فهي لا تهدّد الأمن والسلام في العالم.

ثمّ إنّ أمريكا نفسها مسموح لها أن تستخدم أفتك أسلحة الدّمار في حروبها ضدّ الشعوب.. «اليورانيوم المخصب» من أخطر أسلحة الدّمار الشّامل والذي تبقى آثاره وتفاعلاته ملايين السّنين - حسب تقرير الخبراء - هذا السّلاح من المحتمل جدًا أن تستخدمه أمريكا في حربها الظالمة ضدّ العراق وشعب العراق..

فهل يمكن أن نصدّق أنّ أمريكا تحمل همّ أسلحة الدّمار الشّامل..؟

ثالثًا:

وأمّا قصّة الإرهاب فهي ثالثة الأكاذيب..

فمن المخزي أن تتحدّث أمريكا عن الإرهاب، وهي راعية الإرهاب المنظّم في العالم..

ما يحدث في فلسطين على أيدي الصهاينة المجرمين من أعنف ألوان الإرهاب، أليس أمريكا هي التي ترعى هذا الإرهاب؟

ما يحدث في العالم من انتهاك للحريّات، وهتك للحرمات، وسفك للدماء على أيدي الأنظمة الحاكمة المستبدّة هو إرهاب منظّم تباركه الإدارة الأمريكيّة.

لم نسمع أنّ أمريكا وقفت مع شعبٍ يطالب بحريّته وبكرامته وبخلاصه من دكتاتوريّة نظامه السِّياسيّ..

ولم نسمع أنّ أمريكا أيّدت وساندت حركات التحرّر في العالم..

وما حدث هو العكس...

إنّ حركات التحرّر، وحركات الدفاع عن الحقوق وخاصّة في عالمنا العربي والإسلاميّ هي حركات إرهابيّة وحركات عنف وتطرّف ويجب أن تُصفّى وتُواجَه...

لا ننفـي وجود حالات مـن العنف والتطرّف هنا أو هنـاك، ولكن أن نخلط بين العناوين، ونتّهم كلّ الحركاتً التي تدافع عن الحقوق والحريّات بأنها حركات إرهاب، فمسألة واضحة أهدافها وأغراضها..

ثمّ يجب أن نتساءل: ما هي الأسباب التي أنتجت الإرهاب والعنف والتطرف؟

إنّ سياسات الظلم والقهر والقمع ومصادرة الحريّات هي أسباب ذلك..

يُحاول الإعلام الأمريكي والإعلام المضّاد للإسلام أن يتّهم ثقافة الدّين بأنّها هي التي أنتجت حالات العنف والتطرّف والإرهاب، ولذلك تُصـرّ أمريكا أن تحاصرنا في كلّ مكوّناتنـا الدينيّة والثقافيّـة، وتُطالب الأنظمة والحكومات في مجتمعات العرب والمسـلمين أن تُعيد النّظر في كلّ برامج التعليم الدينيّ، وصياغة مناهج جديدة تحمي الأجيال من ثقافة العنف والتطرّف.

أيّها المؤمنون...

إنّ أمريكا في هذه الحرب الظالمة تنطلق بمشروع خطير لا يستهدف العراق ولا شعب العراق فقط، وإنّما يستهدف المنطقة بكاملها، في وجودها الاقتصاديّ والسِّياسيّ والأمني والعسـكريّ، وكذلك في وجودها الروحيّ والأخلاقيّ والثقافي، فمسـؤوليّتنا في هذه المرحلة التصدّي للمشروع الأمريكي، بكلّ الوسائل الممكنة، وبكلّ أساليب التعبير عن الرفض...

وأن لا ننسى شعبنا المسلم في العراق، أن نقف إلى جانبه في محنته الصّعبة، أن ندعمـه بكلّ ما نتوفّر عليه من إمكانات الدعم المادي والمعنوي، أن نلجأ إلى الله تعالى أن يلطف بهذا الشّـعب وأن يُخلّصه من ويلات هذه الحرب الجائرة، وأن يُخلّصه من نظامه المستبد الذي أذاقه ألوان الظّلم والقهر والحرمان.

ظاهرة البكاء في حياة الإمام السّجّاد عليه السلام

إنّ روايـات السـيرة تؤكّـد أنّه عليه السلام كان كثير البـكاء على مصـاب أبيه الإمام الحسين عليه السلام.

وهنا نطرح هذا السؤال:

ما مدى صحّة هذه الظاهرة؟

توجد ثلاثة اتجاهات في الإجابة عن هذا السؤال:

الاتجاه الأول:

اتجاه يحاول أن ينفي هذه الظاهرة في حياة الإمام عليه السلام، كونها لا تنسجم مع موقعه وصبره، ورضاه بقضاء الله وقدره، ودوره في تربية الناس وتوجيههم، ولا يمنع هذا من أن يكون الإمام قد بكى أباه الحسين ولكن ليس بالشكل الذي تتحدّث عنه الروايات.

الاتجاه الثاني:

يُحاول أن يؤكّد هذه الظاهرة البكائيّة بقوّة إلى درجة الاستغراق والاستيعاب لمساحة كبيرة من حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، فالبكاء على أبيه الحسين عليه السلام كان الهاجس الأكبر في حياته، وكان الهمّ الذي سيطر على كلّ أوقاته.

الاتجاه الثالث:

يُعطي لهذه الظاهرة حضورها البارز والواضح في حياة الإمام عليه السلام، ولكن ليس إلى درجة الاستغراق الذي قد توحي به بعض الروايات...

ولعلّ هذا الاتجاه هو الأقرب انطلاقًا من مجموعة اعتبارات:

الاعتبار الأول:

الروايات التاريخيّة الصحيحة تؤكّد وجود هذه الظاهرة في حياة الإمام عليه السلام وبطريقة غير عاديّة، ما يوحي بوجود هدف كبير أراد الإمام عليه السلام أن يحقّقه من خلال ظاهرة البكاء، على رغم أنّ الحدث بكل مأساويّته يفرض هذا المستوى من اللوعة والأسى والحزن.

الاعتبار الثاني:

الظاهرة البكائيّة على رغم بروزها الكبير في حياة الإمام عليه السلام فإنّها لم تكن على حساب المسؤوليّات الأخرى التي فرضتها مهمّات الإمام وحاجات المرحلة، وإنّما انتظمت معها لإبراز الدور الكبير الذي مارسه الإمام عليه السلام في الحفاظ على الإسلام ومواجهة كلّ محاولات التحريف، وحماية الهويّة الأصيلة للأمّة.

الاعتبار الثالث:

البكاء عند الإمام إضافة إلى كونه تعبيرًا عن حجم الانصهار والتأثّر بمصاب الإمام الحسين، فإنّه يحمل دلالات كبيرة...

أذكر منها هاتين الدلالتين:

الدلالة الأولى:

تعميق المأساويّة لقضيّة كربلاء في نفسيّة الأمّة وفي وجدانها، فالبكاء عند الإمام عليه السلام لا يعبّر عن حال انفعاليّة ساذجة، وإنّما هي صيغة واعية تتحرّك من خلالها عدّة معطياتٍ هادفة...

من قبيل:

- تأصيل وخلق التلاحم العاطفي والنفسي والروحي مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام...
- الانفتاح الذهني والفكري على أهداف ثورة كربلاء...

وكون العاطفة تمنح الفكرة الحرارة والفاعليّة والحركيّة، وحينما تخبو وقدة العاطفة تُصاب الفكرة بحالٍ من الركود والخمود والجمود...

الدلالة الثانية:

تأجيج مشاعر الرفض والغضب تجاه القوى الظالمة التي صنعت مأساة كربلاء، فالبكاء بما يحمله من تعبير عن الانفعال بأحداث المأساة فإنّه يختزن في داخله مشاعر

الرفض والتحدّي والغضب تجاه صانعي هذه المجزرة الرهيبة في كربلاء...

قد يقال:

إنّ ثقافـة التأجيج والتصـعيد والتحريض وثقافة الاستشـهاد والموت هي أحد مكوّنات ظاهرة العنف والإرهاب والتطرّف...

وتعليقنا على ذلك:

أولًا:

إنّ ثقافة الاستشهاد والموت في سبيل العقيدة والمبدأ هي ثقافة قرآنيّة إيمانيّة هدفها حماية الدين والعرض والأرض والإنسـان ضدّ كلّ ألوان العدوان وليس هدفها التدمير والإفساد والعدوان...

- ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].
- ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾[2].
- ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[3].
- ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[4].

ربّما اسـتخدمت بعض حركات الإرهاب ثقافة الاستشهاد والقتل في سبيل الله بشـكلٍ محرّف ومزوّر، فهـل عمليّات التفجير التـي تطول الأبرياء والآمنين والنسـاء والشـيوخ والأطفال، وتطول المؤسّسـات المدنيّة، ومصـالح الناس وحاجاتهم المعيشيّة كما يحدث في العراق وبعض بلداننا العربية والإسـلاميّة، هل هذه العمليّات استشهاد في سبيل الله؟

---

(١) آل عمران: آية ١٦٩.

(٢) البقرة: آية ١٥٤

(٣) المائدة: آية ٣٢.

(٤) البقرة: آية ١٩٠.

هل هؤلاء الذين يحملون الأحزمة الناسفة ويحصدون آلاف الأرواح البريئة هم استشهاديّون في سبيل الله؟

هـل هؤلاء الذيـن يقودون السـيّارات الملغّمة بـآلاف الأطنان مـن المتفجرات، ويزرعون الدمار في كلّ مكان هم شهداء من أجل العقيدة والمبدأ؟

ثانيًا:

إنّ ثقافة الرفض للظلم والقهر والاستبداد هي ثقافة أصلها القرآن...

- ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[1].
- ﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [2].
- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[3].

إلّا أنّ هذه الثقافة لا يصحّ أن توظّف توظيفًا منحرفًا ومشوّهًا لتتحوّل إلى أداة عبث وإفساد وإرهاب...

ثالثًا:

إنّ الغضـب العاشوري هو غضبٌ ضدّ العنف والإرهاب الأمويّ وضدّ التطرّف الذي مارسه النظام الحاكم ومارسه عملاء النظام وكان نتيجة ذلك المأساة الداميّة يوم عاشوراء.

فالغضـب الـذي يصـنع خطاب عاشـوراء هو غضـب في مواجهـة كلّ الذين يصنعون المأساة في كلّ عصر، وفي كلّ مكان، وفي مواجهة كلّ الذين يمارسون الإرهاب والعنف والتطرّف ضدّ الإنسان.

إنّ الذين تغذّوا بقِيَم الإمام الحسـين عليه السلام وبقِيَم ثورته لا يمكن أن يتحوّلوا إلى إرهابيّـين يقتلون الأبرياء ويذبحون الأطفـال، ويُروّعون الآمنين، ويهدّدون أمن الناس واستقرارهم.

---

(١) هود: آية ١١٣

(٢) النساء: آية ١٤٨

(٣) الحج: آية ٣٩

فتشوا عن الإرهاب في هذا العصر فلن تجدوه عند عشاق الحسين عليه السلام...

فتشوا عن التطرّف فلن تجدوه عند أتباع الإمام الحسين، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام إنّما ثار وضحّى بدمه من أجل أن يواجه الظّلم والقهر والاستبداد، ومن أجل أن يزرع في الأرض العدل والأمن والاستقرار.

فالسائرون في خطى الإمام الحسين عليه السلام سيبقون دعاة خيرٍ وإصلاحٍ وأمنٍ واستقرار...

وسيبقون أعداء للإرهاب والعنف والتطرّف، لأنّ مأساة الحسين عليه السلام صنعها الإرهاب والعنف والتطرّف.

ها هم زوّار الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وها هم عشّاق الإمام الحسين عليه السلام في أرض العراق يسقطون ضحايا العنف والإرهاب، وضحايا العبث والتطرّف من قِبَل أناس حاقدين لا يعرفون معنى للدين والقِيَم والإنسانيَة ولا يؤمنون بالمبادئ والأخلاق، ولا ينتمون إلى هذه الأمّة التي علّمها الإسلام كيف تحافظ على حرمة الدماء والأرواح والأعراض.

إنّ الإعلام الفاسد يحاول دائمًا أن يخلط الأوراق، فربّما اعتبر الإرهاب مقاومة، وربّما اعتبر المقاومة المشروعة إرهابًا، فهناك إعلامٌ يرى في عمل حزب الله في لبنان إرهابًا ويرى في عمل المقاومة الفلسطينيّة إرهابًا...

ويرى في حركة الشعوب المستضعفة ضدّ أنظمة الحكم المستبدّة إرهابًا...

ويرى في ارتفاع أيّ صوتٍ يطالب بالحقوق والحريّات إرهابًا.

وهناك إعلامٌ يرى في عمليّات الإرهاب التي تستهدف الأبرياء والآمنين في العراق مقاومة.

إنّ هذا الخلط في الأوراق، والعناوين والممارسات محاولة هادفة إلى التزوير والتشويش، وإرباك الرؤية وتضليل الشعوب.



في ذكرى الأربعين
ماذا أراد الإمام الحسين عليه السلام لعاشوراء؟

ماذا أراد الإمام الحسين عليه السلام لعاشوراء؟

- في يوم الأربعين نستعيدُ ذكرى عاشوراء الحسين عليه السلام ...
- وفي يوم الأربعين نعود إلى كربلاء الحسين عليه السلام وفي يوم الأربعين نجدّد العهد مع الإمام الحسين عليه السلام ...
- وفي يوم الأربعين نبحثُ عن حضورنا في خطّ الإمام الحسين عليه السلام ...
- وفي يوم الأربعين نتساءل: ماذا أراد الإمام الحسين لعاشوراء؟

أراد الإمامُ الحسين عليه السلام لعاشوراء أن تكون صرخةَ غضبٍ، تقتحم كلّ عصر، ما دام هناك «يزيد» يتربّعُ على العرش، يسفكُ الدماء، يقتل الأبرياء، يذبّحُ الأطفال، ينتهكُ الحرمات، يعبثُ بالكرامات، يصادر الثروات...

أراد الإمامُ الحسين عليه السلام لعاشوراءَ أن تكونَ إرادةَ صمودٍ، وعنفوانَ تحدّي، وشموخ إيمانٍ ما دام هناك «نظامٌ» يمارس القهر، والظّلمَ، والاستبدادَ، والعنفَ، والإرهابَ، والطغيان...

أراد الإمامُ الحسين عليه السلام لعاشوراءَ أن تكونَ موقفَ رفضٍ، وموقفَ عزٍّ وكرامة يخاطب كلّ ضمير، ما دام هناك «عملاء» يتزلّفون إلى بلاط الحاكم والسلطان، يتاجرون بالدين والقيم، من أجل دنيا زائفة، ومن أجل حفنةٍ من مالٍ حرام مغموسةٍ بالذّل والهوان، ولا يتوقّفون عن قتل «الحسين عليه السلام»، وذبح «أطفالِ الحسين» وسبي «نساء الحسين».

أرادَ الإمامُ الحسين عليه السلام لعاشوراءَ أن تكونَ عنوان ثورةٍ وجهادٍ وشهادة، ما دام هناك «دينٌ» تُصادَرُ أحكامهُ، و«شريعة» معطلةٌ، و«قرآن» مهجورٌ، و«قِيَمٌ» يتلاعب بها صنّاعُ العبثِ والفجور، و«مشروعاتٌ» تروّج للعهر والدعارة، و«أنظمة» تعلن الحرب على الله تعالى، وتستبيح المحرّمات، وتنشر الفساد في الأرض.

أراد الإمام الحسين عليه السلام لعاشوراء أن تكون «وثيقة إدانةٍ» تحملُ ملفّات الجريمة، لتبقى في ذاكرة الزّمن، تتحدّى المصادرة والإلغاء، تلاحق الجناة والمجرمين والعابثين بكرامة الإنسان، وثيقةُ عاشوراء تخاطب كلّ الأجيال: حذارِ حذارِ أن تموت الذّاكرة ضدّ صنّاع الجريمة وضدّ القتلة المحترفين، ما دام هناك طلّابُ ظُلامةٍ وطلّابُ حقٍ، وطلّابُ قصاص...

أراد الإمام الحسين عليه السلام لعاشوراء أن تكون حركة تغييرٍ وتصحيحٍ، وحركة بناء وإصلاح.

لماذا ترك الإمام الحسين عليه السلام حجّه؟

أراد أن يقول: ما قيمةُ الطّوافٍ حول البيت، إذا كانت الأمّة تطوف حول عرش يزيد، وحول عروش الطّغاة؟...

أراد الإمامُ الحسين عليه السلام أن يقول:

ما قيمة تقبيل الحجر الأسود ما دامت الأمّة تقبّل جباه الجبابرة؟

ما قيمة الركوع والسجود عند مقام إبراهيم ما دامت الأمّة تُعفّر الجباه عند أقدام الحكّام والسّلاطين؟

ما قيمة السّعي بين الصّفا والمروة ما دامت الأمّة تهرول وراء المستكبرين في الأرض؟

ما قيمة رمي الجمرات ما دامت الأمّة محكومة لكلّ الشياطين الكبار والصغار؟

ما قيمة الذبح والهدي في منى ما دامت الأمّة تُضحّي بدينها وإسلامها ومبادئها وقيمها؟

هكـذا أراد الإمامُ الحسـين عليه السلام لعاشـوراء أن تكون الحاضـرة الحاضـرة في كلِّ زمانٍ وفي كلّ مكانٍ، والحاضـرة الحاضـرة في كلِّ قضايا الحياة والإنسان، قضايا العقيدة، وقضايا الأخلاق، وقضايا الثقافة، وقضايا الاجتماع وقضايا السّياسة.

هكذا أراد الإمامُ الحسين عليه السلام لعاشوراء أن تكون...

والسؤال الكبير الذي نطرحه هنا: وماذا أردنا نحن لعاشوراء؟

هناك عاشوراء صنعها الإمام الحسين عليه السلام، وهناك عاشوراء صنعناها نحن.

فهل أنّ عاشوراءنا هي عاشوراء الحسين عليه السلام ؟

قد تقولون: من الطبيعي جدًا أنّنا لا نملك القدرة أن نرقى إلى مستوى «عاشوراء الحسين عليه السلام» لأنّ عاشوراء الحسين عليه السلام صنعها الحسين عليه السلام نفسه الإمام المعصوم، فالمطلـوب منّا أن نتحرّك في اتّجاه عاشـوراء الحسـين عليه السلام، لا أن نرقى إلى مسـتوى عاشوراء الحسين عليه السلام ...

هذا الكلام فيه شيءٌ من الصحّة، ولكن يبقى السؤال:

- هل نحن بالفعل نتحرّك في اتّجاه عاشوراء الحسين عليه السلام ؟
- وإذا كنّا نتحرّك في هذا الاتّجاه، كم قطعنا من الأشواط في هذا الطريق؟
- ثمّ هل أنّنا بالفعل غير مطالبين أن نرتقي إلى مستوى عاشوراء الحسين عليه السلام

هنا شـبهة تعيش في أذهان الكثيرين يجب أن نقف قليلًا عندها، هذه الشّـبهة تقـول إنّنـا لسـنا مكلّفين أن نُمارس كما مارس المعصـومون، لأنّ هـؤلاء لهم تكليفهم الخاصّ، ولهم خصوصيّاتهم في العمل والتكليف.

ما هو جوابنا عن هذه الشّبهة؟

نحن لا نشـكّ أنّ المعصـومين عليهم السلام لهم خصوصـيّاتهم التي لا نشاركهم فيها، ولهم وظائفهم التي تفرضـها مواقع النبوّة والإمامة، ولكنْ هناك مسـاحات كبيرة في حياة المعصومين عليهم السلام انطلقت لتشكّل المستوى الأرقى في السّلوك، -خارج خصوصيّات

النبـوّة والإمامة - هذه المسـاحات نحـن مطالبون أن نتحـرّك في اتّجاهها بمقدار ما نملك من قدرة واسـتعداد للارتقاء والوصـول، وإلّا فما معنى قولـه تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

كيف يصـحّ أن يكون الرسول ﷺ أسـوة وقدوة إذا كنّا لا نملك أن نتحرّك في اتّجاه سلوكه وأخلاقه، إذا كنّا لا نستطيع أن نجسّد الكثير من أفعاله وأعماله...

وإلّا فمـا معنى قـولِ أمير المؤمنين عليه السلام: «مـن أحبّنا فليعمـل بعملنا»[2] فنحن مطالبون أن نعمل بعملهم، وما هو عمل الأئمّة «ع»: الطاعة لله تعالى، الالتزام بأخلاق القـرآن، الجهـاد مـن أجل حمايـة الإسـلام، مواجهة المنكـر والفسـاد والانحراف، التضحية في سبيل المبدأ والعقيدة...

وإلّا فما معنى قول الإمام الصّـادق عليه السلام: «ليس من شـيعتنا من قال [وافقنا] بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه، واتّبع آثارنا وعمل بأعمالنا أولئك شيعتنا»[3].

يقول شاعر العقيدة الدكتور داوود العطّار (رحمه الله):

واليتُ آل محمدٍ وأخذتُ عنهم كلّ عـادة
أنا لـم أرَ منهم إمامًا مـات وهـو على الـوسـادة

حتّى الذي قد جاوز الستّين لم يترك جهاده
حتّى العقائل منهمو قارعن من غصبوا السيادة

أنا لا أرى في الموت دون عقيدتي إلّا سعادة

(١) الأحزاب: آية ٢١.

(٢) الصّدوق: الخصال، ص ٦١٤، حديث الأربعمائة. (ط، ١٤٠٣هـ، جماعة المدرسين، قم - إيران).

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٥/ ٢٤٧، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، ب٢١، ح١٩. (ط. مؤسسة آل البيت عليهم السلام)

وما بين المعقوفين ورد في كتاب (أهل البيت في الكتاب والسنّة للريشهري، ص ٥٣٧، ح ١٢٨٢).

نعود إلى السؤال الأساس:

هل استطعنا أن نرتقي بأدائنا العاشورائيّ إلى مستوى أهداف عاشوراء الحسين عليه السلام؟

حينما أقول عاشوراء الحسين عليه السلام أعني عاشوراء كما أرادها الإمام الحسين عليه السلام،وحينما أقول أداؤنا العاشورائيّ أعني عاشوراء التي نصنعها نحن، ونعيشها نحن...

الإمام الحسين عليه السلام أراد لنا أن نتحرّك في اتّجاه عاشوراء التي صنعها يوم كربلاء، أن نتحرّك في اتجاه أهدافها وقِيَمها وأخلاقيّاتها، في اتّجاه نموذجها الجهاديّ والاستشهاديّ...

فما هي الأشواط التي قطعناها في هذا الطريق؟

لكي نُقيِّم أداءنا العاشورائيّ وواقعنا العاشورائيّ دعونا -أيّها الأحبّة- نُصارح أنفسنا، دعونا نتّخذ من (يوم الأربعين) وهو يوم العودة إلى كربلاء ويوم العودة إلى عاشوراء، دعونا نتّخذ من هذا اليوم منطلقًا للنّقد والتقويم لكلّ واقعنا العاشورائيّ ولكلّ أدائنا العاشورائيّ...

ومن أجل أن نحقّق هذا النقد والتقويم يجب أن نمارس الخطوات التالية:

الخطوة الأولى:

يجب أن نقرأ واقعنا العاشورائيّ ويجب أن نحاسب أدائنا العاشورائيّ:

هل نملك هذه القراءة وهذه المحاسبة؟

من المؤسف جدًا أنّنا لا نقرأ واقعنا ولا نحاسب واقعنا، ولذلك تتراكم أخطاؤنا، وتتراكم مفارقاتنا وانحرافاتنا، كثيرًا ما نعيش الأخطاء والاشتباهات والتجاوزات، ولكنّنا نوهم أنفسنا أنّنا على الصواب دائمًا، وربّما نجهل أنّنا نعيش الخطأ، لماذا؟ لأنّنا لا نقرأ أنفسنا ولا ننقد أنفسنا ولا نحاسب أنفسنا...

فالخطـوة الأولى في اتّجاه التصـحيح أن نقرأ أنفسـنا، وفي هذا السـياق تأتي مسؤوليّتنا في أن نحاسب واقعنا العاشورائيّ وأداءنا العاشورائيّ...

فهل نملك القراءة لعاشورائنا؟، عاشورائنا بكلّ مكوّناتها؟

ما هي مكوّنات عاشورائنا؟

- الخطاب العاشورائيّ.
- المجلس العاشورائيّ.
- الموكب العاشورائيّ.
- الفعّاليّات العاشورائيّة.
- الجمهور العاشورائيّ.
- الشّعارات العاشورائيّة.
- السّلوك العاشورائيّ.
- المجتمع العاشورائيّ.

- فهل نملك قراءة لهذه المكوّنات؟..
- وهل نملك لجانًا متخصّصة لهذه القراءة؟
- هل نملك مؤتمرات لهذه القراءة؟
- هل نملك كتابات ودراسات لهذه القراءة؟

الخطوة الثانية:

يجب أن تكون القراءة واعية والمحاسبة بصيرة:

لا يكفـي أن نقرأ واقعنا وأن نحاسـب أداءنا، بل يجـب أن تكون قراءتنا واعية، ومحاسبتنا بصيرة.

- ما قيمة أن نقرأ واقعنا بعقل متخلّف؟
- وما قيمة أن نحاسب أداءنا ببصيرة عمياء؟
- وما قيمة أن تكون قراءتنا محكومة للعواطف؟

ما هي النتيجة حينما تكون القراءة متخلّفة وساذجة وبليدة؟، وحينما تكون القراءة مأسورة للعواطف والانفعالات؟، سوف تكون النتيجة خاطئة جدًا، وسوف تتكرّس الأخطاء والمفارقات والانحرافات وسوف تتأصّل حالة التخلّف.

الخطوة الثالثة:

يجب أن نملك الجرأة والشجاعة في الاعتراف بالأخطاء، وفي العمل من أجل التغيير والتصحيح:

لنفترض أنّ هناك قراءات جادّة، ومحاسبات واعية لواقعنا العاشورائيّ ولممارساتنا العاشورائيّة، فهل يملك أصحابُ هذه القراءات والمحاسبات الجرأة والشجاعة في الاعتراف بالأخطاء وفي العمل من أجل التغيير والتصحيح؟.

أنا أشكّ في ذلك، فالكثيرون لا يملكون هذه الجرأة والشجاعة وحتّى في المستويات الدينيّة والعلميّة والثقافيّة والاجتماعيّة المتقدّمة.

وطالما سمعنا التبريرات لدى هؤلاء، وطالما سمعنا من يقول إنَّ كلّ شيء في سبيل الحسين جائز ومشروع، وطالما سمعنا من يقول:

إذا سمحنا بنقد بعض الظواهر في الممارسات العاشورائيّة فإنّ ذلك سوف يجرّ إلى بقيّة الممارسات وبالتالي تتعرّض الشعائر الحسينيّة للإلغاء والمصادرة، فيجب أن نسكت أمام أيّ ظاهرة أو ممارسة ما دام الدافع إليها التعبير عن المشاركة في مأساة الإمام الحسين عليه السلام، هذا الكلام لا نقبله أبدًا.

إنّ مراسيم الإحياء العاشورائيّ يمكن أن نصنّفها إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول:

ما وردت النصوص المعصومة على تأكيده كما هي مسألة البكاء، والرّثاء، والزيارة ومجالس الإحياء، فهذه يجب تأصيلها والمحافظة عليها ومواجهة محاولات المصادرة لها.

الصنف الثاني:

مـا لم يرد فيه نصٌّ بعنوانه الخاص، إلّا أنّه يندرج تحت عنـوان «الإحياء»، ويُعتبر أسـلوبًا طبيعيًّا للتعبير عن الأسى والحزن والمواسـاة كما هـو اللطم الطبيعي والرّدات، والمسيرات الحسينيّة، وهذا الصنف مشروعٌ ويجب العمل على المحافظة عليه وتطويره وابتكار أسـاليب جديدة للإحياء العاشـورائيّ كإدخال المسرح الحسينيّ وفق الشروط الشرعيّة، والمرسـم الحسينيّ، ومشروع التبرّع بالدم، وغيرها من الأساليب المشـروعة، وهنا يترك للإبداعات أن تتحرّك لابتكار وتجديد الأسـاليب العاشورائيّة شريطةَ الاحتفاظ بالأسس الشرعيّة، والقِيَم الحسينيّة، وأهداف كربلاء.

الصنف الثالث:

أسـاليب تحتاج إلى مراجعة وتغيير، وخاصّة إذا كانت هذه الأساليب تعبّر عن فهم متخلّف، وتعبّر عن مخالفة لأحكام الشـريعة، وربّما أسـاءت هذه الممارسات إلى نقاء الذكرى وإلى أهداف الذكرى، وربّما أسـاءت هذه الممارسات إلى سمعة المذهب، فهذا الصنف من الممارسات يجب العمل على تغييرها والتخلّص منها..

وإذا صـمّمنا على التصحيح والتغيير والتطوير في أساليب الإحياء العاشورائيّ فيجـب أن نتوفّر على «مناهج» واضـحة لممارسـة ذلـك، إنّنا ندعو إلى تشـكيل لجان متخصّصة تابعة للمرجعيّة، ولحوزاتنا الدينيّة لتمارس دور القراءة والنقد والمراجعة، ولتمارس دور صياغة مناهج التصحيح والتطوير، ولتمارس أساليب التطبيق والتفعيل لهذه المناهج..

إنّها مسـؤوليّة المرجعيّة، ومسـؤوليّة الحوزات والعلمـاء، والخطباء، والمثقّفين الإسلاميّين، ومسؤوليّة المؤسّسات الدينيّة، كما هي مسؤوليّة الجمهور المؤمن.

الحضور النسائيّ في مواكب العزاء

وعند هذا المنعطف من الحديث يجب أن نقف مع ظاهرة «الحضور النسائيّ» الذي أخذ يتزايد في الشوارع أثناء المواكب والمسيرات العزائيّة..

ما هو موقفنا من حضور النساء المتزامن مع حركة المواكب والمسيرات العزائيّة؟

لا نمانع في أصل هذا الحضور متى ما توفّر على حالات الانضباط والالتزام والحشمة، ولكنّ الواقع الذي يُعبّر عنه هذا الحضور فيه الكثير من المخالفات الشرعيّة، والظواهر غير الملتزمة، والحالات المنفلتة.

وأبرز ملاحظاتنا على هذا الحضور:

١- وجود عدد من النساء غير ملتزمات بالحجاب الإسلاميّ، بل هناك بعض المتبرّجات بشكلٍ فاضح، لاشكّ أنّ هذا النّمط من النساء هنّ من خارج الوسط المتديّن؛ وإلّا لما أقدمن على هذا اللون من السّلوك في أجواء لها طابعها الإيمانيّ والدّينيّ والأخلاقيّ، وربّما تكون هناك جهات تعمل من أجل الإساءة إلى قداسة هذه الأجواء وإلى نظافتها وسمعتها، فمسؤوليّتنا الدينيّة والشرعيّة تفرض التصدّي لهذه الظواهر حفاظًا على قداسة هذه الأجواء.

٢- ونلاحظ أيضًا وجود حالات من الاختلاط بطريقةٍ تقود إلى مخالفات شرعيّة، وإلى تجاوزات أخلاقيّة، وهذه الظاهرة يجب التصدّي لها ومعالجتها وإيجاد الأساليب الجادّة لحماية الأجواء العاشورائيّة.

٣- ومن أسوء الحالات التي سُجّلت ما لوحظ من وجود بعض الشباب الطائش وبعض الشابّات الطائشات في ممارساتٍ شاذّة وفاسقة في الأزقّة والطرق الداخليّة.

- وهنا نستثير غيرة المؤمنين أن يستنفروا جهودهم لمواجهة هذا العبث الطائش، والذي يحاول أن يستغلّ هذه الأجواء المقدّسة، ولا شكّ أنّ هذه الحماية لأجواء المواكب والمسيرات لا يعدلها في الثواب شيء؛ حتى ممارسة العزاء نفسه.

الشباب العامل في خدمة الحسين عليه السلام:

وبهذه المناسبة فإننّا نشيد بالجهود الكبيرة التي يمارسها الشباب المتصدّون للحفاظ على أجواء المواكب والتجمّعات، والحراسة لقيَم الذكرى، وهذا التشكّل الشبابي مدعوم بقوّة من قبل العلماء الأفاضل، فجزى الله شبابنا المؤمن خير الجزاء على ما يبذلونه من عناءٍ وتعبٍ وسهر، وتضحية بالجهد والوقت، وتحمّل كلّ الصعوبات والمشاقّ في أداء هذا الواجب، وهم لا يرجون إلّا وجه الله.

وما يشكو منه هؤلاء الشباب النقص في العدد، كما يشكون من عدم التعاون الجادّ معهم، لذلك فإنّنا ندعو إلى مؤازرتهم وتأييدهم والتعاون معهم والانضمام إليهم من قبل كلّ القادرين على أداء هذا الواجب المقدّس، إنّ هؤلاء الشباب هم الكربلائيّون الحقيقيّون، قد يكونون جنودًا مجهولين، ولكنّ عملهم منظور بعين الله تعالى، وبعين الإمام الحسين عليه السلام، ولا أشكّ أنّ لهم من الثواب والأجر ما يفوق الكثير الكثير من ممارسات الإحياء العاشورائيّة.

- نؤكّد دعوتنا أن تبادر الهمم الشابّة إلى الانضمام إلى هذا التشكّل الحسينيّ المبارك.
- وندعو أصحاب الحسينيّات والمواكب أن يتعاونوا معهم وأن يشدّوا على أيديهم ويباركوا جهودهم.
- وندعو كلّ المؤمنين أن يساندوهم ويشاركوهم هذا الجهد المبارك.
- كما ندعو العلماء والخطباء والمؤسّسات الدينيّة أن يُعطوا الثّقة لهذا الشباب المتطوّع.

يوم الأربعين يوم التضامن مع الشعب العراقي:

وفي الختام يجب أن نعلن وقوفنا مع النداء الذي وجهه آية الله العظمى السيد الخامنئي حفظه الله في اعتبار يوم الأربعين هو «يوم التضامن مع الشعب العراقيّ» فيجب على جميع المؤمنين أن يستنفروا كلّ إمكاناتهم المعنويّة والماديّة في هذا اليوم

تضامنًا مع شعبنا الجريح في العراق، وإنّ أيّ تهاونٍ واسترخاءٍ وتقصيرٍ في التعبير عن هذا التضامن سوف يُحمّلنا مسؤوليّة كبيرة أمام الله تعالى، وأمام التاريخ، وأمام كلّ الأجيال القادمة.

إنّ أربعين الإمام الحسين عليه السلام في هذا العام تحمل نبضًا متميّزًا، فكربلاء الأسيرة طيلة هذا التاريخ من حكم النظام الجائر قد تحرّرت من الأسر الصدّامي، إلّا أنّها مهدّدة بأسر أمريكيّ كافر.

فيجب أن ترتفع الأصوات المؤمنة الغاضبة ضدّ أيّ محاولة لتدنيس أرض كربلاء ولتدنيس أرض المقدّسات، ولتدنيس كلّ شبر من أرض العراق.

أربعين الحسين عليه السلام في بحرين الحسين عليه السلام :

في أربعين هذا العام زحفت الملايين إلى كربلاء الإمام الحسين عليه السلام، تحمل عنفوان الحسين عليه السلام، وصمود الحسين عليه السلام، وكبرياء الحسين عليه السلام، وهي تحمل شعارات الغضب والرفض ضدّ الغزاة الغاصبين.

إنّنا يجب أن نعطي لأربعين الإمام الحسين عليه السلام في هذا العام وهجَها الملتهب، وصوتَها الصارخ ونداءَها المتفجّر، وإرادتها الغاضبة، يجب أن تُعبّر الشعارات والرّدات والهتافات واللطميّات عن قضايا المرحلة، وعن حرارة المرحلة، وعن صرخات المرحلة، وعن نداءات المرحلة.

إنّنا نُدجّن أربعين الإمام الحسين عليه السلام إذا أعطيناها حضورها البارد، وصداها الخامد، وصوتها المخنوق، ولغتها الخجولة، وشعارها المهزوم، وحركتها المشلولة.

إنّنا نريد لأربعين الإمام الحسين عليه السلام في بحرين الحسين عليه السلام أن تعيش الحضور في كربلاء الحسين عليه السلام، مع الملايين من عشّاق الحسين عليه السلام، وزوّار الحسين عليه السلام، مع الملايين الهاتفة الغاضبة النادبة الباكية الصارخة المتحدّية.

إنّنا نريد لأربعين الحسين عليه السلام في بحرين الحسين عليه السلام أن تلبّي استغاثات الحسين عليه السلام، واستغاثات أطفال الحسين عليه السلام في عراق الحسين عليه السلام، واستغاثات

نساء الحسين ﷺ في عراق الحسين ﷺ، واستغاثات أحبّاء الحسين ﷺ في عراق الحسين ﷺ .

إنّنا نُريد لأربعين الحسين ﷺ في بحرين الحسين ﷺ أن يكون يوم التضامن مع الشعب المظلوم في عراق الحسين ﷺ .

فيا أحبّاء الحسين ﷺ إذا كنتم صادقين في حبّ الحسين ﷺ، وإذا كنتم صادقين في ولاء الحسين ﷺ، فهاهم أبناء الحسين ﷺ في العراق يستصرخون ضمائركم، ويستصرخون غيرتكم، ويستصرخون دينكم...

فهل ينبض فيكم ضمير، وهل تنشط في داخلكم غيرة، وهل يستجيب عندكم دين؟.

إنّ يوم الأربعين هو يوم التضامن مع الشعب العراقي - كما هو نداء قائد الثورة الإسلاميّة في إيران السيد الخامنئي حفظه الله تعالى -وكما هو نداء الإسلام والدّين والقِيَم، فبادروا لتلبية هذا الواجب المقدّس، وبادروا للتعبير عن شهامة الإنسان المؤمن على هذه الأرض الإسلاميّة؛ التي ما فتأ أبناؤها أن يكونوا السبّاقين للعطاء والبذل والتضحية والوفاء لإخوانهم في العقيدة والإيمان.

عددٌ من الجمعيّات الإسلاميّة متصدّية لجمع المساعدات، كما أنّ بعض العلماء متصدّون لهذه المهمّة أيضًا، الكارثة الإنسانيّة في العراق كبيرة وكبيرة جدًّا ولكنّك أيّها المؤمن قد تنقذ طفلًا واحدًا، وقد تنقذ نفسًا واحدة من براثن الموت أو المرض أو الجوع أو العراء.

فما أعظمها من تجارة رابحة مع الله تعالى.

توصيات إلى جمهور الأربعين:

أولًا: الابتعاد عن ردّات الفعل الانفعاليّة:

فربّما حدثت في الأيام الأخيرة أمور قد توجب ردّات فعلٍ عند جمهور المواكب والمراسيم.. (الاستنفار والضجّة حول الصور والأعلام)، وقد قلنا رأينا في هذه المسألة، ورفضنا (لغة التخوين) و(لغة التحريض)، ولكن هذا لا يُعفينا من ممارسة النقد الذّاتي، فمن الظّلم لهذه المراسيم أن نترك محاسبتها، حتى لا تتراكم الأخطاء والسلبيّات.

إنّنا نُطالب جمهور الأربعين أن يكون على درجةٍ عاليةٍ من الانضباط والابتعاد عن الانفعالات التي تضرّ بأهداف هذه المراسيم وتضرّ بوضع الطائفة، وأن يبتعد عن كلّ ما يبرّر للآخرين الإساءة إلى هذه الشعائر، المهم المضمون الكبير وليس المهم (الشكليّات) و(المظاهر) وإن كان لهذه الشكليّات والمظاهر دلالتها الكبيرة.

ثانيًا: التأكيد على شعار الوحدة والتقارب والمحبة:

أن نؤكّد من خلال هذه المراسيم على شعار الوحدة والتقارب والمحبة بين كلّ أبناء هذا الوطن، وأن نُعبّر عن رفضنا لكلّ أشكال الفرقة والخلافات المذهبيّة.

ثالثًا: التأكيد على الطابع الحسينيّ:

أن نؤكّد على الطابع الحسينيّ، لا بمعنى غياب (قضايا الأمّة) عن شعارات هذه المراسيم، ولكن أن يكون العنوان الحسينيّ هو الذي يوجّه كلّ الشّعارات.

رابعًا: الابتعاد عن الممارسات غير الحضاريّة:

الابتعاد عن الكلمات والممارسات التي لا تُعبّر عن حضاريّة هذه المراسيم، وعن دورها السلميّ في البناء والإصلاح.

خامسًا: المحافظة على نظافة وأخلاقيّة أجواء المراسيم:

الحفاظ على نظافة وأخلاقيّة أجواء المراسيم الأربعينيّة، والالتزام بكلّ الضوابط الشرعيّة.

- مسالة الحضور النسائيّ غير المنضبط بالحجاب الشرعيّ.
- مسألة الاختلاط.
- مسألة الممارسات اللا شرعيّة.
- مسألة التهاون بأوقات الصّلاة.

المراسيم الحسينيّة ووسائل الإعلام العالميّة:

هذه المراسيم أصبحت تحت نظر وسمع كلّ العالم من خلال الفضائيّات ووسائل الإعلام، فمن المؤسف بروز ممارسات تشين الطائفة، فيجب على جمهورنا الكريم أن يتجنّب كلّ الممارسات التي تُسيئ إلى سمعة هذه الشّعائر، وتُسيئ إلى سمعة هذه الطائفة من المسلمين وخصوصًا أنّ وسائل الإعلام المناهضة تحاول أن تركّز على سلبيّات ونقاط الضّعف في هذه المراسيم مثل: التطبير، وضرب القامات، وسيلان الدّم، وبعض المناظر المنفّرة...

القسم السابع

تساؤلات حول عاشوراء

- بين صلح الإمام الحسن عليه السلام وثورة الإمام الحسين عليه السلام.
- حوار حول الممارسات العاشورائيّة.

١

بين صلح الإمام الحسن عليه السلام
وثورة الإمام الحسين عليه السلام

أودّ أن أجيب عن تساؤل طرحه أحد الشباب بعد الانتهاء من حديثٍ سابق، هذا التساؤل يقول:

لقد أكدتم في حديثكم على خيار الإمام الحسين عليه السلام،خيار الثورة والشّهادة.

١- فأين هو خيار الإمام الحسن عليه السلام، خيار السّلم والمصالحة؟

٢- وهل أمّتنا في حاجةٍ إلى خيار الثورة والمواجهة فقط؟

٣-ألا ترون خيار السّلم والمصالحة قد يكون هو الخيار المطلوب؟

التساؤل يبدو وجيهًا، وقبل أن أجيب عن هذا التساؤل أرى ضرورة التحدّث عن مسألة الصلح عند الإمام الحسن عليه السلام، ومسألة الثورة عند الإمام الحسين عليه السلام.

الصلح في حركة الإمام الحسن عليه السلام، والثورة في حركة الإمام الحسين عليه السلام، أسلوبان متمايزان، وصيغتان مختلفتان ولغتان متغايرتان، لغة الصلح الكلمة والحوار، ولغة الثورة السيف والدم..

لماذا هذا الاختلاف..؟

هنا محاولات مرفوضة لتفسير هذا الاختلاف:

المحاولة الأولى:

تتّجه إلى تفسير هذا الاختلاف بأنّه لونٌ من التناقض في الأسلوب.

المحاولة الثانية:

الاختلاف في الرؤية، هذا التفسير يحاول أن يفهم الاختلافات في أساليب الأئمّة بأنّها ناتجة عن اختلافات في (الرؤية والفهم).

المحاولة الثالثة:

الاختلاف في الطبيعة النفسيّة هو الذي أنتج هذا الاختلاف في الأسلوب، فالطبيعة النفسيّة المسالمة عند الإمام الحسن عليه السلام، فرضت عليه أن يتّجه نحو (الصلح)، والطبيعة الثوريّة عند الإمام الحسين عليه السلام فرضت عليه أن يتّجه نحو الأسلوب الثوري.

المحاولة الرابعة:

الاختلاف في القدرات والكفاءات، فالإمام الحسن عليه السلام ما كان يملك القدرة والكفاءة العسكريّة والحربيّة، ممّا جعله يتخلّى عن خيار الحرب والمواجهة، في حين كان الإمام الحسين عليه السلام يملك القدرة والكفاءة ممّا جعله يعتمد هذا الخيار.

المحاولة الخامسة:

الاختلاف في النّمط الحياتي، فالإمام الحسن عليه السلام يميل إلى الدّعة والراحة، والإمام الحسين عليه السلام يميل إلى الجدّ والصرامة، ممّا انعكس على طبيعة الأسلوب الذي مارسه كلّ منهما.

المحاولة السادسة:

الاختلاف في النزعة إلى السّلطة، فالإمام الحسن عليه السلام عازفاً عن السّلطة والحكم، والإمام الحسين عليه السلام كان يحمل هذه النزعة نحو السّلطة والحكم.

هذه مجموعة تفسيرات كلّها خاطئة ومرفوضة، فكلا الأسلوبين يمثّل الموقف المعصوم -وفق النظريّة التي تؤمن بعصمة الأئمّة - ولذلك جاء الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين إمامان، قاما أم قعدا)[1].

وكلا الأسلوبين يمثّل الموقف الملائم لظرفه، فاختلاف الظروف الموضوعيّة التي تمرّ بها الرسالة، واختلاف الحالة التي تعيشها الأمّة وعيًا والتزامًا واستعدادًا، واختلاف طبيعة النّظام الحاكم، كلّ ذلك يفرض الاختلاف في الأسلوب...

ثمّ إنّ كلا الأسلوبين ينسجم مع أهداف الرسالة سواء الهدف الإستراتيجي العام المتمثّل في مصلحة الرسالة وحماية مسيرتها، أم الأهداف المرحليّة وفق نظريّة المراحل...

كما أنّ هناك ترابطًا بين الموقفين، فصلح الإمام الحسن عليه السلام، قد هيّأ لثورة الإمام الحسين عليه السلام، وقد تمثّل ذلك في النقاط التالية:

١- تصعيد حالة الرفض والغليان عند الأمّة.

٢- تأهيل الكوادر.

٣- تنضيج مبرّرات الثورة في ذهنيّة الأمّة أو في ذهنيّة الواعين.

٤- تهيئة الظروف الموضوعيّة.

وبعد هذه المعالجة العاجلة لمسألة الصلح ومسألة الثورة، نعود للإجابة عن التساؤل.

لماذا أكّدتم في حديثكم على خيار الثورة والشّهادة، وأغفلتم خيار الصّلح والمسالمة؟

وربّما يكون الخيار الثاني هو الأصلح للأمّة في هذه المرحلة.

وفي الإجابة عن هذا التساؤل أقول:

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٤٣/ ٢٩١، أبواب تاريخ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، ح٥٣. (ط. مؤسسة الوفاء)

أولًا:

حديثي عن خيار الجهاد والمقاومة كان في سياق الموقف من المشروع الصهيوني الغاصب.

وكما هو واضح:

١- إنّ هـذا المشـروع غاصـبٌ للأرض والمقدّسـات فـلا يملك شـرعيّة البقاء أساسًا.

٢- إنّ هذا الكيان اللا شرعيّ يمارس سياسة العنف والإرهاب والقتل والإبادة والدّمار، منذ أن تأسّس وحتى الآن.

٣- إنّ هـذا الكيـان لا يعـترف بكلّ القـرارات والأعـراف والقوانـين، والقِيَم والمبادئ.

٤- إنّ جميـع مشـروعات الصّـلح والسّـلام مـع هـذا العـدو الغاصـب باءت بالفشل.

ووفـق هـذه الحيثيّات لا خيـار في مواجهة هذا المشـروع الصـهيونيّ إلّا خيار الجهاد والمقاومة، وخيار الشّهادة والاستشهاد، ولا معنى إطلاقًا لخيار الصّلح والمسالمة.

ثانيًا:

وإذا كان للوضع الدولي ضغوطاته في فرض (مشروع المصالحة)، وإذا كانت أنظمة الحكم والسّياسـة في المنطقة لا تملك القدرة على الرفض والمعارضة، فإنّ ذلك لا يُلغي خيار الجهاد والمقاومة لدى شعبنا في فلسطين، ولدى شعوب أمّتنا العربيّة والإسلاميّة.

ثالثًا:

أمّا خيارات الشّعوب مع الأنظمة الحاكمة، فمسألةٌ لم أتناولها في حديثي..

فما هو خيار الشعوب العربيّة والإسلاميّة؟

هل خيار الثورة والمقاومة أم خيار المسالمة والمصالحة؟
هذه أسئلة الإجابة عنها خاضعة لمجموعة حيثيّات فقهيّه وموضوعيّة.

رابعًا:

وحتى لو اعتمدنا خيار المصالحة السِّياسيّة مع هذا النِّظام أو ذاك، فإنّ ذلك لا يُلغي ضرورة أن تعيش الأمّة روحيّة الجهاد والشّهادة، بل يجب على أنظمة الحكم العربيّة والإسلاميّة أن تنمّي عند جماهير الأمّة روحيّة الجهاد والشّهادة.

إنّ من أخطر الوسائل التي مارستها سياسات التدجين والتهجين لجماهير أمّتنا العربيّة والإسلاميّة هو القضاء على روحيّة الجهاد والشّهادة،خوفًا من غضبة الجماهير تجاه الأنظمة.

وفي سبيل هذا التدجين والتهجين أغرقت هذه السِّياسات واقع الأمّة بسيلٍ من مشروعات الفساد واللهو والعبث ممّا أنتج أجيالًا مهجّنة مائعة خانعة وقعت أسيرة الهوى والنزوات والشّهوات، وكانت الأنظمة الحاكمة واعية تمامًا لهذا الأسلوب الخطير الذي استطاع أن يقتل في داخل الجماهير روحيّة الصرامة والجديّة، وروحيّة الثبات والصمود، وروحيّة الجهاد والشّهادة، فأجيال مأسورة لأجواء اللهو والمجون والفسق والترف المحرم، لا يمكن أن تحمل هموم الأمّة ولا يمكن أن تتفاعل مع قضايا الأمّة المصيريّة.

أقولها بصراحة أنا لا أستطيع أن أفهم أنّ هؤلاء الغارقين في دنيا المحرّمات ودنيا الموبقات، ودنيا الشّيطان يمكن أن يتصدّوا لقضايا الأمّة، وأن يحملوا مسؤوليّات الأمّة، وأن يتعاطفوا مع طموحات الأمّة، وإن أعطوا لأنفسهم صفة الثوريّة والنضال من أجل حقوق الشعوب.

إنّ هؤلاء الذين لا يملكون القدرة أن يثوروا على نزوات الهوى داخلهم، ولا يملكون أن يناضلوا ضدّ غوايات الشّيطان في حياتهم، كيف يمكن أن يكونوا ثوريّين، وكيف يكونوا مناضلين في أمّة تؤمن بالله، والإسلام والقرآن والقِيَم، في أمّة تكفر بالشّيطان، والضّلال والباطل والانحراف.

مــن هنــا نؤكّد على جماهــير شـعبنا المؤمن، أن لا يســتأمنوا على قضــاياهم المصــيريّة، وعلــى أهدافهم وطموحاتهم وحقوقهم إلّا الأمنــاء على دينهم، فالذين لا يحملــون أمانة الدّين لا يمكــن أن يكونوا أمناء على دنيا المؤمنين، نعم يمكن أن يكونوا أمناء على دنيا الفاسقين والمنحرفين.

الفارق كبيرٌ وكبيرٌ بين دنيا المؤمنين، ودنيا الفاسقين، دنيا المؤمنين دنيا الطّهر والنقاء والقِيَم والفضــيلة، دنيا الإيمان والهدى والصّــلاح والتقوى، ودنيا الفاسـقين دنيا القذارة والخبث والفساد والرذيلة، دنيا الكفر والضّلال والفسوق والعصيان.



حـوار حـول الـمـمارسـات الـعـاشـورائـيـة

السؤال (١):

فكر الثورة الحسـينيّة في القرن الواحد والعشـرين.. برأيكم ما هي اتجاهاته وكيف ينمو وينتشر؟

الجواب:

إنّ العنصر الحاضر بكلّ متغيّراته ومستجدّاته الثقافيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة والإعلاميّـة والتقنيّة يفرض على الخطاب الحسـينيّ أن ينفتح على آفاق جديدة، ولا نعني أن يُغيّر هذا الخطاب متبنّياته الأصـيلة وثوابته ومكوّناته ومنطلقاته من أجل أن يتوافـق مع الأفكار الجديدة والحاجات الجديدة مهما كانت صـبغتها، وإنّما نعني أن يكون خطاب الثورة الحسـينيّة بكلّ صياغاته الحاضرة قادرًا على التعبير عن العصر وتوجيه مسار الأجيال في حركة يتزاوج من خلالها الثابت والمتغيّر، وهنا تأتي ضرورة أن يكون القائمون على إنتاج هذا الخطاب في هذا العصـر يملكون مؤهّلات وكفاءات متميّزة؛ من أجل إعطاء الخطاب صـياغاته العصـريّة القادرة على خلق حضور لفكر الثورة الحسـينيّة في كلّ حركة الواقع الثقافي والاجتماعيّ والسِّياسـيّ، وفي مسـاراته ومسـاحاته وامتداداتـه الكبيرة، وعلى مسـتوى العالم كلّه، خاصّـة بعد هـذا التطوّر المذهل في تقنيات الاتصال والبثّ والإعلام.

السؤال (٢):

تحتل العاطفة موقعًا هامًّا في الشعائر الحسينيّة، كيف نوجّه هذه العاطفة في مسارها الصحيح؟

الجواب:

في موسم عاشوراء تتفجّر وتلتهب العواطف الحسينيّة، ويتصاعد وهجها وحماسها وغليانها، فمأساة الإمام الحسين عليه السلام قد دخلت في عمق الوجدان الشيعيّ وتفاعلت مع كلّ أحاسيسه ومشاعره...

ولكي نعطي هذه العواطف الحسينيّة حضورها الفاعل لا بدّ أن نتوفّر على الأبعاد التالية:

البعد الأول:

أن نعطي العاطفة جرعات كبيرة من الوعي العاشورائيّ، فالعاطفة التي لا يحتضنها وعي أصيل تفقد الرؤية والبصيرة، وقد تنحرف وتتيه وتضلّ...

وكما أنّ العاطفة في حاجةٍ إلى جرعاتٍ من الوعي، كذلك الوعي في حاجةٍ إلى جرعاتٍ من العاطفة، فالوعي الذي لا يختزن عاطفة تموت في داخله الحرارة والنبض والوهج والحركيّة، وقد يُصاب بالشّلل والركود، هكذا يجب أن تتوازن العاطفة مع الوعي.

البعد الثاني:

أن نعطي للعاطفة الحسينيّة حركتها على مستوى السلوك والفعل، لتتحوّل عطاءات عاشوراء قيمًا وأخلاقًا وممارسات تصوغ واقعنا في خطّ الثورة الحسينيّة وأهدافها ومنطلقاته، وهكذا تتحوّل العاطفة العاشورائيّة سلوكًا عاشوريًّا.

البعد الثالث:

أن نُعطي للعاطفة العاشورائيّة دورها ورِسالتها وفاعليّتها وهادفيّتها، لتصنع منّا حَمَلة رسالة، هي رسالة عاشوراء بما تفرضه هذه الرسالة من عمقٍ في الولاء،

ووعي في الانتماء، وصمود في الموقف، وجرأة في التحدّي، وسخاء في العطاء، ورفضٍ لكلّ أشكال الفساد والباطل والانحراف، وعشقٍ صادقٍ للموت والشّهادة في سبيل المبدأ والعقيدة.

السؤال (٣):

نلاحظ في السنوات الأخيرة تطورًا في التعاطي مع إحياء الشعائر الحسينيّة بإدخال عنصر الفن كالمسرح والسينما والرسم هل يمكن أن يكون ذلك بديلًا عن الخطابة والموكب؟

الجواب:

إنّنا نؤكّد ضرورة إنتاج أساليب جديدة من أجل أن نعطي لعاشوراء حضورها المتجدّد مع الزّمن، على أن تكون هذه الأساليب تملك مشروعيّتها من وجهة النّظر الفقهيّة، وأن تُعبّر عن أهداف عاشوراء.

وإذا كنّا نؤكّد ضرورة التجديد في وسائل الإحياء العاشورائيّ، فهذا لا يعني أن تكون هذه الوسائل الجديدة بديلًا عن المنبر والمأتم والموكب، والتي لها حضورها المتأصّل في عمق الوجدان الشيعيّ، فأيّ محاولة لتعطيلها أو التقليل من أهميّتها ودورها لها نتائجها الخطيرة ومردوداتها السلبيّة، نعم يمكن أن يلامس التجديد لغة الخطاب المنبري، وأسلوب الأداء الخطابي، وشكل ومضمون المواكب والمسيرات الحسينيّة؛ بشرط أن يحافظ هذا التجديد على أصالة الانتماء إلى أهداف عاشوراء.

السؤال (٤):

كيف نُخرج عاشوراء من البيت الشيعيّ إلى البيت الإسلاميّ والعالميّ؟

الجواب:

يمكن ذلك من خلال:

١- الخطاب العاشورائيّ: فمن الضروري أن يُبرز هذا الخطاب الأهداف الكبرى لقضيّة كربلاء في امتداداتها الإسلاميّة العامّة، وآفاقها الإنسانيّة

الواسعة، وفي نصوص الثورة وكلماتها ما يؤكّد هذه الامتدادات، وهذه الأفاق، ومن المؤسف أن خطاب عاشوراء عند الكثيرين ساهم في تحجيم ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وسجنها في الزنزانة المذهبيّة.

٢- اعتماد الأساليب الجديدة والمتطوّرة والمحكومة للضوابط الشرعيّة، ممّا يُعطي لعاشوراء قدرتها أن تقتحم عقل الإنسان ووجدانه في هذا العصر مهما كانت انتماءاته وقناعاته الفكريّة والثقافية والسِّياسيّة، ولا شكّ أنّ وسائل الاتصال الحديثة تُساهم في الخروج بقضيّة كربلاء من دائرتها المحدودة إلى الأفاق الأوسع.

٣- إنّ بعض أساليب التعبير المتحرّكة في الموسم العاشورائيّ تُنتج ردود فعلٍ عكسيّة، وتُشكّل ممارسات ضارة بسمعة عاشوراء، فإذا أردنا لعاشوراء حضورًا إسلاميًّا وإنسانيًّا فيجب أن نجعلها تتخفّف من الأساليب الضّارة، والتي لا تُعبّر عن المضمون الأصيل لقضيّة كربلاء، وهذا لا يعني أن نستسلم لرغبات الآخرين فيما هي أساليبنا في التعبير العاشورائيّ، وإنّما هي المحاسبة الذاتيّة الجريئة في تنقية أساليبنا من كلّ الممارسات التي لا تملك تعبيرًا حقيقيًّا عن أهداف الثورة الحسينيّة، والتي لا يُشكّل التخلّي عنها أيّ خللٍ في استمراريّة المسيرة العاشورائيّة، في الوقت الذي يحمّلنا بقاؤها الكثير من التبعات والإشكالات.

السؤال (٥):

ما هي أهداف عاشوراء؟

الجواب:

انطلقت النهضة الحسينيّة من أجل إعادة التأصيل الإيماني والقياديّ في واقع الأمّة بما يختزنه هذا العنوان من مكوّنات وامتدادات كبيرة، وفي ضوء هذه الرؤية في فهم حركة الإمام الحسين عليه السلام تتحدّد (أهداف عاشوراء) هذه الأهداف التي يمكن أن نوجزها فيما يلي:

١- تركيز خطّ القيادة الشرعيّة في حركة الأمّة.

٢- تركيز الأهداف الإيمانيّة والمتمثّلة في:

أ- الأهداف العقيديّة.

ب- الأهداف الروحيّة والأخلاقيّة.

ج- الأهداف الفكريّة والثقافيّة.

د- الأهداف الاجتماعيّة.

هـ- الأهداف السّياسيّة.

السؤال (٦):

كيف نحيي هذه الأهداف؟

الجواب:

من أجل أن نحيي أهداف عاشوراء نحتاج إلى:

١- رؤية واعية بتلك الأهداف.

٢- انصهار وجدانيّ وعاطفيّ مع الأهداف.

٣- إخلاص وصدق في التعاطي مع الأهداف.

٤- التجسيد العمليّ للأهداف.

وكلّما توفّرنا على مستوًى أرقى لهذه المكوّنات كانت الأهداف أقوى حضورًا في واقعنا، فمسؤوليّتنا أن نعمل على الارتقاء بمستوى تلك المكوّنات، وهنا يأتي دور المنبر والخطيب والرّادود، ودور المواكب والمسيرات، ودور المسؤولين والقائمين على المجالس ودور الجماهير الحسينيّة.

السؤال (٧):

هل استطاعت الطرق التقليديّة على مرّ السنين إحياء عاشوراء بالمستوى المطلوب؟، أم أنّ هناك تأثيرات جانبيّة ظهرت من هنا وهناك أثّرت على الإحياء بالمستوى المطلوب؟

الجواب:

إن أســاليب الإحياء العاشورائيّ في حاجةٍ إلى تجديدٍ مستمر، مع الحفاظ على المكوّنات الأصـيلة التي تُغذّي حركة التواصـل مع قضيّة عاشوراء، وأنّ غياب التجديد في الجانب المتحرّك من تلك الأساليب أدّى إلى حالةٍ من الشّلل والرّكود، لذلك فنحن ندعو إلى هذا التجديد المستمرّ، ثمّ إنّ بعض الأساليبِ المتخلّفة والخاطئة ساهمت في مصــادرة بعض معطيات الذكرى، وأساءت إلى حالة التعاطي مع أهدافها، فالمطلوب من أجل تفعيل دور أساليب الإحياء العاشورائيّ:

أولًا: الحفاظ على المكوّنات الأصيلة الثابتة.

ثانيًا: التجديد والتطوير في الأساليب المتحرّكة.

ثالثًا: التخلص من الأساليب المتخلّفة والخاطئة.

السؤال (٨):

هـل تعتقدون بأنّ سـاحة الموكـب والأنشـودة تعيش حالة من التـأزّم الخطير، والذي من الضّروري معالجته، والانتباه إليه؟

الجواب:

لا أعتقد أنّ المســألة في مستوى التأزّم الخطير، ولكن هناك إشكالات في حاجة إلى تصــدّي ومعالجة جادّة؛ خشـية أن يتّجه الوضــع إلى مســاراتٍ تـؤدّي إلى التأزّم والانفلات ممّا يُسيئ إلى أهداف المراسيم العاشورائيّة.

السؤال (٩):

إنّ الإمام الحســين ﷺ هو منبع إلى مختلف القضايا، فهل كنتم تعنون عندما أكّدتم في كلمتكم بمؤتمر عاشوراء الرابع على ضرورة أن يبقى خطاب الموكب في ردّاته وقصــائده وشعاراته ولافتاته حاملًا لعنوان (الحسين ﷺ) بأنّ هنالك خطابًا خاصًّا بالحســينيّ غير الموجـود في الموكب حاليًّا، وألا تــرون بأنّ كلامكم هذا سيتســبّب في التضييق على فرصة الإبداع الخطابي؟

الجواب:

مطلوبٌ من خطاب الموكب الحسينيّ في كلّ مكوّناته أن ينفتح على كلّ الواقع الدِّينيّ والثقافيّ والاجتماعيّ والسِّياسيّ، إلّا أنّ هذا الانفتاح يجب أن يكون مصبوغًا بالصبغة الإيمانيّة والحسينيّة؛ لكي يتجذّر في وعي الجماهير وفي وجدانها وفي حركتها حسُّ الانتماء الإيمانيّ الحسينيّ، وخطاب الموكب قادر أن يتواصل مع كلّ قضايا العصر، وأن ينفتح على كلّ أدوات الإبداع والتجديد، ما دام هذا الانفتاح محكومًا بضوابط الشّرع وقِيَم الدّين.

السؤال (١٠):

سماحة السيد يبدو للوهلة الأولى من خلال متابعة التصريحات المختلفة من قِبَل العلماء، على أن هنالك استياءً واضحًا من واقع الإصدارات العزائيّة والإنشاديّة الإسلاميّة، فما هو رأيكم، وفي حال كنتم تتفقون معهم في هذه النظرة، كيف تمكّنتم من تقييم الوضع العام للإصدارات؟

الجواب:

ما يؤكّده العلماء هو ضرورة الالتزام بالضوابط الشرعيّة، وبالأهداف العاشورائيّة في كلّ الإصدارات العزائيّة والإنشاديّة، وهذا يعني ضرورة التوفّر على ثقافة هذه الضوابط من خلال الاستعانة بخبراتٍ علمائيّةٍ قادرة على أن ترشّد هذا الأمر.

السؤال (١١):

لعلّ الرّواديد والشّعراء يعتقدون بأنّ الحجر على الإبداع بكثرة الاحتياطات الشرعيّة يقلّل من جودة الإنتاجات الفنيّة، ما هو رأيكم في هذه النظرة، وما هي الحدود الشرعيّة التي يتعيّن على الرّادود والشّاعر أن يراعيها أثناء إنشائه أو أدائه لخطاب الموكب؟

الجواب:

المسألة ليست حجرًا على الإبداع، بل هو تحصينٌ للخطاب الحسينيّ بكلّ تنوّعاته لكي يُحافظ على أصالته وانتمائه وأهدافه، إنّ قيمة الإنتاجات العاشورائيّة بمقدار ما تتوفّر على الأصالة والانتماء، وبمقدار ما تُعبّر عن أهداف عاشوراء ولا تُشكّل الضوابط الشرعيّة أيّ إعاقة في حركة الإبداع والتجديد.

السؤال (١٢):

يوجد مدرستان في الموكب، الأولى تتبنّى تعدّد الأوزان والألحان في القصيدة، والثانيّة تقلّل من الألحان والأوزان، وبينهما ظاهرة شدّ وجذب، حيث يُشكِل بعضهم على مدرسة تعدّد الألحان والأوزان بأنّها تسلب من المستمع فرصة حفظ القصيدة والتمعّن في كلماتها، فأيّهما الأفضل، ولماذا؟

الجواب:

المهم أن يتوفّر معياران: الالتزام الشرعيّ، والانسجام مع الهدف العاشورائيّ، وماعدا ذلك فهو متروكٌ للقراءة الموضوعيّة فيما هو الأنفع والأجدى والأفضل، مع التّأكيد على ضرورة أن لا تضيع الأفكار والمضامين في زحمة الانئسار للأنغام والألحان.

السؤال (١٣):

ما رأيك في واقع الفيديو كليب العزائيّ الموجود، وهل هنالك ضوابط تدعون إليها؟

الجواب:

نؤكّد على الضوابط الشرعيّة فيما هي الألحان والأصوات، مع الحفاظ على قداسة القضيّة الحسينيّة من خلال الصور والعرض والمشاهد، وهناك تكون الحاجة ملحّة لإيجاد جهاز تتزاوج فيه خبرات المخرجين والمنشدين مع توجيهات الفقه والدّين.

السؤال (١٤):

تنشغل فئات كبيرة من الشّباب بمتابعة أخبار الرّواديد والقصائد العزائيّة والإنشاديّة لحدّ الثّمالة، كيف تعلّقون على هذه الظّاهرة، وما هي أسبابها، وإذا كانت سلبيّة فما هي الحلول اللازمة؟

الجواب:

لا شكّ أنّ هذا الأسلوب يُلامس المشاعر والعواطف، وهي سمة إيجابيّة إذا وُظّفت توظيفًا هادفًا، وذلك بإعطاء العاطفة جرعات كافية من الوعي العاشورائيّ، فمن الضّروري أن يكون هناك توزان بين الفكر والعاطفة والسّلوك وإلّا فقدت المراسيم دورها في صنع الإنسان العاشورائيّ.

السؤال (١٥):

كيف من الممكن أن نؤسّس لرؤية نقديّة باستطاعتها أن تخلق حراكًا يدفع باتجاه الحوار والنّقد؛ من أجل معالجة الممارسات الخاطئة في الواقع العاشورائيّ؟

الجواب:

لكي نؤسّس لهذا الحِراك الحواريّ النّقدي نحتاج إلى مجموعة مكوّنات:

١- إخلاص وصدق.

٢- جرأة وشجاعة.

٣- وعي وبصيرة.

وحينما نتحدّث عن الوعي والبصيرة فنعني (أولًا) التوفّر على الوعي والبصيرة بأهداف الموسم العاشورائيّ، ونعني (ثانيًا) التوفّر على وعي وبصيرة بأساليب الحوار والنّقد وفق المنظور القرآنيّ.

السؤال (١٦):

ألا تجدون من الضروري وجود اتصال بين العلماء والرّواديد في البحرين؛ من أجل معالجة بعض المشاكل، كالاستشكال على بعض الإصدارات التي تعب الرّادود في

إعدادها، خصوصًا مع وجود كمٍّ هائلٍ من الرّواديد؟.

الجواب:

من الضّـــروري جدًا هذا التّواصـــل، وقد تَشكّل بالفعل من خلال تأسيس رابطة الشّـــعراء والرّواديـــد الحســـينيّين، والتي لهـــا علاقة وثيقة جـــدًا بالمجلس الإســـلاميّ العلمائيّ، وقد عقدت عدّة لقاءات وجلســـات، وكان لهذا المفصـــل العاشورائيّ حضوره في مؤتمرات عاشوراء التي أقامها المجلس الإسلاميّ العلمائيّ.

السؤال (١٧):

العلماء في البحرين يستشكلون على بعض الإصدارات، فلماذا لا نجد متصدّي صريح وواضح إزاء هذا الواقع كمؤسّسة بثقل المجلس الإسلاميّ العلمائيّ؟

الجواب:

يحاول المجلس الإســـلاميّ العلمائيّ – حسب إمكاناته – أن يتصدّى لتصحيح الكثير من أوضـــاع الموسم العاشورائي، وهذا واضـــحٌ من خلال مؤتمراته العاشورائيّة الســـنويّة، ومـــن خلال اللقاءات الترشـــيديّة المســـتمرّة مع القائمين على شـــؤون المآتم والمواكب وكافّة الفعّاليّات العاشورائيّة.

السؤال (١٨):

هل كان الهدف الذي ينشده الإمام الحسين عليه السلام كما يصوّره البعض هو طلب الشهادة كيفما كان ؟

الجواب:

الهدف الذي حدّده الإمام الحســـين عليه السلام لنهوضـــه المبارك هو الإصلاح (إنّما خرجت لطلب الإصـــلاح في أمّة جدّي...) ســـواء تحقّق هذا الإصلاح من خلال إقامة الحكم الإسلاميّ أو الشّهادة.

السؤال (١٩):

امتاز خطاب الإمام الحسين عليه السلام في مسيرة كربلاء بمزايا عديدة هل لكم أن تبرزوا لنا معالمه؟

الجواب:

خطاب الإمام الحسين عليه السلام عبّر عن رؤية معصوم في قراءة كلّ الواقع الموضوع المتحرّك، بالوضوح في تحديد الوظيفة الشرعيّة المطلوبة لمواجهة هذا الواقع...
كما أنّ الخطاب امتاز بالوضوح فيما طرح من أهداف وخطوات ونتائج، كما جسّد كلّ التجسيد مضامين الرسالة العقيديّة والروحيّة والأخلاقيّة والفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة والجهاديّة.

السؤال (٢٠):

ذكرتم في كلمة لكم اصطبغ الوجدان الشيعيّ بشكلٍ كبير من خلال ثورة الإمام الحسين عليه السلام ترى كيف ذلك؟

الجواب:

برز ذلك من خلال ظاهرة البكاء والحزن والتفجّع على مصاب الإمام الحسين عليه السلام، وقد جذّر الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام هذا الانصهار والذوبان العاطفي والوجدان عند أتباع مدرستهم، إلّا أنّهم لم يريدوا لهذه العاطفة أن تبقى إنفعالاً لا تحكمه رؤية واعية، وبصيرة رشيدة حتى لا تتحوّل المشاعر انفلاتات غير موجّهة، وهنا ضرورة أن يتزاوج الوعي مع العاطفة، ولا قيمة لهذا التزاوج ما لم ينتج سلوكًا ملتزمًا في خطّ أهداف الثورة الحسينيّة، وما لم ينتج حراكًا سياسيًّا هادفًا.

كلمة أخيرة توجهونها للشعراء والرّواديد.

أتوجّه إلى كلّ المعنيّين بمراسيم عاشوراء:

- أن يكونوا في مستوى أهداف عاشوراء وعيًا، وصدقًا، وإخلاصًا، والتزامًا، ورسالة...

- وأن يحافظوا كلّ المحافظة على نزاهة هذه المراسيم بعيدًا عن كلّ الممارسات التي تُسيئ إلى سمعة عاشوراء، وسمعة المنتمين إلى مدرسة عاشوراء، خاصّة في هذا العصــر، الذي أصبحت فيه فعّاليّات الموسم العاشورائيّ مفتوحة على كلّ العالم...

وفّق اللّه تعالى كلّ العاملين في إحياء قضــيّة عاشــوراء وفي الدّفاع عن أهدافها الأصيلة، وفي حمايتها من كلّ أشكال العبث والتحريف والإساءة..

القسم الثامن

كلمات رثائيّة في ذكرى عاشوراء

- مشاهد ودروس.
- وجاءتْ ظهيرة عاشوراء.
- أيّها الحزنُ الساكنُ في قلبِ كلِّ شيعيّ.
- الحسين زفرة لن تهدأ.

١

مشاهد ودروس[1]

السَّلامُ على مَنْ مزَّقَ السّهمُ المثلثُ قَلْبَه...
السَّلامُ على مَنْ هشّمتْ حوافرُ الخيولِ صَدْرَه...
السَّلامُ على مَنْ حزّ السَّيفُ المشؤوم نَحْرَه...
السَّلامُ على مَنْ تقاسمتْ المواضي والرماحُ جَسَدَه...
السَّلامُ على مَنْ رُفِعَ فوقَ السِّنانِ رأسُه...
السَّلامُ على مَنْ بَقِيَ ثلاثًا في العَراءِ جثمانُه...
السَّلامُ على مَنْ تناهبتْ الأعداءُ أسلابَه...
السَّلامُ على مَنْ أَحْرقتْ نِيرانُ الحقدِ خيامَه...
السَّلامُ على مَنْ حُمِلَتْ على النياقِ العُجف نساؤُهُ وحريمُه...
السَّلامُ على مَنْ روّعتْ السّياطُ أطفَالَهُ وأيتامَه...

يا أحبّاءَ الحسينِ عليه السلام حديثي معكم في هذه الليلة الكئيبة، الشديدة على قلبِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وعلى قلب أميرِ المؤمنين، وعلى قلب فاطمة الزّهراء عليها السلام، وعلى قلوب العترة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى قلوب المؤمنين والمحبّين...

حديثي معكم في هذه الليلة الكئيبة بعنوان (مشاهد ودروس)
فبقلوبٍ مفجوعة أثقلتها آلام كربلاء...
وعيونٍ باكيةٍ أرهقتها أحزانُ عاشوراء...
وذاكرة تزدحمُ في داخلها صورُ الفاجعة...
نحاول أن نقف مع مشاهدَ حزينةٍ تروي قصّة المأساة...

---

(١) كلمة ألقيت في ليلة الحادي عشر من المحرم ١٤٢٤هـ، في مأتم النعيم الغربي.

المشهد الأول:

غربت شمس التاسع من المحرّم سنة واحد وستين من الهجرة، وبدأ ليل المأساة، بين حنايا هذا الليل...

كان المشهد الحزين... القمرُ الوادعُ يبعث بأشعته الكئيبة لتلامس رمال كربلاء الحزينة، والتي بدت وكأنّها تترقّب حدثًا سوف يروّيها دماءً ودموعًا، وهكذا تعانَقَ النورُ الخجول مع الرّمال الذاهلة ليكونا الشاهدين الصادقين على أحداثِ الليلة الأخيرة قبل المأساة...

وعلى أرض كربلاء تشابكت مجموعةٌ قليلة من الأخبية والخيام، احتضنت في داخلها نساء الرسالة وأطفال النبوّة...

وفي جوف خيمة، جلس الحسينُ السّبطُ منفردًا قد أطرق برأسِه إلى الأرضِ، أثقلتْ قلبَه همومٌ وهمومٌ، تندّت في مقلتيه قطراتٌ من دموعٍ حارة...
تُفاجأه الحوراء زينب تدخلُ الخيمة فتراه يكفكفُ الدموع...
- ابن أمّي يا حسين ما لي أراك باكيًا؟
- زينب هذه، اجلسي يا ابنة الزّهراء...
جلست زينب إلى جنب أخيها الحسين، والليلُ قد أرخى سدوله...
التفت الحسين إلى إخته الحوراء...

- أختاه زينب...
- نعم يا ابن والدي...
- انظري إلى هذه الحشود التي ملأت أرضَ كربلاء، إنّها مصمّمةٌ على قتلي، وعلى سفك دمي...
- وماذا ألست شبلَ عليّ؟
- أختاه زينب وهل عهدتِ أخاكِ يرهبُ الموتَ، ويخشى القتال؟...
- فما يبكيك يا قرّة عين الزهراء؟
- أبكي لهؤلاء القوم يدخلون النّار بسببي...

ما أعظم قلبك يا أبا عبد الله... أيّ قلب كبيرٍ هذا؟

وأيّ رحمةٍ كبيرةٍ يحتضنها هذا القلب؟
وأيّ حبٍّ كبيرٍ ينبض به هذا القلب؟
أعداؤك الذين تسعّرت نفوسهم حقدًا وبغضًا وشنئآن...
أعداؤُكَ الذين تلمّظت قلوبهم، وجاءوا ليرتووا من دمِكَ الطاهر...
هؤلاء تحمل لهم كلَّ الرحمةِ والعطف والشفقةِ؟! هؤلاء تبكي من أجلهم؟!
هكذا أنتم يا آل رسول الله ﷺ... قمم النبل والطهر والفضيلة...
وأعداؤكم رموز الشّر والخسّة والحقارة...
ويبقى خطّ النبل والطّهر والفضيلة هو خطّكم ويبقى خطّ الشّر والخسّة والحقارة هو خطّ أعدائكم...
هذا هو الحسين القلب الكبير المملوء رحمةً وعطفًا حتى على أعدائهِ...
وماذا عن واقعنا نحن أتباع الإمام الحسين عليه السلام...
هل نحمل قلوبًا مملوءة بالحبِّ والرحمة؟
لا أقول على أعدائنا، وإنّما على بعضنا البعض...

من المؤسف جدًا أنّنا أصبحنا نحمل قلوبًا مملوءة بالحقدِ والضغينة والبغضاء تجاه بعضنا البعض...
«لبسنا جلود الضّأن على قلوب الذئاب، وقلوبنا أنتن من الجيف وأمرّ من الصبر»..
«كلامنا أحلى من العسلِ وقلوبنا أمرّ من الحنظل»...
يبتسم بعضنا إلى بعض، والضمائر متدابرة متنافرة...
أصبحنا باسم الحسين نتصارع ونتعادى ونتقاتل، أصبحنا باسم الحسين يُكفِّر بعضنا بعضًا...
وكلّنا يُنادي يا حسين... وكلّنا يبكي الحسين... ويلطم من أجل الحسين...
فمتى يا أحبّاء نعيش الحسين حاضرًا في حياتنا...
حاضرًا في كلّ أفكارنا وثقافتنا...
حاضرًا في كلّ عواطفنا...
حاضرًا في كلّ أخلاقنا... حاضرًا في كلّ سلوكنا...
حاضرًا في كلّ مواقفنا الاجتماعيّة والسِّياسيّة...

حاضرًا في كلّ صراعاتنا مع القوى الضّالة والكافرة، ومع قوى الاستكبار التي تريد أن تفرض نفسها على كلّ واقعنا الثقافي والاجتماعيّ والسِّياسيّ والإقتصاديّ... وليس في العواطف والشّعارات... والكلمات والخطابات.

المشهد الثاني:

مشهدٌ آخر، وحوارٌ آخر بين الحسين وزينب...

الخيمة الصامتة الحزينة تروي قصّة اللقاء الحميم بين الحسين وأخته الحوراء زينب...

ماذا يريد أن يقول الحسين لأخته زينب في ليلة الوداع؟

ما كان الإمام يريد -في هذا اللقاء- أن يستنفر مخزونَ الحزنِ والألم الذي يحتضنه قلب الحوراء زينب...

اللحظة أكبر من الألم والحزنِ والعواطف...

إنّه التخطيط لمستقبل الثورة...

الثورة التي يجب أن تبقى وتستمر...

ويجب أن يكون للحوراء دورها في بقاء الثورة واستمرارها...

فاللحظة إذًا لا تسمح للعواطف أن تتحدّث...

ماذا قال الحسين لأخته الحوراء في هذا اللقاء...

«أخيّه تعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السّماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيءٍ هالك إلّا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرتِه، ويبعث الخلقَ فيعودون وهو فرد وحده»..

«يا أخيّه إنّي أقسم عليكِ فأبرّي قسمي، لا تَشُقّي عليَّ جيبًا، ولا تخمشي عليَّ وجهًا، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت»...

وحسبتْ الحوراء الآهاتِ في قلبها المثقل بالآلام والهموم والمصائب، وخنقتْ في عينيها الدموع والعبرات، لتكون الأقوى شموخًا وعنفوانًا، والأصلبَ ثباتًا وصمودًا...

وهكذا حمّلها الحسين مسؤوليّة قيادة الموقف بعد إستشهاده، وكانت مؤهّلة كلّ التأهيل لهذه المهمّة الخطيرة...

ولذلــك فإنّنا نرفض كلّ القصــص والروايات والأشــعار التي تُصــوّر الحوراء زينــب المــرأة الجازعة المذهولة المرتبكة، إلى حدّ تنطح برأســها المحمل فيتفجّر الدم من رأسها...

لا ندري أيّ محملٍ هذا، وقد أكّدت روايات التاريخ أنّ السّبايا من آل محمد قد ركبن على نياقٍ عجف بلا وطاء ولا غطاء...

وهل يحقّ للحوراء أن تخالف وصيّة أخيها الحسين؟

والرواية المذكورة مرسلة ضعيفة لا يجوز الإعتماد عليها.

هناك من يحاول تسويق هذا اللون من القصص من أجل تبرير بعض الممارسات العاشوريّة التي لا تحمل سندًا شرعيًّا، وقد انطلقت بفعل عواطف مرتجلة، وإذا كانت هذه الممارسات الإنفعاليّة تمثّل في يومٍ مّا تعبيرًا – وإن كان منخفضًا وساذجًا – عن مشــاعر الحزن والمواســاة، فقد أصــبحت هذه الممارســات في هذا العصر فاقدة لكلّ دلالاتها التعبيريّة، وربّما صارت تشكّل ظواهر تشويهٍ تُسيئ إلى سمعةِ هذا الخطّ...

وفي ضــوء هــذا يمكــن أن نصنّــف أساليــب الإحيــاء العاشــوري إلى عــدّة أصناف:

١- أســاليب منصــوصٌ عليها من قِبَل المعصــومين، كما هي مجالس العزاء والبكاء وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام.

٢- أســاليب تمثّل حالات تعبيريّة طبيعيّة ولا تتنافى مع الأسس الشرعيّة كما هــو اللطم بالطريقة الهادئة التي تعبّر عن الحزن والمأســاة، وليس بالطريقة الإستعراضيّة الفاقدة لمضمونها التعبيريّ.

٣- أساليب مستحدثة ضمن حركة التجديد والتطوير في صِيَغ التعبير والإحياء، كما هي كلّ الأســاليب الجديدة التي تعتمد أدوات العصــر، مع الحفاظ على الأصالة في الأهداف والمكوّنات، وعلى الشرعيّة في الوسائل والأدوات.

٤- أســاليب دخيلــة تتنافى مع أهداف عاشــوراء وهي بحاجــةٍ إلى (التعديل والتهذيب) حسب تعبير الشهيد السيد محمد باقر الصدر...

إنّنا ندعو إلى مراجعةٍ ومحاسبةٍ جريئةٍ لبعض أساليب الإحياء العاشورائيّ، وإدخال أساليب جديدة عصريّة، لإعطاء عاشوراء حضورها الفاعل في حركة الواقع.

المشهد الثالث:

وهنا نقف مع مشهد العشق الإلهيّ، حيث بات الحسين وأهل بيته وأصحابه ليلة عاشوراء ولهم دويّ كدوي النحل ما بين قائمٍ وقاعدٍ، وراكعٍ وساجدٍ.

هكذا عاشت القلوب الربانيّة المشدودة إلى الله أقدس اللحظات مع الصّلاةِ والدعاءِ والتلاوةِ والإستغفار، وهي تتهيّأ إلى عُرس الشّهادة...

اغتسلت القلوب بسبحات الطهر الروحي إستعدادًا إلى لقاء الحبّ الإلهيّ في أروع عطاءٍ شهدته دنيا الإنسان، وفي أقدس شهادة أعطت الدم ثمنًا للمبدأ والعقيدة...

ولنا من خلال هذا المشهد الربّاني درسٌ روحيّ كبير، فلم تكن الشّهادة بكلّ قداسيتها قادرة أن تحول بين الحسين ولقاء العشق العباديّ مع الله تعالى...

أرسل الإمام الحسين أخاه العباس قائلًا له:

«ارجع إليهم فإن استطعت أن تأخّرهم إلى غدوة، وتدفعهم عنا العشيّة لعلّنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي كنت أحبّ الصّلاةَ له، وتلاوة كتابهِ وكثرةَ الدعاءِ والإستغفار» ...

يا أحبّاء الحسين:

هل استطاعت عاشوراء ومراسيمُ عاشوراء أن تصنع منكم عشّاقًا للصلاة والدعاء وتلاوة القرآن والاستغفار...

أقول (عشّاقًا) تتحوّل الصّلاة والدعاء والتلاوة والاستغفارِ في داخلكم إلى نبض وروحٍ وحياة...

وتتحوّل الصّلاة والدعاء والتلاوة والاستغفار في وجدانكم إلى حبٍّ وانصهارٍ وذوبان...

وتتحوّل الصّلاة والدعاء والاستغفار العنوان الكبير الذي تنفتحون من خلاله على كلّ الواقع في حركة الحياة...

فلا قيمة لثقافةٍ لا تحصّنها العبادة، كما أنّه لا قيمة لعبادةٍ لا تصنع حراكًا ثقافيًّا في خطّ العبادة...

ولا قيمة لسياسةٍ لا ترتكز على قِيَم العبادة، كما لا قيمة لعبادةٍ لا تخلق حراكًا سياسيًّا في خطّ العبادة...

ولا قيمة لأيّ فعل اجتماعيٍّ لا يعتمد هذه العبادة، كما لا قيمة لعبادةٍ لا تُنتج حراكًا اجتماعيًّا في خطّ العبادة...

فالعبادة في مضمونها الواعي الأصيل، وهي التي تخلق الحراك الثقافي النظيف، وتخلق الحراك السِّياسيّ النظيف، وتخلق الحراك الاجتماعيّ النظيف.

فحينما تجدون العبادة لا تصنع حراكًا ثقافيًّا وحراكًا سياسيًّا وحراكًا اجتماعيًّا بصياغاته النظيفة فاعلموا أنّ العبادة فاقدة للوعي والأصالة...

واعلموا أنّ الحراك الثقافي والسِّياسيّ والاجتماعيّ إذا لم تحكمه قِيَم العبادة فهو حراك لا يمكن أن يكون نظيفًا...

وهكذا يجب أن تصنع فينا عاشوراء مضمونًا روحيًّا عباديًّا يُحاول أن يصوغ كلّ واقعنا، وأن يصوغ كلّ ثقافتنا، وكلّ سياستنا، وكلّ سلمنا، وكلّ حربنا...

يجب أن تُمارس عاشوراء دورها في تعبئة الأمّة سياسيًّا وجهاديًّا، خاصّة في هذه المرحلة، التي تتعرّض فيها أمّتنا إلى مشروع أمريكيٍّ خطير للهيمنة على كلّ وجودنا وعلى كلّ مقدّرتنا، وعلى كلّ ثقافتنا، وعلى كلّ سياستنا.

إنّ مسألة ضرب العراق هو جزء من هذا المشروع، وإنّ إغراق واقع المسلمين بثقافات التغريب والتمييع هو جزء من هذا المشروع، فما هو دور عاشوراء في استنفار إرادة الأمّة في مواجهة المشروع الإمريكيّ.

المشهد الرابع:

غربت شمس العاشر من المحرّم، وزينب ابنة عليّ تحتضن في قلبها مأساة عاشوراء...

أحداثُ الظّهيرةِ تلاحق ذاكرتها...

كلمات الحسين تلاحق ذاكرتها...

استغاثات الحسين تلاحق ذاكرتها...

ظمأ الأطفال يلاحق ذاكرتها...

الطفل الرضيع المذبوح على صدر أبيه الحسين يلاحق ذاكرتها...

مصارع الإخوة والأولاد والأصحاب تلاحق ذاكرتها...

والأصعب والأقسى على ذاكرة الحوراء تلك اللحظات الأخيرة في أحداث الظهيرة ظهيرة عاشوراء حيث بقي ابن الزّهراء وحيداً فريدًا لا ناصر له ولا معين...

ألقى نظرةً فوجد الصّحب والأهل يفترشون الرّمال المصبوغة بالدماء...

أطلق نداءاته الخافتة المملوءة بالأسى والألم:

هل من دابٍّ عن حرم رسول الله؟

هل من موحّدٍ يخاف اللهَ فينا؟

هل من مغيثٍ يرجو اللهَ في إغاثتنا؟

فلم يجاوبه إلّا نساءٌ صارخاتٌ باكيات والهات... وأطفال صغار ذاهلات حائرات صارخات.

وتناهى الصوت إلى خيمةٍ يرقد فيها السجّاد العليل المثقل بالآلام والأتعاب...

فنهض يتوكّأ على عصاه، وينوء بحمل السّيف...

فصرخ الحسين أرجعوه لئلّا تخلو الأرض من حجّة...

صمّم الحسين على الموت...

وكان الوداع الأخير...

وكانت النظرة الأخيرة...

وكانت الكلمات الأخيرة «إستعدوا للبلاء»...

فتجمعن النساء يودّعن الحسين...

وتهافتن أطفال الرسالة يودّعن الحسين...

وجاءته أخته الحوراء بفرس المنيّة...

فامتطى السّبط جواده قاصدًا أرض القتال...

نازل القوم فردًا، والذئاب البشريّة المسعورة تحتشد الآفًا تتلمّظ ظمأً إلى دم الحسين...

وبعد النزال وقتال...

جاءه حجرٌ طائشٌ فمزّق جبهته الشريفةِ فسالت الدّماء على وجهه، والتفت بطرفه إلى السّماء «اللهمّ إنّك ترى ما أنا فيه من هؤلاء العصاة».

ورفع ثيابه يمسح الدّم عن عينيه، فجاءه سهمٌ طائشٌ مثلث فأصاب القلبَ المقدّس...

فانتزع الحسين السّهم من قفاه فانبعث الدّم غزيرًا، تلقّاه بكفّه وصبغ به رأسه ووجهه ولحيته وهو يقول: «هكذا أكون حتى ألقى الله وجدي رسول الله ﷺ وأنا مخضّب بدمي»...

ضعف السّبط الحسين عن القتال، فجلس على الأرض ليستريح فهوى على رأسه سيفٌ مجنون من مجرمٍ لا يخاف الله ولا يؤمن بيوم المعاد...

فسقط الحسين يفترش أرض كربلاء واتخذ له وسادة من التراب...

وكانت لحظة اختزل الزّمن فيها كلّ وجوده، واهتزّ الكون وتعثّر التاريخ، وكان الشّمر يجثم فوق صدر الحسين يحزّ الرأس المقدّس.

عظّم الله لكَ الأجر يا رسول الله لقد ذبحوا سبطك الحسين عطشانًا ظمآنًا...

عظّـم الله لـكَ الأجر يا أمير المؤمنين لقد مزّقوا قلب الحسـين.. وقطّعوا رأس الحسين...

عظّم الله لكِ الأجـر يا فاطمـة الزّهراء لقد أوطأوا الخيل صـدر الحسـين، وحرّقوا خيام الحسين، وسبوا نساء الحسين، وروعوا أطفال الحسين...

أما أنتِ يا زينب يا ابنة الزّهراء فلكِ الله... لقد تحمّلت وعانيتِ وصبرتِ..

فإذا كانت ذاكرةُ أحداث عاشـوراء قد أرهقتكِ فما بعد الأحداث الدامية أشدّ وأقسى عليكِ...

فأمام ناظريكِ الجسد المقدّس ممزّق الأوصال...

وأمام ناظريكِ الضّحايا مضرّجين في الدماء...

وأمام ناظريكِ أشلاء متناثرة...

وأمام ناظريكِ خيام تلتهمها النيران...

وأمام ناظريكِ يتامى صارخات والهات...

وصبايا في البراري هائمات...

ونسوة باكيات نادبات...

وعليل – هو البقيّة من آل رسول الله – تحاصره الآلام والأسقام...

وأمام ناظريكِ نياق عجف قد أعددن لسبايا النبوّة...

لكِ الله يا زينب... فأنتِ شريكة أخيكِ الحسين في ثورة كربلاء.



وجاءتْ ظهيرةُ عاشوراء[1]

قبل البدء بكلمتي أقول:

إنّنا نستنكر بشدّة، وكلّ جماهيرنا المؤمنة تستنكر، وكلّ القوى المخلصة تستنكر الاعتداءات الآثمة التي طالت في هذا اليوم العتبات المقدّسة في كربلاء الحسين وفي مدينة الإمامين الكاظمين، وكان ضحيّتها مئات القتلى والجرحى من عشّاق الحسين.

إنّ هذه الجريمة النكراء لن تنال من إرادة أمّة عاشوراء الحسين...
إنّ أمّة صنعتها دماء الحسين لا تسقط، لا تنهزم، لا تموت...

سوف نبقى نعطي الدم الواعي الهادف لتبقى عاشوراء، ولتبقى كربلاء، وليبقى خطّ الولاء، سوف نبقى أوفياء لدم الحسين ولجهاد الحسين، ولصبر الحسين ولعطش الحسين، ولكلّ القرابين التي قدّمها الحسين في يوم عاشوراء...
ولتخسأ كلّ القوى في الخارج والداخل حينما تظنّ أنّها قادرة أن تنال من ولائنا، حبّنا، عشقنا، للإمام الحسين عليه السلام..

(١) كلمة ألقيت في ليلة الحادي عشر من المحرم ١٤٢٥هـ، في مأتم النعيم الغربي.

رثاء وعزاء وتأبين:

كما هي العادة أن يكون حديثي معكم في هذه الليلة حديث رثاء وعزاء وتأبين...

وبالتأكيد أنّ هذا الجانب قد أشبعه خطباء المنبر جزاهم الله خير الجزاء، وبالتأكيد أنّي لن أضيف جديدًا، إلّا أنّها الرغبة الكبيرة في داخلي أن تكون لي مساهمة متواضعة في ذكر مصاب الإمام الحسين عليه السلام، فالذين يحدّثون الناس بما جرى على الإمام الحسين في يوم عاشوراء لهم مقامات عظيمة في يوم الجزاء إذا كانوا من الصالحين المتّقين، وقد أكّدت ذلك الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، لهذا فالطمع في أن أكون في عداد الذاكرين لمصاب الحسين عليه السلام يشدّني في ذكرى عاشوراء أن أذكر شيئًا من مصاب كربلاء وإن كنت لا املك براعة الخطباء وإبداع الشّعراء في رسم المشهد الكر بلائي والصور العاشورائيّة...

وإذا كنت لا أملك براعة خطيبٍ أو مخيالَ شاعر كي أصوّر فاجعة الحسين عليه السلام، فحسبي أن أقول بعض كلمات حزينة، عساها أن تلامس قلبًا مفجوعًا في يوم الحزن على الحسين عليه السلام، وعساها أن تستثير دمعة في عينٍ باكيةٍ على مصاب الحسين عليه السلام، وحسبي أن أحظى بالأجر والثواب.

وبعد هذه المقدّمة لنتّجه جميعًا إلى كربلاء لنستعيد ذاكرة أحداث عاشوراء، بكلِّ صورها الأليمة، ومشاهدها الحزينة..

وبهذه الفاجعة الكبرى نرفع العزاء إلى سيد الأنبياء والمرسلين وإلى أمير المؤمنين وإلى الصديقة الزهراء وإلى صاحب العصر أرواحنا فداه...

وجاءت ظهيرةُ عاشوراء...

وزحف الزّمنُ حزينًا كئيبًا باكيًا...

وتهافتَ أصحابُ الحسينِ يُعانقونَ الموتَ؛ حبيبٌ، زهيرٌ، بريرٌ، نافعٌ، مسلم بن عوسجة، وبقيّةُ الصحبِ الكرامِ من أنصارِ الحسين أصبحوا جميعًا يفترشون ثرى كربلاء...

وجاءت نوبة الأهل والآل...

وكان ابن الحسين عليٌّ الأكبر أولَ الكوكبةِ المباركةِ التي تقدّمت للموت...
نظر إليه الإمام الحسين، وأرخى عينيه بالدموع، ورفع طرفه إلى السماء: «اللهمّ اشهد على هؤلاء فقد بَرز إليهم أشبهُ النّاسِ خَلْقًا وخُلُقًا ومنطقًا برسولك محمد ﷺ، وكنّا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيّك ﷺ نظرنا إليه...».
ومضى عليّ الأكبر إلى الموت...

وبعد قتالٍ ضاري، وقع السيف المشؤوم على مفرق رأسه، واستقرَّ الرمحُ الغادرُ في ظهرِهِ، وتهاوتْ على جسدِهِ السيوفُ المجنونةُ تقطّعه إربًا إربًا...

وأطلق الكلمات الأخيرة: «أبتاه عليك منّي السلام» وفاضت روحه الطاهرة...
وتوالت القرابينُ على مذبحِ الشّهادة...
قُتل آلُ عقيل...
وقُتل آل جعفر...
وقُتِل أبناءُ السبط المجتبى...

ومن بينهم غلامٌ لم يبلغْ الحلم هو «القاسم بن الحسن» أبى هذا الغلام إلّا أن ينالَ الشّهادة... أصرّ على عمّه الحسين أن يأذن له في القتالِ، أذِنَ له، برز وقاتل راجلًا، حتى هوى على رأسه سيف الأزدي، وسقط الغلام على أرض كربلاء، صائحًا: «يا عمّاه»، أتاه الحسين مسرعًا، فوقف على رأسه وهو يفحص برجليه وخاطبه: «يعزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك...»..
وفاضت روح الغلام بين يدي عمّه الحسين...
وهكذا مضى الواحد تلو الآخر ضحايا العقيدة...
ولم يبق مع الحسين إلّا أخوه أبو الفضل العباس، وقد أبلى البلاء الأكبر...

استأذن أخاه الحسين، وانحدر نحو الميدان، وهو يحمل بين جنبيه روح أبيه أمير المؤمنين...
قاتل قتال الأبطال، وصال وجال كالليث الغضبان...
وفي لحظةٍ غادرةٍ جاءتهُ ضربةُ سيفٍ قطعتْ يمينَهُ...

وجاءت أخرى قطعتْ شمالَه...

وانهمرتْ عليه السِّهام كالمطرِ، فأصابَ القربةَ سهمٌ، وأصابَ الصدرَ سهمٌ، وأصابَ العينَ سهمٌ...

بقي العباسُ حائرًا...

وإذا بالعمود المشؤوم يهوي على رأسِهِ الشريفِ، فخرَّ العباسُ إلى الأرض صريعًا، وتهاوتْ عليه السيوفُ والرّماح...

وأطلق نداءه إلى أخيه الحسين: «عليك منّي السّلام أبا عبد الله...»...

فانقضّ الحسينُ كالصقر، أدرك أخاه وفيه رمقٌ، جلس عنده، وضع رأسَهُ في حجره، مسح الدمَ والترابَ عنه، بكاه بدموعٍ حارّة، ثمّ انحنى واعتنقه، وقبّل وجهَهُ ونحرَهُ وصدره...

وفاضت روحُهُ بين يدي أخيه الحسين...

قام الحسين يكفكفُ دموعَهُ، وكلماتُه الباكيَة المفجوعةُ تردّد: «الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي، وشمت بي عدوي»...

وبقي الحسين ابن الزّهراء وحيدًا فريدًا...

يلتفت هنا وهناك... أجسادٌ مضرّجةٌ بالدّماء، رمالٌ حمراءُ تحتضن الأشلاءَ، ضحايا راقدةٌ فوق ثرى كربلاء...

نساءٌ والهاتٌ حائراتٌ باكياتٌ...

صرخاتُ أطفالٍ صغارٍ يبحثون عن قطرة ماء...

عليلٌ في داخل خيمة يكابد الآلام...

وهناك وقفت ذئابٌ مسعورةٌ تتلظّى ظمأ لترتوي من دم الحسين...

والسيوف المجنونةُ تتلمّظ شوقًا إلى نحرِ الحسين وإلى جسد الحسين...

والرّماحُ والسّهامُ تنتظر اللحظة لتمزّق صدرَ الحسين، ولتخترقَ قلبَ الحسين...

في زحمة هذه المشاهد...

وقف السبطُ يدير الطّرف، ينادي بصوتٍ مملوءٍ بالأسى والحزن:

«هل من ذابٍّ يذبُّ عن حرمِ رسول الله؟»..

«هل من موحّدٍ يخاف الله فينا؟»..

«هل من مغيث يرجوا اللّهَ في إغاثتنا؟»..
وذابت الكلماتُ في فضاء الطّفِ، ولم تجد قلبًا ينفتح على نداء الحسين...

يمّم السبطُ شطر الخيام...

هناك حيث زينبُ والنساء والأطفال...
هناك حيث العليل السَّجّاد...
هناك حيث البواكي والثواكلُ والأراملُ والأيتام...
وعند مدخلِ خيمة تقدّمت زينب ابنة فاطمة إلى شقيقها الحسين، وهي تحمل طفلاً رضيعًا، قد تفتّت كبده من الظّمأ، وغارت عيناهُ من العطش، وجفَّ لسانه من الوهج، ولسان حالها يقول: «أخي حسين، هذا رضيعك يبحثُ عن قطرةِ ماء، اطلب له من هؤلاءِ القوم قليلًا من الماء...»...
امتدّت يداه، احتضن الطفل الرضيع، ضمّه إلى صدره، نظر إليه، قبّله وهو يقول: «ويلٌ لهؤلاءِ القوم إذا كان جدُّكَ المصطفى خصمهم»..
ثمّ حمل خطواته نَحو القوم، خاطبهم بكلماتٍ حاولت أن تعثر على بقيةِ رحمةٍ إن كانت في قلوبهم:
«إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل الرضيع»...
إلّا أنَّ القلوبَ كانت أقسى من الحجارة...
وجاء الجوابُ من حرملة بن كاهل...
صوّبَ سهمًا حاقدًا فذبح الطفل الرضيع من الوريد إلى الوريد، وهو بين يدي أبيه الحسين، وتمطّى الطفل وقطع القماط واعتنق أباه..
تلقّى الحسين الدّمَ بكفّه، رمى به نحو السّماء، ولم تسقط من ذلك الدّم قطرةٌ إلى الأرض...

وعاد السِّبط مفجوع القلب، دامع العين...

عاد ليلقي النظرة الأخيرةَ على حرمِه وعياله، وكان لقاء الوداع...
تصايحن الأطفال، وتجمعن النّساء، وتنادين: الوداع الوداع الوداع...

مسح الإمام الحسينُ على قلبِ أخته الحوراء، وأوصاها بالصبر وتحمّل البلاء، ولسان حاله يخاطبها:

أختاه زينب... ودّعيني فعمّا قريب تتروّى هذه السيوفُ من دمي...

أختاه زينب.. ودّعيني فعمّا قريب تُمزّق السهامُ قلبي...

أختاه زينب... ودّعيني فعمّا قريب تأكلُ الرماحُ الحاقدةُ من جسدي...

أختاه زينب.. ودّعيني فعمّا قريب يخسف الحجرُ الطائشُ جبهتي...

أختاه زينب.. ودّعيني فعمّا قريب يجثمُ الشّمرُ اللعينُ على صدري...

أختاه زينب.. ودّعيني فعمّا قريب يذبحُ الشّمرُ نحري...

أختاه زينب ودّعيني فعمّا قريب يبقى الجسد المبضّع بالسيوف طريحًا فوق رمال كربلاء بلا غسل ولا كفن...

أختاه زينب ودّعيني فعمّا قريب تتحوّل أضلاعي ميدانًا لحوافر الخيول...

أختاه زينب ودّعيني فعمّا قريب يكون الفراقُ وهناك الملتقى عند جدّنا المصطفى...

أختاه زينب... ودّعيني، فعمّا قريب تُحرقُ الخيام، تُسلب النساء، تُضرب الأطفال....

أختاه زينب ودّعيني فعمّا قريب تُحملون على نياق عجف بلا وطاء ولا غطاء....

بكت الحوراء، وبكت النساء والأطفال، وبكى السّجّاد المثقل بالآهات...

وحانت ساعة الفراق...

وصمّم الحسين على الموت...

وتقدّم نحو القوم، وصال وجال، وقتل وجندل...

وفي لحظة من لحظات الزّمانِ المشوم جاءَ سهمٌ غادرٌ أصابَ جبهةَ الحسينِ، انتزع الحسينُ السهمَ، تحرّكت الدّماء، ملأَت وجه الشّريف...

وتتابعت الحجارة والسّهام...

جاء حجرٌ طائشٌ أصاب الرأسَ الشريفَ سالت الدماءُ، غمرت وجهَ الحسينِ ولحيتَه، رفع الثوبَ يمسحُ الدّمَ...

وإذا بالسّهمِ المثلّثِ المسمومِ يخترقُ القلبَ المقدّس...

حاول ابن الزهراء أن ينزع السّهم فما تمكّن إلّا أن يخرجه من قفاه...

انبعث الدّمُ كالميزابِ، وضـع الحسين يده امتلأت دمًا، رمى به نحو السّماء وهو يقول: «هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله»[1] ولم تسقط من ذلك الدّم قطرة إلى الأرض...

ثمَّ وضع يده ثانيةً، فلمّا امتلأت لطّخ بها رأسه ووجه وقال:

هكـذا أكون حتى ألقى الله وجدّي رسـول الله ﷺ مخضـوب بدمـي وأقول يا جدّي قتلني فلان وفلان ...

وأثقلته الجراحات ونزف الدّماء، واشتد به الحال، وتزايدت الضربات والطعنات...

وجاءته الطعنةُ الغادرةُ في خاصـرته فهوى الطود الأشمُّ حسينٌ إلى الأرض وهو يقول:

بسمِ اللهِ وباللهِ وعلى ملّةِ رسولِ الله...

وهكذا افترش الحسين تراب كربلاء...

وتزاحمت عليه ضربات السيوف، وطعنات الرماح...

جاءته طعنة أصابته في ترقوته...

وأخرى في نحره....

وثالثة في صدره...

ورابعة في حلقه...

وخامسة، وسادسة، وسابعة، واستمرّت الطعنات فغشي على الإمام الحسين...

خرجت زينب ابنة عليّ من الفسطاط إلى جهة الإمام الحسين، ومعها النساء والأرامل والأيتام... وانتهت إليه وهو يجود بنفسه...

وكانت اللحظة التي وقف الدّهر عندها.. اهتزّ العرش..

وإذا بالشّمر اللعين قد ارتقى صدر الحسين...

رمقه الحسين ببصره... أتقتلني أو لا تعلم من أنا؟

قال شـمر: أعرفك حقّ المعرفة، أمّك فاطمة الزّهراء، وأبوك عليّ المرتضـى، وجدّك محمد المصطفى، وخصمك العليّ الأعلى وأقتلك ولا أبالي...

وضرب الشّمر اللعين إمامكم الحسين بالسيف اثنتي عشرة ضربة...

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٤٥/ ٤٦، ب ٣٧. (ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان)

وفي ساعة هي الأسوأ في عمر الدّنيا..

في ساعةٍ اشتدّ غضب الله...

تغيّر الكون، أظلمت الدّنيا، هبّت ريحٌ حمراء، وكان الشّمرُ يحزّ نحرَ الحسين، وانفصل الرأس الشريف...

وزينب ابنة عليّ تنظر وهي تصرخ: «وامحمّداه، واعليّاه، واسيّداه، هذا حسين بالعراء، صريع كربلاء، ليت السّماء أطبقت على الأرض...»...

وهل وقفت الجريمة هنا؟

تزاحموا على سلب الحسين...

سلبوا سيفه ودرعه...

سلبوا قميصه وسراويله...

سلبوا ثوبه وقطيفته...

سلبوا عمامته ونعله...

وحاول (بجدل) أن يسلب خاتم الحسين عليه السلام فوجد الدّماء قد جمدت عليه، فقطع الإصبع الشريف مع الخاتم...

وجاء فصل جديد من فصول كربلاء...

غربت شمس العاشر من محرم، وبدأت ليلة المأساة والحزن على آل الرّسول صلى الله عليه وآله...

بنات الزّهراء باكياتٌ نادبات...

أيتام النبوّة ذاهلاتٌ حائرات...

وعليل كربلاء يرقد على فراشٍ في داخل خيمة...

والنيران تضطرم في الخيام...

والأيدي الآثمة تنهب وتسلب وتلاحق النساء والأطفال بالسّياط...

وزينبُ الصمودِ والشموخِ والصبرِ تتابعُ مشهدَ المأساة...

قلبٌ مشدودٌ إلى الجسدِ المقدّسِ، وجراحاتِه الدامية، وإلى الأجسادِ الراقدةِ على رمالِ كربلاء، المصبوغةِ بالدّماء...

وعينٌ تمتلئ بصــور مؤلمة؛ طفلةٌ يُنزعُ قرطُها، امرأة تُســلبُ ملحفَتُها، صــغيرةٌ هائمةٌ في البيــداء، يتيمــةٌ تســقطُ تحت حوافــرِ الخيل، عليلٌ يتــوكّأ على عصــا لا يقوى على المسير...

فما عسى أن تصنع زينب؟

لــكِ الله يــا بنــت الزّهــراءِ، وأنــتِ تحملــين في قلبــكِ كلَّ المأســاةِ، كلَّ الأحــزانِ، كلَّ الآلام...

لكِ اللّه يا بنت الزّهراء، وأنتِ تقتلين الدّمعةَ في عينيكِ لكي لا يسقط الموقفُ، والإرادةُ، والتحدّي...

لكِ الله يا بنتَ الزّهراءِ، والدربُ أمامَكِ طويلٌ طويلٌ، وصــعبٌ صــعبٌ، هناك الكوفةُ، هناك الشّامُ، وما أدراك ما الشّام...

وكلمة أخيرة...

أيّها الأحبّة:

من خلال حزن عاشــوراء، وبكاء عاشوراء، يجب أن نحزن وأن نبكي كلّ الواقعَ السيّئَ في حياتِنا..

حزنُ عاشــوراءَ يعلّمنا كيف نحزنُ حينما تُنتهكُ الحرماتُ، تُدنّسُ المقدّســاتُ، تُصادر الكراماتُ...

بكاءُ عاشوراءَ يعلّمُنا كيف نبكي لكلِّ انحرافٍ وفسادٍ وضلال...

ما الذي صنعَ مأساةَ عاشوراء؟

ما الذي أراق دمَ الحسينِ في كربلاء؟

ما الذي سدّد السهمَ المثلّثَ إلى قلبِ الحسين؟

ما الذي ذبحَ الطفلَ الرضيعَ وهو على صدرِ الحسين؟

ما الذي أحرقَ الخيامَ، وسبى النساءَ، وروّعَ الأطفال؟

إنّه الظّلمُ، الطغيان، الاستكبار، الاستعلاء...
إنّه الضّلالُ، التيهُ، الانحرافُ، البعد عن منهج الله...
إنّه الفسادُ، الفسوقُ، الفجورُ، العبثُ بالقيم...
إنّه التمرّدُ على الله....

فإذا كان في حياتنا، في واقعنا، في أخلاقنا، في ثقافتنا، في سياستنا شيء من ذلك وفيها الكثير... فيجب أن نُعطي لحزن عاشوراء معناه ودلالاته، ويجب أن نُعطي لبكاء عاشوراء حضوره وفعله وحركته...

وهنا لا بدّ أن يخلقَ الحزنُ العاشورائيّ والبكاءُ العاشورائيّ «صرخةً عاشوريّة».

هذه الصرخة نوجّهها أولًا إلى ذواتنا العاصية، وذواتنا المتمرّدة على الله، ليستيقظ في داخلنا خوف الله، والخشية من الله، والرجوع إلى الله...

يوم عاشوراء يوم التوبة والإنابة إلى الله تعالى، فلنغسل ذنوبَنا بدموعِ عاشوراء الممزوجة بدموع الخوف والخشية والتوبة...

يوم عاشوراء يوم المفاصلة بين خطّ الهدى وخطّ الضّلال، بين خطّ الطّاعة وخطّ المعصية، بين خطّ الله وخطّ الشّيطان....

في ليلة عاشوراء تخلّى أناسٌ عن معسكر الإمام الحسين، وفي يوم عاشوراء انضمّ أناسٌ إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام...

كذلك يجب أن نوجّه صرخة عاشوراء إلى كلّ الواقع الفاسد في مجتماتنا...

قولوها صرخةً عاشوريّةً غاضبة في وجه كلّ العابثين بقِيَمنا وأخلاقِنا ودينِنا وإسلامِنا...

قولوها صرخةً عاشوريّةً غاضبة في وجه كلّ الذين يُريدون أن يُغرقوا شعبنا بالفساد والمنكرات والموبقات من أجل حفنة من المال الحرام تصبّ في جيوب أولئك المتاجرين بقِيَم هذا البلد وأخلاق هذا البلد وطهارة هذا البلد...

أيّها المتباكون على اقتصاد البلد، واستثمارات البلد، أتريدون أن تملأوا بطون أبناء شعبنا بالمال الحرام من العهر والفجور والخمور ومشروعات الفساد...

ألا سحقًا لهذا المال، ولهذا الاقتصاد، ولهذا الاستثمار...

إنّ شعبنا المسلم يُفضّل أن يأكلّ التراب وأن تبقى قِيَمه ومبادؤه، وأن يبقى دينه وإسلامه، وأن يبقى شرفه وعرضه...

قالوا إنَّ رفض هذه المشروعات يسيئ إلى سمعة البحرين...

عجبًا، أيّ سمعة هذه التي تتحدّثون عنها، هل سمعة البحرين بمشروعات الفساد والعبث بالقِيَم والأخلاق؟

هل أنَّ سمعة البحرين بالحفلات الداعرة الفاسقة الماجنة؟

هل أنَّ سمعة البحرين بالملاهي والمراقص والبارات؟

هل أنَّ سمعة البحرين بالبرامج التي تتحدّى الأعراف النظيفة في هذا البلد؟

تبقى عاشوراء عنوان الرفض لكلِّ الباطل، لكلِّ الفساد، لكلِّ الانحراف، لكلِّ الظّلم...

ونحن حينما نتحدّث عن الغضب العاشورائيّ وعن الرفض العاشورائيّ لا نريد أن نُعبِّأ ساحتنا بانفعالاتٍ لا تملك وعيًا ولا تملك بصيرة، ولا تملك رؤية...

إنَّ غضبنا العاشورائيّ ينطلق من وعي عاشوراء ومن فكر عاشوراء، ومن أهداف عاشوراء، ومن صياغات عاشوراء...

وإنَّ رفضنا العاشورائيّ يعبّر عن قراءةٍ بصيرةٍ واعيةٍ لكلِّ متغيّرات الواقع، وحاجات العصر، وضرورات المرحلة...

هكذا يكون الحضور العاشورائيّ واعيًا وبصيرًا، وهكذا يكون الحضور العاشورائيّ فاعلًا ومغيّرًا...



أيّها الحزنُ الساكنُ في قلبِ كلٍّ شيعيّ[1]

من هناك، من عالمِ الخلودِ أطلّت الزهراءُ ترقبُ مشـهد عاشوراء.... تحرّك المشهدُ المفجع أمام ناظرها....

وفي مناجاةٍ والهةٍ باكيةٍ ثاكلة:

ولدي حسين قتلوك مظلومًا...

ولدي حسين ذبحوك عطشانًا...

ولدي حسين مزّقوا قلبكَ بسهمٍ مثلّث...

ولدي حسين هشّموا صدرك بحوافر الخيول...

ولدي حسين صعد الشّمر على صدرك واحتزّ رأسَك...

ولدي حسين حملوا رأسك فوق الأسنّة والرماح...

ولدي حسين ذبحوا رضيعك من الوريد إلى الوريد...

ولدي حسين قتلوا جميع أهلك وأنصارك...

ولدي حسين حرقوا خيامك...

ولدي حسين لاحقوا نساءَك وأطفالَك بالسياط...

ولدي حسين طافوا بولدك العليل وبنات رسول الله في البلدان أسارى...

ولدي حسين... المشتكى إلى الله والموعد القيامة...

ولدي حسين... سوف يهيّئ الله لك شيعة يبكونك جيلًا بعد جيل، ودهرًا بعد دهر...

---

(١) كلمة ألقيت في ليلة الحادي عشر من المحرم ١٤٣٠هـ، في مأتم النعيم الغربي.

فإليهم منّي السّلام والدعوات... والجزاء يوم العرض الأكبر...
وعليكِ السّلام يا ابنة محمدٍ المصطفى..
فهاهم شيعتكم يواسونكِ الحزن والبكاء على ولدك الحسين.. ويعيدون الفاجعة جيلاً بعد جيل، حتى يكحل الله نواظرهم بطلعة القائم من ولدك الثائر لدمِ الحسين...

يا حسين يا حسين يا حسين...
أيّها الحزنُ الساكنُ في قلب كلِّ شيعي...
أيّها الدمعةُ المقيمةُ في عينِ كلِّ شيعي...
أيّها الجرحُ النازف في جسد كلِّ شيعي...
ها هم شيعتك يبكونك وأنت تقدّم أول قربان من أهل بيتك على أرض الشهادة..
شابّ من شبّان كربلاء، ارتسمت فيه الصورة الكاملة لرسول الله ﷺ...
جاءك مشتاقًا إلى الشّهادة..
احتضنْتَه، ضممتَه إلى صدرك، قبّلته، اعتنقته طويلاً...
أذنت له... لاحقته نظراتُك الممزوجة بالدموع والدعوات، والآهات والحسرات...
مشى عليٌّ الأكبر صوب المعركة، وهو يحمل هيبة محمدٍ ﷺ، وعنفوان عليٍّ وشموخ الحسين....
صال وجال...
فتساقطت الرؤوس..
وتناثرت الأشلاء...
وسالت الدماء
وذكّر القوم ببدر وحنين...
وفي لحظة مشؤومة....
جاءته طعنةٌ غادرة....
واستقرَّ سهم طائش في حلقه...
وهوى سيفٌ حاقدٌ فلق هامته...
اعتنق الفرس المذعور، حمله إلى معسكر الأعداء فتشابكت السيوف والسهام والرماح

على جسد الأكبر، فما أبقت موضعًا إلَّا مزّقته، فتسربل الجسد الطاهر بالجراحات النازفة، وهوى إلى الأرض يغوصُ في بحر من دماء..

وكانت كلماته الأخيرة: «أبتاه عليك منّي السّلام، هذا جدّي رسول الله ﷺ قد سقاني بكأسه الأوفى شربةً لا أظمأ بعدها أبدًا»

وشهق شهقة، وفارقت روحه الدنيا..

يا حسين يا حسين يا حسين...

أيّها الحزنُ الساكنُ في قلب كلِّ شيعي...

أيّها الدمعةُ المقيمةُ في عينِ كلِّ شيعي...

أيّها الجرحُ النازفُ في جسد كلِّ شيعي...

وقربان آخر من قرابين الشهادة...

القاسم بن الحسن...

غلامٌ في عمر الزهور، تبتسم أمامه كلّ أحلام الطفولة البريئة، تموج في داخله آمال الحياة، ولكنّ الأقدار شاءت أن تموت في هذا العمر نسمات الربيع، ليبدأ عمر آخر يحمل عبقًا أبديًّا فيه روح وريحان إنّه عبق الجنان...

وشاءت الأقدار أن تموت فيه أحلام الطفولة وآمال الحياة، لتصحوَ في داخله أحلام الشهادة وتبتسم له آمال الشهداء...

- عمّاه أنا مشتاقٌ إلى الموت...

- وكيف تجد الموتَ يا بني؟

- فيك يا عم أحلى من العسل...

وهاجت بالحسين ذكرياتٌ وذكريات، وهو يحدّق في عيني الغلام، ويتملّى من قسماتِه، ويستحضر من خلال صورته صورةً لأخيه السبط المجتبى...

دمعت عينُ الحسين وهو يقرأ في القاسم تاريخًا أيقظ فيه شوقًا وحنينًا إلى أخيه الحسن...

أحتضن الحسينُ الغلام، ضمّه إلى صدره، اعتنقه طويلًا....

والقاسم يتوسل ضارعًا بعمّه أن يأذن له في القتال، فقد اشتاق إلى الشّهادة، واشتاق

إلى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله...

وزينب الحوراء ترقب هذا المشهد في ذهول، الحسين يتجرّع الآهاتِ والحسرات، تتسارعُ في عينيه الدموعُ والعبرات، وقد هاجت به الهموم والغموم والكربات... أيُسلم غلامًا في عمر الورود والزهور إلى السيوف والرماح والسهام...

ويستمرّ الغلام في التوسّلِ والضراعة...

وبكلماتٍ ممزوجةٍ بدموعٍ وآلامٍ وآهات أذن الحسين للقاسم أن يمضي إلى الموت...

انقضتْ عمته زينب، أمسكتْ بالغلام، احتضنته، ضمّته، أحاطته بقبلات وصاحت بالنساء الوالهات الثاكلات...

فتصايحن يودّعن الغلام...

مشى القاسم راجلًا إلى ميدان القتال في رجليه نعلان، وعليه قميص وأزار، وبيده سيف... وهو يحمل في داخلِه عنفوان الأبطال، وشمم الرجال الأحرار...

غير آبهٍ بالجيوش المزدحمةِ، والخيول المحمحمة، وصال وجال وقاتل مقاتلة الشجعان...

وشاء القدر أن ينقطع شِسعُ نعله...

انحنى شبل الحسن يصلح نعله وبين جوانحه شموخُ عليٍّ، وكبرياء الحسين، غير مبالٍ بالسيوفِ والرماحِ والسهام...

وهنا يتقدّم إليه لئيمٌ غاشمٌ لا يملك شيئًا من دين أو قِيَم أو ضمير...

رفع سيفه الحاقد وهوى به على رأس الغلام... سقط القاسم على الأرض مناديًا: عمّاه أدركني...

انقضَّ الحسين، جلس عند رأس الغلام، وهو يفحص برجليه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة...

يا حسين يا حسين يا حسين...

أيّها الحزنُ الساكنُ في قلب كلِّ شيعي...

أيّها الدمعةُ المقيمةُ في عينِ كلِّ شيعي...

أيّها الجرحُ النازف في جسد كلِّ شيعي...

وقربان ثالث من قرابين الشهادة...

العباس بن عليّ..

كم هي اللحظةُ قاسيةٌ وقاسيةٌ على قلبِ الحسين...

حينما استأذنه أخوه العباس للقتال...

صمت الحسينُ، تنهَّد تنهّدًا ثقيلًا، تأوّه تأوّها صعبًا، ازدحمت في عينيه الدموع...

وخرجت كلماته مفجوعةً حزينة: «أخي أبا الفضل اطلب لهؤلاء الأطفال قليلًا من الماء»

امتطى العباس فرسه، أخذ سيفه ورمحه، وحمل القربة معه، ويمّم صوب الفرات...

ولاحقته نظراتُ الحسين، ودعواتُ الحسين، وآهاتُ الحسين، ودموعُ الحسين...

وعلى ضفافِ الفرات، كان الجيش يحاصرُ الماء، هجم العباس وهو يزأر زئير الأسد الغضوب...

وبعد قتالٍ ونزالٍ فرَّ القومُ اللئامُ مذعورين هاربين، وامتلكَ شبلُ عليٍّ المشرعة...

ملأ القربةَ، وعادَ وهمُّه الخيامُ والأطفال العطاشى الظامئون...

قطع القوم عليه الطريق، حالوا بينه وبين الخيام، ازدحمت حوله الخيلُ والرجال، احتوشوه من كلِّ جانب... شهروا في وجهه السيوفَ والصوارم، أمطروه بالرماح والسهام...

اشتد غضبُ العباسِ، فصال وجال، وجندل الرجال والأبطال، مصمّمًا أن يصلَ الماءُ للخيام والأطفال...

إلّا أنَّ السّهام الطائشةَ أصابت القربةَ فأريق ماؤها...

وقف شبلُ عليٍّ مهمومًا كئيبًا حائرًا...

فصرخات الصبايا من بنات الرسالة «عمّاه العطش العطش» لا زالت تملأ سمعه ومشاعره...

فماذا يفعل والماء قد أريق...؟

لا خيار إلّا القتال والثأر من هؤلاء المنافقين الحاقدين...

وصمّم على الموت والشهادة...

وبينما هو يقاتل كمَنَ له غادرٌ فاجر، رفع السيف اللئيم فقطع منه اليمين...

ثم كمن له غادرٌ آخر فقطع منه الشّمال، وهكذا بقي العباسُ مقطوعَ اليدين...

وظلَّ يصول ويجول لا يأبه بنزفِ الدماء...
واستمرّت السهامُ الحاقدةُ كالمطر...
فجاءه سهمٌ أهوج استقرَّ في عينه اليمنى...
وجمدت الدماءُ على عينه اليسرى...
وجاءه سهم آخر مزّق صدره...
لك الله يا أبا الفضل...
قطعوا منك اليدين...
خسفوا منك الصدرَ والعين...
وفي لحظـةٍ من لحظاتِ الدهر الخؤون جاء الغادرُ الفاجرُ وهوى بعموده الحاقد، وفلق هامةَ العباس...
فانقلب عن ظهر فرســه، وسقط إلى الأرض صريعًا، مثقلًا بالجراحاتِ ونزفِ الدماء مناديًا «أخي أبا عبد الله عليك منّي السَّلام»...

يا حسين يا حسين يا حسين...

أيّها الحزنُ الساكنُ في قلبِ كلِّ شيعي...
أيّها الدمعةُ المقيمةُ في عينِ كلِّ شيعي...
أيّها الجرحُ النازف في جسد كلِّ شيعي...
وقربان رابعٌ من قرابين الشّهادة...

الطفل الرضيع...

ما أقسى تلك القلوب التي تحجّرت، ذبحوا حتى الطفولة البريئة...
كان للحســين طفلٌ رضـيع، ولما اشتدّ الحصار على مخيّم الحســين ومُنع الماء، أوشك هــذا الطفـل أن يموت من شـدّة العطش... تلظّى قلبه ظمأ، جفّ لســانه، ارتعشـت أعضاؤه...
أسرعت أمّه إلى الحسين قائلة: «اطلب لهذا الرضيع قطرة ماء»...
تركت الطفل بين يديه...
نظـر إليــه الحسـين،، نظـر إلى عينيــه الغائرتـين مـن العطش، نظـر إلى وجنتيه

الذابلتين...

نظر إلى يديه المرتعشتين...

امتدّت يد الحسين، لتلامس القلب المضطرب من شدّة الظّمأ...

فما تمالك الحســين إلّا أن احتضن طفله، ضــمّه إلى صدره، طبع على وجنتيه قبلاتٍ حارة، ممزوجةٍ بدموعٍ ساخنة، وأسرع به نحو القوم...

- أيَّها القوم ارحموا هذا الطفل الرضيع، أما فيكم قلبٌ ينبض بالرحمة؟

ما ذنب هذا الطفل الصغير؟

انظروا إلى عينيه الغائرتين من الظّمأ...

اختلف القوم:

- فقال قائل: اسقوا الطفل ماء، فلا ذنب للصغار...

- وقال آخرون: لا تبقوا لأحد من هذا البيت باقية...

وكاد الجيش ينقسم...

وقطع حرملةُ نزاعَ القوم، فأرســل ســهمًا ذبح الطفل الرضــيع من الوريد إلى الوريد، وهو في حجر أبيه...

تلقّى الحسين الدم بكفه ورمى به نحو السّماء...

يا حسين يا حسين يا حسين...

أيّها الحزنُ الساكنُ في قلبِ كلِّ شيعي...

أيّها الدمعةُ المقيمةُ في عينِ كلِّ شيعي...

أيّها الجرحُ النازف في جسدِ كلِّ شيعي...

وجاء دور الحسين قربان الشّهادة الأكبر...

مضى الأصحاب صرعى فوق ثرى كربلاء...

ومضى الأهل ضحايا وقرابين شهادة...

وبقي الحسين وحيدًا فريدًا...

وبقيت خيامٌ ضمّت عليلًا أثقلته المحن والآلام...

وضمّت نساءً ثاكلاتٍ والهاتٍ نادبات...

وضمّت صبيةً وصبايا ذاهلاتٍ صارخاتٍ باكياتٍ...

صمّم الحسين على الموت...

وكانت لحظات الوداع الأخير... وكانت نظرات الوداع... وكانت كلمات الوداع...

فتنادين – مخدرات الرسالة وعيالات النبوّة– ينادين: الوداع الوداع...

وهناك في جوف خيمة يرقد عليل كربلاء...

تناهت إلى سمعه صرخات الوداع... خرج من خيمته يتوكّأ على عصا، وهو يرسل كلماتِه المفجوعة: أبتاه الوداع الوداع...

وتمازجت الصرخات، وضجت الأصوات، واشتدّ البكاء والعويل...

وابن الزهراء يجول بطرفه يمينًا وشمالًا:

من يقدّم لي جوادي؟

الله أكبر، يا لهول الموقف، من ترى يجرأ أن يقدّم للحسين جواد المنيّة؟

أسرعت بطلة كربلاء، زينب ابنة عليٍّ تقود الجواد: أخي حسين، أرأيت أختًا تقدّم إلى أخيها جواد المنيّة؟

دمعت عين الحسين... أرسل نظراتِه الأخيرة، وكلماته الأخيرة: عليكنّ منّي السّلام...

فتصارخن: الوداع الوداع والملتقى عند جدّنا المصطفى، وأبينا المرتضى، وأمنّا الزهراء في آمان الله يا حسين...

تقدّم الحسين إلى ميدان القتال، رابط الجأش، متوكّلًا على الله، وقد ازدحمت أمامه جيوش الضّلال، مصمّمة على سفك دمه، وهي تعلم أنّه سبط محمدٍ المصطفى صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهي تعلم أنّه ريحانةُ فاطمة ابنة محمد... إلّا أنّ الشيطان قد استحوذ على قلوبهم...

وفي عزمة من عزمات أبيه أمير المؤمنين شدّ على القوم، وصال وجال، وروّى الأرض من دماء الأشرار...

افترَقوا على إمامكم الحسين: فرقةٌ بالسيوف، وفرقةٌ بالرماح، وفرقةٌ بالسهام، وفرقةٌ بالحجارة، والحسين وحيدٌ فريدٌ يكثر من قول «لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم»...

أثقلته الجراحات، وأرهقه نـزف الدماء، وبينما إمامكم يقاتل جاءه من أبي الحتوف سهمٌ غادر، وقع في جبهته المقدّسة سالت الدماء على الوجه الشريف...

وما هي إلّا لحظات حتى جاءه حجرٌ أصاب جبهته، فازداد نزف الدماء...

رفع المولى الحسين ثوبه يمسحُ الدمَ عن وجهه وعينيه.....

لك الله يا حسين...

لك الله يا ابن الزّهراء...

بينما الحسين يمسح الدم عن وجهه وعينيه وفي لحظة على آل الرسول عظيمة...

«جاء السّهمُ المثلثُ واخترق القلبَ المقدّس»...

فقال الحسين:

«بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله»...

ورفع رأسه إلى السّماء وهو يقول:

«إلهي إنّك تعلم إنّهم يقتلون رجلًا، ليس على وجه الأرض ابن نبيٍّ غيره»...

ثمّ أخرج السّهم من قفاه...

فانبعث الدم غزيرًا...

وضع يده فامتلأت دمًا، رمى به نحو السّماء فلم تسقط منه قطرة إلى الأرض...

وضع يده ثانيةً فامتلأت دمًا، صبغ به رأسه ووجهه ولحيته وهو يقول: «هكذا أكون حتى ألقى الله وجدّي رسول الله ﷺ وأنا مخضّب بدمي، وأقول يا جدي قتلني فلان وفلان»...

أعياه نزف الدماء، واشتدّ به الحال فجلس على الأرض ينوء برقبته...

انتهى إليه غادرٌ فاجر، شتم الحسين ثمّ ضربه بالسّيف على رأسه...

افترش إمامكم التراب، تزاحمت عليه الضربات والطعنات... فغشي على الإمام الحسين...

وجاء القدر المقدور...

خرجت زينب ابنة عليّ من الفسطاط إلى جهة الحسين، ومعها النساء والأرامل والأيتام «وإذا بالشّمر اللعين يجثم فوق صدر الحسين» اهتزّ الكون، ماجت الأرض، تغيّرت العوالم، أظلمت الدنيا، هبّت ريحٌ حمراء...

«بينما الشّمر قابض على الشيبةِ الطاهرة يحزُّ نحر الحسينِ، حتى فصلَ الرأس المقدّس»

وهل انتهت قصّةُ الجريمة؟

امتدّت الأيدي الآثمة الحاقدة لتسلب الجسد الطريح...

سلبوا قميصه، سلبوا عمامته، سلبوا نعليه، سلبوا سيفه، سلبوا قطيفته، سلبوا ثوبه الخلق...

وجاء بجدل اللعين فرأى الخاتم في إصبع الحسين... فقطع الإصبع وأخذ الخاتم...

واستمرّت فصول المأساة...

واستمرّت رحلة الحزن والدموع...

وما كادت شمس العاشر تستتر عن الأنظار ليرسل الليل سدوله، ويبدأ القمر يلامس بضوئه المفجوع أشلاء الضحايا المتناثرة على ثرى كربلاء المصبوغ بدم الشّهداء...

وبين حنايا الليل المحزون حاولت زينبُ وبناتُ الرسالة أن يذرفن بعض قطراتٍ من دموع...

إلّا أنّ القوم اللئام ما تركوا الليل الكئيب أن يحتضن دموع الثكالى، وأنّات اليتامى هجموا على خيام النبوّة...

أضرموا النار في أخبية الرسالة..

ونادى السّجاد العليل: عليكنّ بالفرار يا بنات رسول الله...

فررن النساء والأطفال...

وامتدّت الأيدي الحاقدة، تنهب، وتسلب، وتضرب...

وزينب ابنة عليّ ترقب المشهد في ذهول وحيرة... فما عساها تصنع؟

ولا زالت صور الفاجعة حاضرة أمام ناظرها..

أخوها الحسين جسد مبضعٌ بالسيوف..

صدره هشمته الخيول...

قلبه مزقه سهمٌ مثلث...

رضيعه مذبوحٌ من الوريد إلى الوريد...

أخوه العباس عند النهر مقطوع اليدين....

شبله الأكبر مزقت جسده السيوف...

ابن أخيه القاسم مثخن بالجراحات والطعنات..

أصحابه عانقوا الموت..

ومشهدٌ آخر يتحرّك أمامها:

أيتامٌ تتلوّى على رؤوسهم السّياط...

خيامٌ تلتهمها النيران...

عليلٌ مثقل بالآلام...

نساءٌ صارخات باكيات نادبات...

في زحمة هذه الصور المؤلمة....

وفي زحمة هذه المشاهد الفاجعة...

وفي زحمة هذه الخواطر الحزينة...

شدّها الشّوق إلى جسد أخيها الحسين..

فانحدرت – في الليل – تتخطّى أشلاء القتلى، حتى وقفت عند الجسد المقدّس، وقد تسربل بالدماء...

وازدحمت عليه الرماح والأسنّة والحجارة والسّهام...

ألقت على الجسد الطاهر نظرات مفجوعة...

وأرسلت عبرات ساخنة...

وأطلقت آهات كئيبة...

ومدّت يدها إلى الجسد المقدّس...

وشدّت طرفها على السّماء: «اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان»...

٤

الحسينُ زفرةً لن تهدأ (١)

(١) الحسينُ زفرةً لن تهدأ

الحسينُ دمعةٌ لن تجف...
الحسينُ آهةٌ لن تصمت...
الحسينُ دمعةٌ وآهة وزفرة...
الحسينُ بسمةُ الأملِ ترفُّ على شفة الحياة...
الحسينُ ومضةُ الفجرِ تسكبُ النورَ في دنيا الإنسان...
الحسينُ صوتُ الحقِّ يُلامسُ كلَّ ضمير...
الحسينُ عنوانُ العدلِ يُخاطبُ كلَّ جيل ...
الحسينُ أنشودةُ النصرِ على فمِ الزَّمن...
الحسينُ امتدادُ الرّسالات...
الحسينُ وارثُ الأنبياء.

---

(١) كلمة ألقيت في ليلة الحادي عشر من المحرم ١٤٢٣هـ ، في مأتم النعيم الغربي.

إنّه الدم المقدّس

ودمُ الحسينِ وَقْدةُ الثورةِ تهزُّ عُروَشَ الظالمين...
دمُ الحسينِ صَرْخةُ الصُّمودِ تتحدَّى جَبَروُتَ الطُّغَاة...
دمُ الحسينِ إرادةُ الأحرارِ تخطُّ دربَ الطُّغَاة...
دمُ الحسينِ نغمةُ الشهادةِ على فم الثّائرين...
دمُ الحسينِ وثيقةُ الإدانةِ لكلِّ صنّاعِ الجريمةِ في الأرض،
لكلِّ المتخاذلين،
لكلِّ المساومين،
لكلِّ المتاجرين بقضايا الإسلام وبقضايا الأمّة.

وهي كربلاء

وكربلاءُ فجرُ الخلود...
كربلاءُ قِبلةُ الشّموخ...
كربلاءُ وَحيُ البطولات...
كربلاءُ مدرسةُ الجهاد...
كربلاءُ العنفوانُ والموقف.

وتبقى عاشوراء

وعاشوراءُ يومٌ في دنيا الأحزانِ خالد...
عاشوراءُ يومٌ في دنيا المأساةِ يتجدّد...
عاشوراءُ يومُ الدموعِ والعبرات...
عاشوراءُ يومُ الآهاتِ والحسرات...
عاشوراءُ يومٌ على آلِ الرّسولِ عظيم.

(٢) سرُّ الدّمعة والآهة

لماذا نُبحرُ للذكرى عبرَ الدموع؟
لماذا نُحرقُ القلبَ بالآهاتِ والحسرات؟
لماذا نَدفنُ النفسَ في دنيا الأحزان؟
لماذا نَشربُ كؤوسَ النصرِ مترعةً بالأسى والآلام؟
لماذا نُحوِّلُ البسمةَ الخضراءَ إلى فيضٍ من الزّفرات؟
لماذا لا نَفرشُ الدّربَ بالأزاهير؟
لماذا لا نَسكبُ العطر؟
أليست كربلاءُ عرسَ الانتصار، انتصارَ الدم على السيف؟
فلماذا الدموعُ والآهاتُ والأحزان؟

الدمعةُ فيضُ الحبِّ في القلوب،
الدمعةُ وقدةُ الاشتعالِ في الضمير،
الدمعةُ شُحنةُ الانصهار والذوبانِ والتلاحم،
الدمعة زخمُ العاطفة تُحرّكُ الهمَم والعزائم،
الدمعةُ حرارةُ النبضِ توقظ الوعيَ والفكر،
الدمعةُ روحُ الحركةِ والديمومةِ والبقاء .

(٣) بصيرةٌ لا تُخطأ الحقيقة

الإمام الحسين كان على بصيرةٍ وهو يقدّمُ أطروحة النصر مكتوبةً بأحرفٍ من دماء...
الإمامُ الحسينُ كان على بصيرةٍ وهو يرسمُ لثورته طريقهَا عبرَ جثث وأشلاء...
الإمامُ الحسينُ كان على بصيرةٍ وهو يستنفرُ كلّ عناصرِ المأساةِ في أحداثِ كربلاء...
فالعاطفة الغَاضِبَةُ المتُفَجّرةُ يجبُ أن تبقى،
ما دامت الذّكرى الفاجعةُ تحملُ على أكفِّ الزّمنِ
أشلاءَ القتلى المضرّجين بالدماء...

العاطفةُ الغَاضبَةُ المُتَفجّرةُ يجبُ أن تبقى،
ما دامت ذاكرةُ التاريخ تحتضنُ صورَ المأساة...
العاطفةُ الغَاضبَةُ المُتَفجّرةُ يجبُ أن تبقى،
ما دام ضميرُ الزّمن يَئِنُّ من قَسَاوَةِ الجريمة...
العاطفةُ الغَاضبَةُ المُتَفجّرةُ يجب أن تبقى،
ما دامت كلماتُ الإمام الحسينِ تخاطبُ الأجيالَ تِلوَ الأجيال..
وما دامتْ كربلاءُ تتكرَّرُ وتتكرّر،
وما دام يزيدُ يحكم في الأرض.

(٤) وبدأ القدر الدّامي

في العاشرِ من المحرّم وفي العام الواحدِ والستين للهجرة...
وهناكَ هناك على أرَض كربلاءَ،
وقف السّبطُ الحسينُ بنُ عليّ...
وأمامَ الحسينِ اصطفّتْ حشودُ الضّلالِ
تزدحمُ في داخلِها كلُّ معاني الخِسّةِ والحقارة،
وتأصّلتْ عندها قِيَمُ الجاهليّة...
فقرّرت أن تثأرَ لتاريخها الموتور،
وصمّمت أن تقتلَ الحسين !!
وقف السّبطُ الحسينُ يتأمّلُ هذه الحشودَ المضلَّلة،
ارتسمتْ على شفَتيه ابتسامةٌ، وتندّت في مقلتيه دمعة...
ارتسمتْ على شفَتيه ابتسامةٌ ..
إنّها ابتسامةُ التحدّي والشّمم ،
فما كان شبلُ عليٍّ يرهبُ الموتَ...

وخوّفه بالموتِ قُوم متى دَرَوْا
بأنَّ حسينًا من لِقا الموتِ يرهبُ
وقامت تصادي دونَه هاشميّةٌ
تحنُّ إلى وصلِ المنايا وتطربُ

(٥) وتندّتْ في مقلتيه دمعة

إنّها دمعةُ الرحمةِ لهذه الكتلِ البشريّةِ التائهةِ،
المثقلة بالضلالِ،
والتي تخطُّ بيدِها مصيرَها إلى النّارِ...
استقبلَ القومَ بوجه ترتسمُ عليه بقايا أملٍ...
وأرسلَ كلماته الحانيَة،
علّها تعثُرُ بينَ تلكَ القلوبِ المغلقةِ
على صُبابة من ضميرٍ
لا زالَ يهفو إلى نورِ الهداية...
«أُنَشِدُكُمُ اللّه انسبوني من أنا؟»
- أنت الحسينُ سبطُ رسول اللّه.
«أُنَشِدُكُمُ اللّه هل تعلمونَ أنَّ أمّي فاطمةَ بنتُ محمدٍ؟»
- اللهمّ نعم.
«أُنَشِدُكُمُ اللّه هل تعلمون أنّ أبي عليُّ بن أبي طالب؟»
- اللهمّ نعم.
«أُنَشِدُكُمُ اللّه هل تعلمون أنّ هذا سيفُ رسولِ اللّه أنا متقلدُه »
- اللهمَّ نعم.
«أُنَشِدُكُمُ اللّه هل تعلمون أنّ هذه عمامةُ رسولِ اللّه أنا لابسُها؟»
- اللهمَّ نعم.
«فبمَ تَسْتَحلونَ دمي؟!!»
- قد علمنا ذلك كلَّه ، ونحن غيرُ تاركيكَ حتى تذوقَ الموتَ عطشًا.
(إنّها قلوبٌ استحوذ عليها الشّيطانُ فأبت إلّا الضّلال).

(٦) شموخٌ وصمود

وقف الحسينُ في شموخٍ وثبات،
ووقفتْ معه قلّةٌ مؤمنةً...
وجاهدَ بين يديه أنصارُ العقيدة...
حملوا الأرواحَ فوقَ الأكفِّ،
لبسوا القلوبَ دروعًا شوقًا إلى الجنانِ...
تساقطوا قرابينَ من أجلِ الله،
فاحتضنهم الزّمن مشاعلَ هداية...
وهكذا عانَقُوا ثَرى كربلاء...
وبقي الحسينُ بنُ فاطمة فردًا وحيدًا،
وشفتاه تُتمتانِ بكلمات كئيبة :
أما من مغيثٍ يُغيُثنا؟... أما من ذابٍ يذبُّ عن حرمِ رسولِ الله؟»
فلا يجاوبه إلاَّ:
صدى نسوةٍ نوائح،
وآهاتُ صبيةٍ وصبايا باكيات،
وصراخُ أطفالٍ ظماء إلى قطرة ماء،
وأنّاتُ عليلٍ يذوبُ أسًى وألمًا،
وحشرجاتُ أرواحٍ تحتضر،
وصهيلُ خيولٍ جوامح،
وبريقُ سيوفٍ لوامع،
وصبيبُ سهامٍ طوائشِ...

(٧) وداعٌ لا ينساه الزّمن

وابنُ الزهراءِ فردٌ وحيد،
أسلمَ نفسَهُ لقضاءِ الله
ثمّ حملَ خُطَاهُ إلى خِيَمِ الرسالَة...
ليُلقي نظرةَ الوداع على بناتِ الرسالةِ فتنادين ينادين:
الوداع الوداع...
نساءٌ والهاتٌ ذَاهلاتٌ باكيات...
وتلملمت حوله صبيةٌ وصبايا ضامئات
أبتاهُ أريد ماءً،
عمّاهُ أريدُ ماءً،
سيّداهُ أريدُ ماءً...
وتناهتْ إلى سمعِ الحسين من جوفِ خيمة أناتٌ خافتةٌ،
إنّه عليلُ كربلاءَ تراكمَت عليه آلامٌ وآهاتٌ وأرزَاء...
وطافَ الحسينُ تطوافَ الوداع...
وسكبَ دموعَ الوداع
وأرسلَ نظرةَ الوداع
وقال: الوداع الوداع...
فتنادين بناتُ الرسالةِ
ينادين: الوداع الوداع...
وصمّم الحسينُ على الموت...
والتفت بنظرات ولهى فقال: من يُقدّم لي جوادي؟
وجاءَتْ الحوراءُ زينبُ
تقودُ جوادَ الموتِ إلى أخيها الحسين،
استوى الحسينُ على صهوةِ الجوادِ...
تحرّكَ مشدودًا إلى عرسِ الشهادةِ،
إلى عشقِ اللقاءِ مع الله...
وإذا بصوتٍ مبحوحٍ مُثقلٍ بالأسى والحزنِ يلامسُ سمعَ الحسين:

قفْ لي يا ابنَ أمِّي يا حسين...
إنّه صوتُ الحوراءِ زينب...
وقفَ الحسينُ أمامَ أختِه الحوراء مشدودًا بنظراتِه الوالهَة
إلى عَيْنيها الواجِنَتيْن،
ماذا تريدُ ابنة الزّهراء...؟
فما كان منها إلّا أن هوَتْ على نحرِهِ الطاهر،
وعلى صدرِه المقدّسِ لتطبعَ قبلتين حارّتين،
وارتسمت على شفتَيْها علاماتُ الهدوءِ والاطمئنان،
ثمّ أرسلت نظرةً بعيدةً بعيدة
صوبَ مثوى أمِّها الزّهراءِ قائلة:
أمّاه فاطمة أدّيتُ الأمانة.

(٨) رحيلُ ابن الرّسالة

وسارَ الحسينُ إلى الموت،
وكانت لحظة..
وقف الكونُ عندها رهبة...
وخالجتْ قلبَ الزمنِ سكتة...
وبعد قتالٍ رهيب رهيب،
هوى الطودُ الأشمُّ حسينُ السبط...
هوى صريعًا تعانقه صوارمٌ ورماح،
وهوت تقبّلُ جسمَه حدودُ المواضى والظبا،
وطاشت تمزِّقُ قلبُه سهامُ الحقد...
وتواثبت تداعبُ صدرَه حوافرٌ وسنابِك،
وتسابقت تناهشُ لحمَه ذئبانٌ مسعورة...
وهكذا افترش الحسين رمضاءَ كربلاء،
وقد كتبَ بدمِه أروعَ ملحمةٍ
في تاريخ البطولة والفداء.

(٩) غروبٌ لن يتكرّر

وغربت شمسُ العاشرِ من المحرّم...
وأرسل الليلُ سُدولَهُ الحزينة...
وأطلّ القمرُ بأشعته الوادعة الكئيبة
ولامسَ ضوءُه المفجوعُ أشلاءَ الضّحايا
المتلفعةِ بالنجيع،
والمتناثِرَة فوق ثرى كربلاء...
غربت شمسُ العاشر من المحرم...
وأرسل الليلُ سدولَه الحزينةَ،
ليحتضنَ بين حناياه أنّاتِ الأرواح المحتضرة،
وآهات الثّكالى،
ويلفُ نفوسًا تسعّرتْ في قلوبِها ضوارمُ الأحزان،
ويحجب دموعًا تحجّرت في مآقي نساءٍ ثاكلات،
ويتامى والهات...
غربت شمسُ العاشر من المحرّم...
وأرسلَ الليلُ سدولَه الحزينة،
ليواريَ وجوهًا لمخدّراتِ الرّسالَةِ هتكتها يدُ الإثم،
ومزّقت سترها أصابع البغي،
فما وجدت غيرَ الأكفّ ستارًا...
وهكذا التقت وحشةُ الليلِ الكئيب بتلك القلوبِ المفجوعة،
التي روّعَها هولُ المصاب...
وكان الليلُ أقسى وقعًا على بناتِ الرسالة...
كان الليلُ امتدادًا لمأساةِ الظهيرة،
فقد امتدتْ يدُ اللؤم
لتسجّلَ بعدًا جديدًا من أبعاد الخسَّةِ والحقارَة،
فبعد أن أوقدت نارَ الأسى في القلوبِ الطاهرة،
امتدَّتْ لتوقِدَها نارًا تلتهم أخبيةَ النبوةِ وخيامَ الرسالة...

(١٠) ظلال المأساة

وهكذا احتبكتْ ظلالُ المأساة وخيوطُ الفاجعة،
لتكوّنَ الملتقَى الأليم...
وكانت الحوراءُ زينبُ هي ذلك القلبُ
الذي تمازجَتْ فيه روافدُ المأساة...
فأمام ناظرها ترتسمُ صورُ الفاجعة
أجسادٌ مزّقتها المواضي والسّهام ،
صدورٌ سحقتها حوافرُ الخيولِ...
طفولةٌ بريئةٌ تعانقُ الموت،
شبيبةٌ يافعةٌ تتهاوى في بحورٍ من دماء،
شيخوخةٌ هَرِمةٌ صريعَةٌ فوق الرّمال...
نيرانٌ تضطرمُ في الخيام،
سياطٌ تتلوّى على المتون...
نساءٌ حائراتٌ تستَغيث،
أطفالٌ وصبايا هائمات...
رؤوسٌ تتوامض على ذُرى الأسنّة،
همومٌ ثقيلةٌ تجثمُ على القلوبِ المثكولة...
والحوراءُ زينب...
وقد أخرسَ الخطبُ دمعَها...
تقفُ شاخصةً بطرفٍ كليلٍ،
وقلب مجروح كئيب...
أتودّع صفوةً ظلّوا عرايا فوقَ الوِهَاد؟
أمْ تلملِمُ صبيَةً وصبَايا هائمات؟
أمْ تكفكفُ بيدها الرّحيمةِ دمعةً
حَجّرَهَا المصابُ في مُقلةِ طفلة؟
أمْ تمسحُ بحنانٍ رأسًا ليتيمةٍ روَّعَهَا الخطب؟

أمْ ترعى عَليلًا كابَدَ الآلام؟
أمْ تتقي ضربَ السياطِ المجنونة؟
أمْ تجرّعُ النفسَ غُصَصَ الشّماتَةِ الحاقدة؟
صورٌ أليمةٌ...
ومواقفُ حائرةٌ...
وأشباحٌ مرعبَة...
(إلّا أنّ شـيئًا من الخورِ والضّعف ما استطاع أن يلامسَ عزمةَ الصّمود في نفسِ بطلةِ كربلاء)...
وفي زحمة الخواطرِ والآهاتِ والآلام...
كانت الحوراءُ زينب تتخطّى أشلاءَ القتلى
المتناثرة فوقَ الرمالِ الحمراء،
لتقف عند جسدِ ابنِ والدِها حسين...
ألقت على الجسد الطاهر نظراتٍ والهة،
فاتّقدت لواعجُ الأسى في قلبها...
وأرسلت أنّةً خافتةً وآهةً مخنوقة،
وزفرةً هادئة،
وانسابتْ من مآقيها دموعٌ صامتةٌ وعبراتٌ ساخنة،
امتزجتْ بالدماءِ المُلفَّعة للجسد المقدّس...
ثمّ مدّتْ يدَها الطاهرةَ إلى الجثمانِ المضرَّج
والجسد الطريح،
وشدّتْ طرفَها إلى السّماء قائلةً: (اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان)

(١١) متى تشرق الشمس

سيّدي يا أبا الأحرار...
أطلَّ علينا من كربلاءِ الشّموخ...
فقدْ طغَى الكفرُ وهاجَتْ الفِتَن...
تاهتْ بنا الدّروب،
وارتكمتْ في أفقنا الغُيوم...
وماتَ في نفوسِنا الوميض،
وانطفأ الضمير...
حياتُنا أرهَقَهَا الجفافُ ولفَّها الضيَاع،
وعاثَ في أحشائِها الألم
وزمجرَتْ زوابعُ الخريف...
وطالَ ليلُنا البهيم...
وصاحَ في ربوعِنا الذئاب[1]...
وهاج في طريقِنا النّبَاح...
نمرودُ أوقدَ النيرانَ ليحرِقَ العبَاد،
فرعونٌ يتربَّعُ على كرسيِ الربوبيةِ المزعوم
يصلبُ الأجسادَ على الجُذُوع،
يسملُ العيون،
يقطعُ الأيديَ والأرجُل...
أبو جهل يقود جحافلَ الشِّرك
يحاربُ محمدًا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم...
أبو سفيان يؤجِّج الفِتَن...
يزيدُ يقتلُ الحسين،
يسبي النِّساء،
يذبَحُ الأطفال...

---

(١) الحديث عن واقع المسلمين في شتّى أنحاء المعمورة.

فمتى ينطَوي الليل،
وينهزِمُ الظلام؟
ويُشرِقَ الفجر،
ويبتسمُ الربيع؟
وتُورِقُ الحياة،
ويضحَكُ الأمل؟
متى تنطفئُ نيرانُ نمرود،
ويغرَقُ فرعون،
ويهلكُ أبو جهل،
ويُؤْسَر أبو سفيان،
ويُدفَنُ يزيد؟
متى ينتفضُ المختارُ ليقتل شمرًا وابنَ سعد؟
متى تُشرِق الشّمس وينهزم الظلام؟
وتنجحرُ خفافيش الليل؟
قلوبنا ظامئة...
أرواحنا عطشى...
فالعجلَ العجلَ...
يا صاحبَ الزمان.